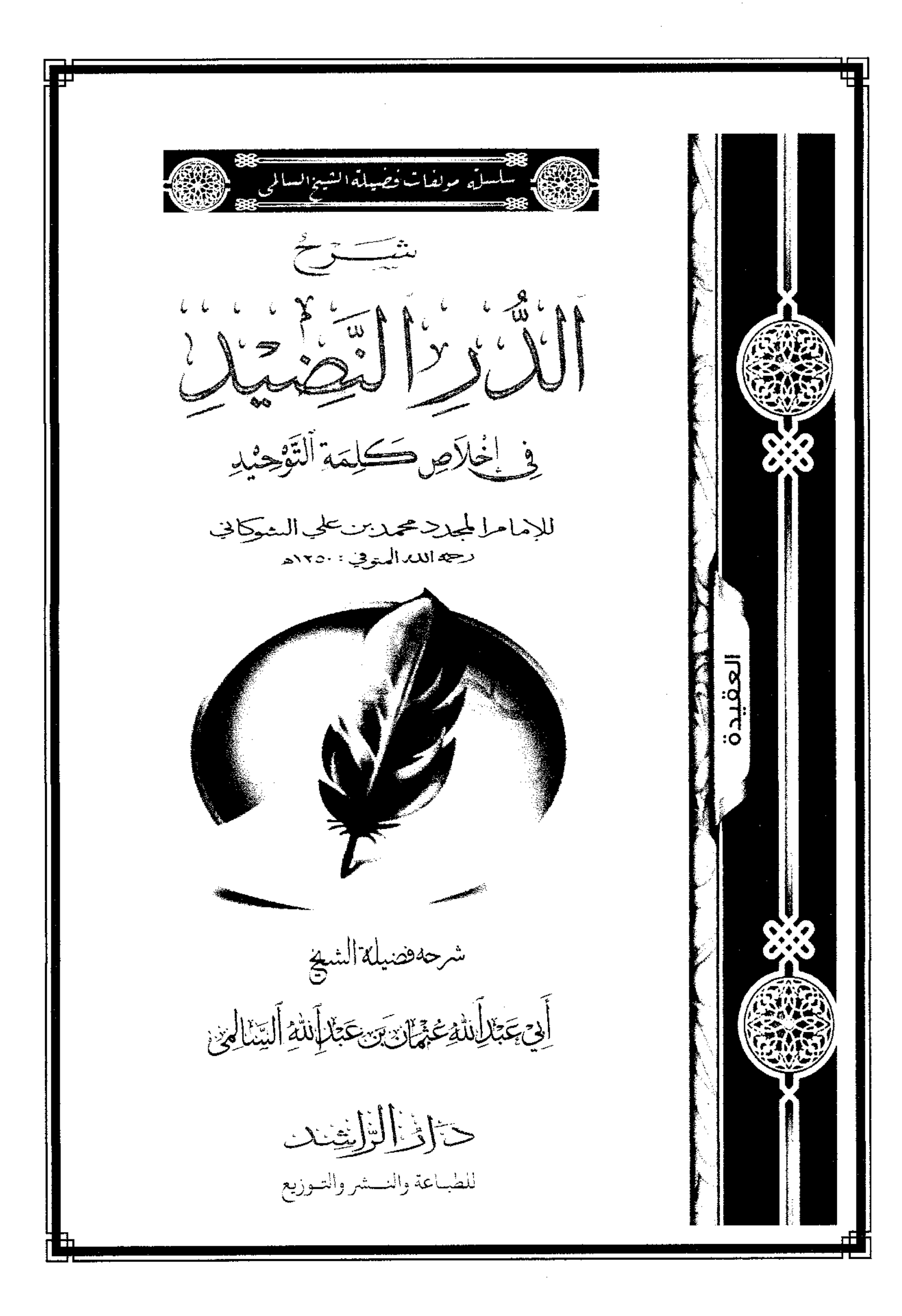
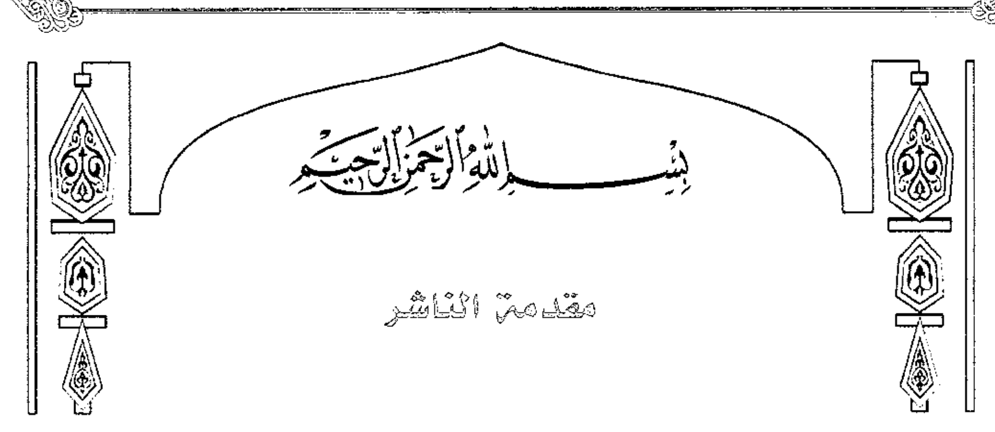

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ السالمي
شرح
الدر النضيد
في إخلاص كلمة التوحيد
للإمام المجدد محمد بن علي الشوكاني
رحمه الله المتوفى: ١٢٥٠هـ
شرحه فضيلة الشيخ
أبي عبد الله عثمان بن عبد الله السالمي
دار الراشد
للطباعة والنشر والتوزيع
العقيدة


بسم الله الرحمن الرحيم



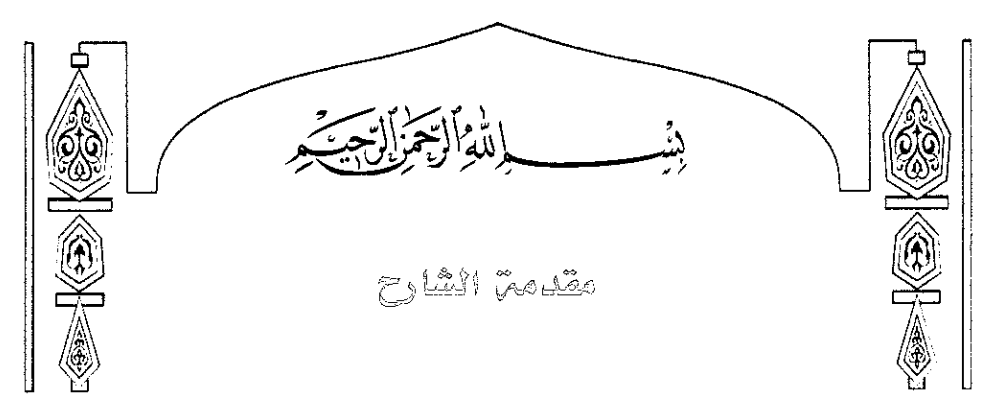
الحمد لله رب العالمين ، حمدًا كثيرًا طيبا مباركًا فيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له البر الرحيم ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ بعثه الله رحمة للعالمين ، أما بعد :

فإن من رحمة الله لعبادة المؤمنين أن جعل فيهم أهل العلم ، يعلمون جاهلهم، ويذكرون عالمهم ، فالعلماء هم مصابيح الدجى و أئمة الهدى. رحمهم الله

ومشاركة في الخير ونشره كان لشيخنا عثمان بن عبدالله السالمي - عافاه الله وسدده – مجموعة طيبة من الكتب العلمية التي منَّ بها الله عليه ، وانتفع بها كثير من طلبة العلم علاوة عن غيرهم ، وهذا من توفيق الله وفضله .

ومن تلكم الكتب القيمة : شرح شيخنا – عافاه الله- وتعليقه على كتاب الإمام الشوكاني رحمه الله «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» والذي يعتبر موسوعة في الرد على القبوريين ، وأرباب البدع والشركيات ، فجزى الله المصنف والشارح خير الجزاء ، ونفع الله بأصله وشرحه ... آمين

الناشر



الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الأحد الصمد ، أمر بطاعته وحده وأثاب عليها الجنة ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، إمام الأنبياء ، وسيد ولد آدم أرسله بشيرًا ونذيرًا ، أقام به الملة العوجاء فصلوات ربي وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن تعليم التوحيد والدعوة إليه أعظم العبادات والطاعات ، قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت: ٣٣

وكذا الرد على المشركين ، وتنبيه المسلمين الذين يقعون في البدع والمخالفات الشرعية ، من أعظم القربات والجهاد في طاعة الله ، فرحم الله علماء الإسلام ؛ فلقد قاموا بهذا الأمر ، وألفوا المؤلفات ، وردوا على الملاحدة والمبتدعة ، ومن يعبد القبور والحجارة والشجر وغيرهم ، ومن هؤلاء العلماء الإمام العلامة الورع الزاهد محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة ؛ فإنه ألف كتابه النافع «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» وذلك لما رأى أن بعض الناس وقع في الشركيات وتعظيم القبور والصالحين ، وصرفوا لهم النذور والذبائح وتوسلوا بهم ، فأراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يرد عليهم وينبههم على خطئهم .

وقد رد على كثير من المخالفين في هذا الباب بالحجج النيرة والبراهين

الواضحة ، فهو كتاب عظيم قد نفع الله به .

وأحببت أن أشارك في الخير ، وأفكك بعض العبارات التي تحتاج إلى إيضاح، وخرجت الأحاديث والآثار ، وحكمت عليها بما يستحقه من تصحيح وتحسين أو تضعيف ، وأيضًا نبهت على بعض المسائل التي خالف فيها الشوكاني مذهب السلف أو الدليل الشرعي مثل قوله :

إنه يجوز التوسل بذوات الأنبياء ، وهذا لا دليل عليه ؛ فالصحابة ﷺ لم يكونوا يتوسلون بذات النبي ﷺ ولا علماء التابعين ولا أئمة الإسلام رحمهم الله.

وأيضًا قوله بجواز التوسل إلى الله بأعمال الغير ، ولا حجة له في ذلك واضحة ، ولكن هذه المسائل هي لا تنقص من قدر الكتاب هذا ، بل هو كتاب نافع ، وشرحي أيضًا هو متوسط ، بل مختصر على قدر أصل الكتاب .

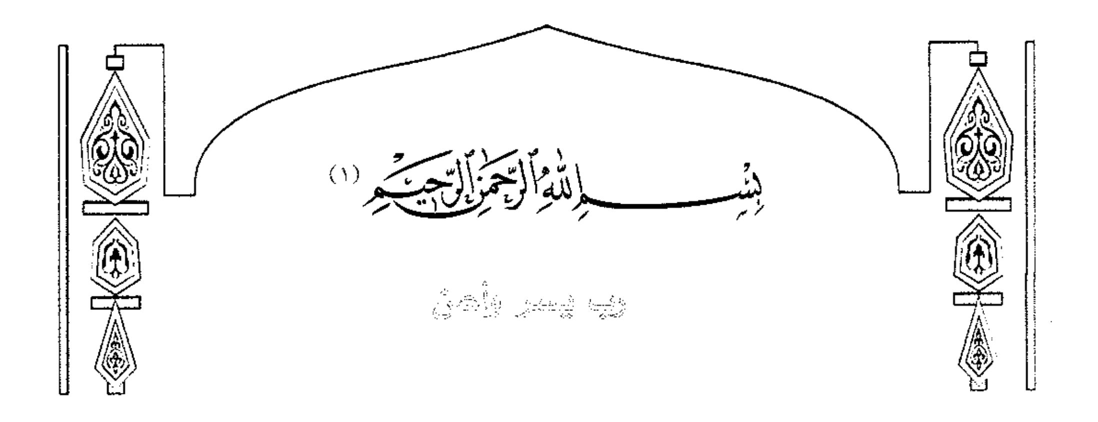
فاذكر المسألة ودليلها وبعض أقوال العلماء فيها إذا لزم ذلك ، وأفسر الكلمات الغريبة ، وبعض الآيات القرآنية ، والحمد لله على فضله فهو الذي وفقني ويسر لي ذلك .

وأيضًا أشكر كل من أعانني على ذلك منهم الأخ خالد الأسدي عافاه الله الذي قابل معي في مراجعته ، والكاتب والطابع والمرتب على الحاسوب الأخ يحي بن عبدالعزيز آل راشد العمراني سلمه الله ، وجزى الله خيرًا كل من شارك في نصحي وأعانني على الخير ، وأسأل الله أن يغفر خطئي وعمدي ويغفر لوالدي ولمحبي ، ولجميع المسلمين ، آمين .

كتبه أبو عبدالله عثمان بن عبدالله السالمي

في مدينة ذمار – دار الحديث السلفية

١٠/جمادى الثاني/١٤٤١هـ



(١) ابتدأ المصنف رحمه الله ببسم الله: اقتداء بكتاب الله تعالى فإن البسملة في أول الفاتحة، وفي أول كل سورة إلا براءة، فهذا يدل على فضيلة التسمية في أول المؤلفات وأمور كثيرة لما في ذلك من التبرك باسم الله العظيم، والاستعانة به دون غيره، فالجار والمجرور في قوله: « باسم الله » متعلق بفعل محذوف، والتقدير باسم الله اكتب أو أجيب ونحو ذلك من المعاني المناسبة لذكر هذا الاسم العظيم، ولفظ الجلالة هو أعظم أسماء الله الحسنى الذي جمع معاني عظيمة وصفات كريمة فهو الإله الحق الذي يستحق العبادة وحده، وهو الرب المالك المتصرف في الخلق، الكريم الجواد.

قال ابن القيم رحمه الله: فَاسْمُ الله دَالٌّ عَلَى جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا بِالدِّلَالَاتِ الثَّلَاثِ، فَإِنَّهُ دَالٌّ عَلَى إِلَهِيَّتِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِثُبُوتِ صِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ لَهُ مَعَ نَفْيِ أَضْدَادِهَا عَنْهُ.

وَصِفَاتُ الْإِلَهِيَّةِ: هِيَ صِفَاتُ الْكَمَالِ، الْمُنَزَّهَةُ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالْمِثَالِ، وَعَنِ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ، وَلِهَذَا يُضِيفُ الله تَعَالَى سَائِرَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى إِلَى هَذَا الِاسْمِ الْعَظِيمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وَيُقَالُ: الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ، وَالْقُدُّوسُ، وَالسَّلَامُ، وَالْعَزِيزُ، وَالْحَكِيمُ مِنْ أَسْمَاءِ الله، وَلَا يُقَالُ: الله مِنْ أَسْمَاءِ الرَّحْمَنِ، وَلَا مِنْ أَسْمَاءِ الْعَزِيزِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

فَعُلِمَ أَنَّ اسْمَهُ الله مُسْتَلْزِمٌ لِجَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، دَالٌّ عَلَيْهَا بِالْإِجْمَالِ، وَالْأَسْمَاءُ

أحمدك[1] ....

الْحُسْنَى تَفْصِيلٌ وَتَبْيِينٌ لِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ .اهـ من "مدارج السالكين" (٤١/١) ط : العلمية.

❁ وقوله : «الرحمن الرحيم» : هما اسمان كريمان يدلان على أن الله موصوف بالرحمة ، وأن الخلق يعيشون تحت رحمته تعالى ، و في الآخرة يرحم المؤمنين ويرأف بهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣]

واسم الله والرحمن من الأسماء الخاصة بالله تعالى ، لا تطلق على غيره ، قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠]

وكان النبي ﷺ إذا كتب إلى بعض الملوك بدأ كتابه بالبسملة ، كما ثبت في "الصحيحين" عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ، فَأَتَوْهُ - فَذَكَرَ الحَدِيثَ - قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَقُرِئَ، فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الله وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ» . رواه البخاري (٦٢٦٠) ، ومسلم (١٧٧٣).

(١) ثم ثنّى المصنف رحمه الله بالحمد لله تعالى ، وهو الثناء التام على الله تعالى مع المحبة والإجلال له ، ويكون باللسان والقلب، والله تعالى يحب الحمد ، ولذلك حمد نفسه في أول سورة وهي فاتحة الكتاب: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]

وحمد نفسه في مواضع كثيرة من القرآن ، وكان النبي ﷺ يفتتح خطبه ومواعظه بالحمد والثناء على الله تعالى .

ومن ذلك : الحديث المشهور كان يقول : «إِنَّ الْحَمْدَ لله ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ» . رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما (٨٦٨).

وقال عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : " عَلَّمَنَا رَسُولُ الله ﷺ خُطْبَةَ الْحَاجَةِ أَنِ الْحَمْدُ لله

لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[1]، وأصلي وأسلم على

نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

رواه أبو داود (٢١١٨).

وينبغي بعد الحمد لله أن يذكر الشهادتين ؛ لأن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه ، ويذكرها في بعض خطبه .

وقال ﷺ أيضًا : «كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ» رواه أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٤٨٤١) وهو صحيح .

فهذا يدل على أن الخطبة والموعظة التي ليس فيها ثناء على الله وذكر الشهادة أنها ناقصة مختلة ، قليلة البركة ، كاليد المريضة بالجذام وهو مرض يأكل أطراف الأصابع .

قال ابن الأثير رحمه الله في "النهاية" في قوله : « كاليد الجذماء» أي المقطوعة.

(١) وقوله : « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» : أي مهما أثنى العبد على ربه فلا يستطيع يوفي حق الله فحقه عظيم وكثير وقد كان النبي ﷺ يقول هذا كما عند أحمد (٣٦٢/٤٠) وسنده صحيح عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

ومع أنه كثير الطاعة والذكر والثناء على الله تعالى ، ومع هذا يعترف بالتقصير في حق الله تعالى .

❁ وقال الإمام ابن الأثير رحمه الله في قوله : « لا أحصي ثناء عليك» : أَيْ لَا أُحْصِي

رسولك وآل رسولك .

وبعد : فإنه وصل إلى الحقير الجاني[1] محمد بن علي الشوكاني ، غفر الله له ذنوبه ، وستر عيون الناس عن عيوبه ، سؤال عالم مفضال ، عارف بما قد قيل وما يقال ، في مدارك الحرام والحلال عند اختلاف الأقوال ، وتباين آراء الرجال ، وهو العلامة الفهامة الأفخم ، محمد بن أحمد بن محمد مشحم[2] ، أكثر الله فوائده ، ومد

نِعَمَكَ والثناءَ بِهَا عَلَيْكَ، وَلَا أبْلغ الواجبَ فِيهِ. كما في «النهاية» .

وقال في أسماء الله تعالى : « المحصي» هو الذي أحصى كل شيء بعلمه وأحاط به فلا يفوته دقيقة منها ولا جليلة ، والإحصاء العد والحفظ .اهـ

ثم إن المصنف صلى على النبي ﷺ ، وهذا من التأدب مع رسول الله ﷺ والتماس الأجر من الله تعالى بذلك ، فقد قال ﷺ : «من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرًا» . رواه مسلم.

(١) هذا من باب الهضم لنفسه وتأديبها حتى لا تفخر على الغير وإلا فليس بحقير ولا جاني أي جاني على نفسه بالمعاصي وهذا من باب الاعتراف لله تعالى بالتقصير والخطأ وإلا فهو كان قد عرف بالعلم والخير والطاعة وتعليم الناس الخير ، وهذا لو قيل أمام طلبة العلم لا حرج ، وأما أمام العوام فربما أساؤوا الظن بالمتكلم فربما قالوا : الله أعلم ما عنده من المعاصي ، فالأحسن لا يذكر مثل هذا أمامهم ولا شك أن العبد مقصر في حق ربه ويقترف ذنوبًا ، ولكن الحسنات يذهبن السيئات .

(٢) وقوله رحمه الله : « محمد بن أحمد مشحم » : هو الصعدي ثم الصنعاني ، وقد ترجم له المصنف في البدر الطالع (١٠٢/٢) ، وقال : كان له اطلاع على عدة علوم مع بلاغة فائقة وعبارة رائعة ، وله مؤلفات مجموعة في مجلد ، وفيها رسائل نفيسة ، وكان خطيبًا للإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم ، ثم ولاه القضاء بمحلات من المدائن اليمنية ، وفيه كرم مفرط ، وله شعر متوسط .

على أهل العلم موائده .

وحاصل السؤال هو : عن التوسل بالأموات المشهورين بالفضل ، وكذلك الأحياء ، والاستغاثة[١] بهم ، ومناجاتهم عند الحاجة ، من نحو : على الله وعليك يا فلان ، وأنا بالله وبك ، وما يشابه ذلك ، وتعظيم قبورهم ، واعتقاد أن لهم قدرة على قضاء حوائج المحتاجين ، وإنجاح طلبات السائلين ، وما حكم من فعل شيئًا من ذلك ؟ وهل يجوز قصد قبور الصالحين لتأدية الزيارة ودعاء الله عندها من غير

وبالجملة : فهو من محاسن القضاة .اهـ المراد وترجمته أيضًا في «الأعلام» لخير الدين الزركلي (٦/١٤).

(١) قوله رحمه الله : «والاستغاثة» : هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار .

وقال ابن الأثير رحمه الله : فِي حَدِيثِ هاجَر أُمِّ إِسْمَاعِيلَ «فَهل عِنْدَكَ غَوَاث» الغَوَاث بِالْفَتْحِ كالغِيَاث بِالْكَسْرِ، مِنَ الإِغَاثَة: الإعَانَة، وَقَدْ أَغَاثَه يُغِيثُه.اهـ المراد

وحديث أم إسماعيل في «صحيح البخاري» ، فانظر كيف قالت : «هل عندك غواث» ، أي شيء تخلصنا به من شدة العطش والجوع .

وقال الله تعالى عن أهل بدر : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[الأنفال: ٩]

وانظر كيف استغاثوا بالله تعالى لينصرهم على عدوهم ، ويدفع عنهم العدو الكافر ، فاستجاب لهم سبحانه ونصرهم على عدوهم وأمدهم بالملائكة الكرام عليهم السلام فالله عز وجل الذي يقدر على دفع مثل هذا العدو ، وينزل النصر ، ويكشف الضر ، قال تعالى : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[آل عمران: ١٢٦]

❁ قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» عند هذه الآية : قول تَعَالَى: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ» الِاسْتِغَاثَةُ: طَلَبُ الْغَوْثِ والنصر. اهـ المراد .

استغاثة بهم ؟ بل التوسل بهم فقط ؟

فأقول مستعينًا بالله :

اعلم أن الكلام على هذا الأطراف يتوقف على إيضاح ألفاظ هي منشأ الاختلاف والالتباس.

فمنها : الاستغاثة بالغين المعجمة والمثلثة .

ومنها : الاستعانة بالعين المهملة والنون .

ومنها: التشفع .

ومنها: التوسل .

فأما الاستغاثة بالمعجمة والمثلثة : فهي طلب الغوث ؛ وهو إزالة الشدة كالاستنصار؛ وهو طلب النصر ، ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه[1] من الأمور ولا يحتاج مثل ذلك إلى الاستدلال فهو في غاية

---

(١) وقوله : « ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه » : أي الشخص الحي الحاضر فيما يقدر عليه من الأمور ، أما أن يستغيث الشخص بما لا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز ، مثل أن يطلب الشفاء ، ودفع الكرب ، وإنزال الغيث ، ودفع البرد ، أو أن يرد العدو بجاهه وسره ، أو يطلب من ميت مثل ذلك ، فالميت لا يقدر أن ينفع الحي بشيء ؛ لأنه عاجز ، لا يسمع الحي إن دعاه ، قال تعالى : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ يس: ٥٠

وقال تعالى : ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ فاطر: ١٤

فأخبر سبحانه أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم ولو فرضًا سمعوا ما يستطيعون أن يجيبوا من دعاهم ، ولا يستطيعون نفعه ، وهذا يشمل الموتى من الإنس ، أو دعاء

الأصنام، فهي جماد لا تسمع من باب أولى .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾فاطر: ٢٢، وهذا واضح .

والمصنف استدل على جواز الاستغاثة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه : ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾القصص: ١٥

أي شيعة موسى عليه السلام أي من أنصاره ، يشايعه على دينه ، وعدوه هو القبطي من آل فرعون ، فموسى عليه السلام أغاثه وخلصه من خصمه فإنه كان حاضرًا وقادرًا على دفع العدو .

وقوله : ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ ﴾الأنفال: ٧٢

أي إذا استنصركم المسلمون على عدوهم من المشركين فعليكم نصرهم بإرسال الجنود إليهم ، وكذا تنصروهم بالمال والكلام ونحو ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ ﴾المائدة: ٢

البر كل عمل صالح والتقوى هو مختلف في تعريفها والأقرب هو العمل بالطاعة واجتناب المعصية ، ويعني فيما يقدر عليه الحي يتعاون مع المؤمنين .

۞ قوله تعالى ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾آل عمران: ١٣٥

أي لا يمحها ويسترها على أصحابها إلا الله ، فلا يغفر الذنوب أحد إلا الله إذًا فلا يطلب غفرانها إلا منه سبحانه ، وما يفعله بعض النصارى يأتي إلى القسيس أو الراهب ويطلب منه مغفرة الذنوب فيقول الراهب : قد غفرت لك ، أو سامحتك ، وكذا ما يفعله بعض جهلة الصوفية وغيرهم أن يأتي إلى بعض القبور ويطلب من نبي أو ولي المغفرة والمسامحة ، وآخر يأتي قبر رسول الله ﷺ ويطلب منه العفو والغفران ، ويقول : لقد جئت من بلاد كذا وكذا .

وهذا من الجهل والضلال ومن الشرك الذي يجب التوبة منه .

❁ قال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" عند قوله تعالى ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ :
أي لا يغفرها أحد سواه .اهـ
وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ القصص:٥٦
أي لا يوفق أحدًا للرشد ويلهمه ذلك إلا الله وكما في الآية الأخرى : ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ ﴾ الأعراف:١٨٦

فهذه الهداية هداية التوفيق والإلهام ، فلا تطلب إلا من الله ، وأما الهداية التي هي بمعنى الإرشاد والدلالة فهذه تكون من الله ومن الأنبياء والعلماء كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى: ٥٢
أي إنك لتبين الحق والخير وتوضحه وتنهى عن المنكر وتبينه ، وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ فصلت: ١٧

أي وضحنا لهم وبينا لهم طريق الخير من طريق الشر ، فاختاروا طريق الغي والشر فلهذا أهل السنة يقسمون الهداية إلى قسمين : هداية توفيق وإلهام وهذه لا يملكها إلا الله تعالى ، وهداية بيان وإيضاح ، وهذه من الله فهو قد بين طريق الخير والشر ويملكها الأنبياء والعلماء فهم يبينون للخلق الدين والشرائع ففهمت الأدلة .
وأما المعتزلة فلا يفرقون فجعلوا الإنسان يهدي نفسه أو يضلها .
ونقول : الله هو الذي يوفق من يشاء إلى الصراط المستقيم ، أو يضله فيخذله ، فلا أحد عند ذلك يستطيع أن يهديه .
وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ ﴾ فاطر:٣

قال الحافظ ابن جرير الطبري رحمه الله : التي أنعمها ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بفتحه لكم من خيراته ما فتح وبسطه لكم من العيش ما بسط وفكروا فانظروا هل من خالق سوى

الوضوح وما أظنه يوجد فيه خلاف ، ومنه : ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ القصص: ١٥

فاطر السماوات والأرض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ فتعبدوه دونه ﴿لا إله إلاهو﴾ يقول: لا معبود تنبغي له العبادة إلا الذي فطر السماوات والأرض القادر على كل شيء .اهـ

وقال إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ العنكبوت: ١٧

فانظر كيف أمرهم أن يطلبوا الرزق من الله لا من الأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله .

فبعض الناس الجهلة يطلب الولد والرزق والبركة والمدد من الموتى الصالحين كما كانت تفعله اليهود والنصارى من صالحيهم وهذا هو الضلال المبين والشرك الكبير وتجدهم إذا وصلوا إلى القبور يبنون ويأملون من أصحابها الفرج وحصول ما طلبوا أعظم مما يرجونه من الله تعالى ، والحقيقة لو حصل لهم شيء مما طلبوا من رزق أو ولد أو ودفع ضر فهو من الله ، ولكن الله ابتلاهم واستدرجهم لينظر إلى أين يصلون ، ومن يتبع الرسل ممن يتبع الضلال ، وإلا فالموتى لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا كما قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ الجن: ٢١ - ٢٢

وقال تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٨

وغير ذلك من الآيات في هذا المعنى .

وكما قال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ الأنفال: ٧٢

وكما قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ المائدة: ٢

وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستغاث فيه إلا به، كغفران الذنوب، والهداية وإنزال المطر والرزق، ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ١٣٥

وقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ القصص: ٥٦

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فاطر: ٣

وعلى هذا يحمل ما أخرجه الطبراني في «معجمه الكبير» أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر رضي الله عنه: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال ﷺ: « إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله» [1]

---

(١) ذكر هذا الحديث الهيثمي في «المجمع» (١٥٩/١٠) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث. اهـ

قلت: بل ابن لهيعة ضعيف واسمه عبدالله، اختلط، وجمهور المحدثين على ضعفه، ومما يدل على عدم حفظ هذه اللفظة أن الإمام أحمد أخرج الحديث (٣٨٠/٣٧)(٢٢٧٠٦) من طريق ابن لهيعة، وفيه قال أبو بكر قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ: «لا يقام لي وإنما يقام لله»، فهذا لفظه مخالف لما تقدم، فالحديث ضعيف باللفظين.

فمراده ﷺ أنه لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وأما ما يقدر عليه المخلوق فلا مانع من ذلك ؛ مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر ، أو يحول بينه وبين عدوه الكافر ، أو يدفع عنه سبُعًا صائلًا أو لصًا أو نحو ذلك .

وقد ذكر أهل العلم أنه يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله سبحانه وأن كل غوث من عنده[1]، وإذا حصل شيء من ذلك

مع أن الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه جائز ، فكان رسول الله ﷺ قادرًا على منع المنافقين من إيذاء الصحابة لو كان حصل .

وجمع الشوكاني رحمه الله بين هذا الحديث والأدلة الأخرى .

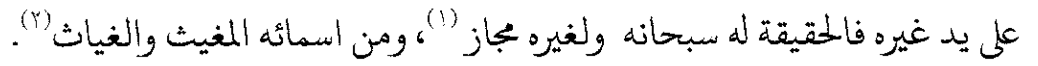
قلت : هذا لو صح لكنه لم يصح والله أعلم ، ولو صح فمنع النبي ﷺ أصحابه أن يستغيثوا به تواضعًا لله وسدًا لذرائع الشرك ، وحماية لجناب التوحيد .

(١) قوله رحمه الله : « وأن كل غوث من عنده » : يعني أن الله عز وجل هو الذي يتصرف في الأمور كلها فلا خالق ولا رازق إلا هو سبحانه ، ولا نافع ولا ضار إلا الله ، فالواجب على المسلم أن يستيقن ذلك قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ آل عمران: ٢٦ - ٢٧

وقال تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الشورى: ٩ .

على يد غيره فالحقيقة له سبحانه ولغيره مجاز [١]، ومن اسمائه المغيث والغياث[٢].

قال أبو عبدالله الحليمي[٣]: الغياث هو المغيث ، وأكثر ما يقال غياث المستغيثين ؛ ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه ، ومجيبهم ومخلصهم ، وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين : « اللَّهُمَّ أغثنا » [٤]، إغاثة وغياثة ، وهو في معنى



(١) أقول : الصحيح أن فعل الإنسان ينسب إليه حقيقة وهو الفاعل ولكن الله هو الخالق لفعله والمقدر له والأحسن أن نترك لفظ المجاز ؛ لأن أصحاب المجاز يتوصلون به إلى نفي الصفات لله عز وجل وأفعاله .
وقد رد ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ على القائلين بالمجاز من عدة وجوه في «الصواعق المرسلة» وكذا محمد الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ في رسالة له .

(٢) قلت : المغيث والغياث ليسا من أسماء الله تعالى ؛ لأنه لم يصح ذلك عن الله ولا عن رسوله ﷺ وأسماء الله توقيفية فلا نسمي الله إلا بما سمى به نفسه ، فلا يدعى به فلا يقال : يا مغيث ، ولا عبد الغياث ، ولكن بعض العلماء قد يخبر عن الله إخبارًا ، وباب الإخبار أوسع من باب التسمية .

(٣) هو الحسين بن الحسن بن محمد ، قال الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١٠٣٠/٣) (٩٥٨) الحليمي العلامة البارع رئيس أهل الحديث بما وراء النهر ، وقال صاحب «وجوه حسان في المذاهب» أي الشافعي ، وكان من أذكياء زمانه ، ومن فرسان النظر له يد طولى في العلم والأدب .اهـ المراد

قلت : ولكن كان عنده شيء من تأويل الصفات على مذهب الأشاعرة كما ينقل عنه الإمام البيهقي في «الأسماء والصفات» فرحمهم الله جميعًا .

(٤) وأما قوله : « اللَّهُمَّ أغثنا » : هذا فعل ولا يشتق منه اسم ، وهذا من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ، وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ الله ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ،

المجيب والمستجيب ، قال تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الأنفال: ٩

إلا أن الإغاثة أحق بالأفعال ، والاستجابة بالأقوال ، وقد يقع كل منهما موقع آخر .

وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُغِثْنَا ، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا» ، قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَالله مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةٍ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: فَلَا وَالله مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا . رواه البخاري(١٠١٤) ومسلم(٨٩٧).

فانظر كيف أغاثهم الله بالماء في الحال وقد كانوا في شدة فخلصهم منها سبحانه ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ الشورى: ٢٨

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فَأَمَّا لَفْظُ الْغَوْثِ وَالْغِيَاثِ " فَلَا يَسْتَحِقُّهُ إلَّا الله فَهُوَ غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدِ الِاسْتِغَاثَةُ بِغَيْرِهِ لَا بِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ. اهـمن " مجموع الفتاوى " (٤٣٧/١١).

وكأنه يرد على بعض الصوفية وأهل الضلال الذين يصفون بعض صالحيهم بأنه غوث المستغيثين وغياثهم ، ولا شك أن من زعم أن ميتًا يغيث المضطرين ولهم أن يرفعوا حوائجهم إليه فيقضيها لهم كشفاء مريض أو أعادة غائب وإغاثة ملهوف وكإنزال المطر أو النصر أو الرزق أو كشف الكرب والأحزان فهو ضال مشرك ، والعياذ بالله ؛ لأن فعل هذا من خصائص الله ولا يقدر على ذلك إلا هو جل وعلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] في بعض فتاواه ما لفظه : والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ﷺ ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه مسلم ، ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافر وإما مخطئ ضال .

وأما بالمعنى الذي نفاه رسول الله ﷺ فهو أيضًا مما يجب نفيها ، ومن أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله فهو أيضًا كافر ، إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها .

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي[2] : استغاثة المخلوق بالمخلوق

---

(١) هو الإمام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم الحراني الدمشقي لقب بشيخ الإسلام لكثرة علمه وحلمه ونفعه المسلمين وأعطاه الله من العلم والحلم والذكاء الشيء الكثير وترجمته واسعة وكلامه الذي ذكره الشوكاني هنا هو في كتاب «الاستغاثة في الرد على البكري» (٢٩٨/١) إلى قوله كالاستغاثة المسجون بالمسجون .

(٢) ونقل كلام أبي يزيد البسطامي ؛ لأنه حق وإلا فهو رجل متصوف ، ونقلت عنه شطحات قد تكون متقولة عليه وقد تكون منه وذكروا عنه عبادة وطاعة فالله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» في سنة ٢٦١ : أبو يزيد البسطامي اسمه طيفور بْنِ عِيسَى بْنِ عَلِيٍّ، أَحَدُ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ، وَكَانَ جَدُّهُ مَجُوسِيًّا فَأَسْلَمَ، وَكَانَ لِأَبِي يَزِيدَ أخوان صالحان عابدان، وهو أجلهم ... إلى أن قال : قَدْ حُكِيَ عَنْهُ كَلِمَاتٌ فِيهَا شَطْحٌ، وَقَدْ تَكَلَّمَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَالْفُقَهَاءِ عَلَيْهَا ؛ فَمِنْ مُتَأَوِّلٍ عَلَى الْمَحَامِلِ الْبَعِيدَةِ، أَوْ قَائِلٍ: إِنَّ هَذَا قَالَهُ فِي حَالِ الِاصْطِلَامِ وَالسُّكْرِ، وَمِنْ مُبَدِّعٍ وَمُخَطِّئٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ.

وقال الذهبي في «الميزان» : طيفور بن عيسى شيخ الصوفية، له نبأ عجيب ، وحال غريب ، وهو من كبار مشايخ الرسالة، وما أحلى قوله: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف هو عند الأمر والنهي

كاستعانة الغريق بالغريق ، وقول الشيخ أبي عبدالله القرشي[(١)] استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون.

وأما الاستعانة بالنون : فهو طلب العون ، ولا خلاف أنه يجوز أن يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من امور الدنيا ، كأن يستعين به على أن يحمل معه متاعه، أو يعلف دابته ، أو يبلغ رسالته ، وأما ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله فلا يستعان فيه إلا به ، ومنه قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].[(٢)]

وحفظ حدود الشريعة ، وقد نقلوا عن أبي يزيد أشياء الشأن في صحتها عنه، منها: سبحاني ، وما في الجبة إلا الله.

ما النار لاستندن إليها غدا، وأقول: اجعلني لأهلها فداء، أو لابلغنها.

ما الجنة لعبة صبيان، هب لي هؤلاء اليهود، ما هؤلاء حتى تعذبهم؟ ومن الناس من يصحح هذا عنه ويقول: قاله في حال سكره ، قال أبو عبد الرحمن السلمي: أنكر عليه أهل بسطام، ونقلوا إلى الحسين بن عيسى البسطامى أنه يقول له معراج كما كان للنبي ﷺ، فأخرجه من بسطام، فحج ورجع إلى جرجان، فلما مات الحسين رجع إلى بسطام ، قلت : كان الحسين من أئمة الحديث.

(١) هو محمد بن سعيد القرشي ، ترجمته في حلية الأولياء (٣٣٧/١٠) ، وكلامه هنا في غاية الجودة والحسن إن استغاثة المخلوق بالمخلوق أي فيما لا يقدر عليه إلا الله ، كاستغاثة المسجون بالمسجون ، أي هي كالمعدوم لا فائدة فيها ، ويا ليت أهل البدع من صوفية وغيرهم يفهمون ، فبعضهم كان إذا سقط قال : يا علياه ، يا محمداه ، أو يا خمساه ، أو يا ابن علوان وغيرهم من الموتى يدعونهم عند الشدائد .

(٢) قوله ﷺ : فلا يستعان إلا به ومنه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

وأما التشفع بالمخلوق : فلا خلاف بين المسلمين لأنه يجوز طلب الشفاعة

[الفاتحة: ٥]: هذه الآية هي أعظم آية في الفاتحة ، والتي تدل على وحدانية الله والإلهية.

والعبادة هي التذلل والخضوع لله وكمال المحبة له والخوف منه وحده .

❁ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « وَقُدِّمَ الْمَفْعُولُ وَهُوَ «إِيَّاكَ» ، وَكُرِّرَ؛ لِلِاهْتِمَامِ وَالْحَصْرِ، أَيْ: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْكَ، وَهَذَا هُوَ كَمَالُ الطَّاعَةِ. وَالدِّينُ يَرْجِعُ كُلُّهُ إِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْفَاتِحَةُ سِرُّ الْقُرْآنِ، وَسِرُّهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فَالْأَوَّلُ تَبَرُّؤٌ مِنَ الشِّرْكِ ، وَالثَّانِي تَبَرُّؤٌ مِنَ الْحَوْلِ والقوة، والتفويض إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ. وَهَذَا الْمَعْنَى فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هُودٍ: ١٢٣] ، ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾

[الْمُلْكِ: ٢٩] ، ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [الْمُزَّمِّلِ:٩]، وَكَذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وَتَحَوُّلُ الْكَلَامِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْمُوَاجَهَةِ بِكَافِ الْخِطَابِ، وَهُوَ مُنَاسَبَةٌ ، لِأَنَّهُ لَمَّا أَثْنَى عَلَى الله فَكَأَنَّهُ اقْتَرَبَ وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيِ الله تَعَالَى .اهـ من تفسير سورة الفاتحة .

فهذه الآية تدل على إخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[البينة: ٥]

وعن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » . رواه مسلم .

و عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» . رواه مسلم وغير ذلك من الأدلة في الباب .

من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا [(١)]، وثبت بالسنة المتواترة ، ،

(١) أما الشفاعة في الأمور الدنيوية إذا طلبت فيما يقدر عليه الشخص فهي جائزة ، وقد كان النبي ﷺ يقول لأصحابه : « اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء » رواه البخاري (١٤٣٢) وغيره .

وكان يأتي النبي ﷺ بعض السائلين فربما لا يعرفهم فيأمر أصحابه بالشفاعة لمن يعرفونه فإن تيسر له شيء أعطي والشفاعة في الآخرة على مراتب وأقسام فالشفاعة من النبي ﷺ يوم القيامة لأهل الموقف وتخليصهم منه ثابتة عند الجميع لثبوت الدليل في ذلك وإنما اختلف الناس في الشفاعة في اخراج الموحدين من النار فجمهور أهل البدع من الخوارج والمعتزلة ينكرونها وأثبتها عامة أهل السنة للأدلة الصحيحة في ذلك منها حديث : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان » متفق عليه .

وعن جابر رضي الله عنه وقد سئل عن الورود ، قال : «ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا» رواه مسلم (١٩١).

وظاهره أنه موقوف لكن له حكم الرفع وروايات مختصرة نحو مرفوعة .

و عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ » ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ . رواه مسلم (١٨٥) في الإيمان .

وقوله : « وأما أهل النار الذين هم أهلها » : أي الذين يلازمونها أبدًا فهم الكفار والمنافقون النفاق الاعتقادي والزنادقة الذين يسخرون من الدين ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، فهم في عذاب دائم لا يموتون فيه ولا يحيون ، نسأل الله العافية لنا وللمسلمين .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشْفَعُ لِلْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ أَنْ يَسْأَلَهُ النَّاسُ ذَلِكَ وَبَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ الله لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ. ثُمَّ إنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَاسْتَفَاضَتْ بِهِ السُّنَنُ مِنْ أَنَّهُ ﷺ يَشْفَعُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ وَيَشْفَعُ أَيْضًا لِعُمُومِ الْخَلْقِ. اهـ من « مجموع الفتاوى » (٣١٣/١).يعني لعموم الخلق في الموقف يوم القيامة .

۞ وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في كتابه العقيدة الطحاوية (٢٨٢/١) : والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الأخبار .

وقال الشارح ابن أبي العز رحمه الله : الشَّفَاعَةُ أَنْوَاعٌ: مِنْهَا مَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ، وَمِنْهَا مَا خَالَفَ فِيهِ الْمُعْتَزِلَةُ وَنَحْوُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ.

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: الشَّفَاعَةُ الْأُولَى، وَهِيَ الْعُظْمَى، الْخَاصَّةُ بِنَبِيِّنَا ﷺ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وقال : النَّوْعُ الثَّانِي وَالثَّالِثُ مِنَ الشَّفَاعَةِ: شَفَاعَتُهُ ﷺ فِي أَقْوَامٍ قَدْ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَيَشْفَعُ فِيهِمْ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَفِي أَقْوَامٍ آخَرِينَ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ أَنْ لَا يَدْخُلُونَهَا.

النَّوْعُ الرَّابِعُ: شَفَاعَتُهُ ﷺ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فِيهَا فَوْقَ مَا كَانَ يَقْتَضِيهِ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ. وَقَدْ وَافَقَتِ الْمُعْتَزِلَةُ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ خَاصَّةً، وَخَالَفُوا فِيمَا عَدَاهَا مِنَ الْمَقَامَاتِ، مَعَ تَوَاتُرِ الْأَحَادِيثِ فِيهَا.

النَّوْعُ الْخَامِسُ: الشَّفَاعَةُ فِي أَقْوَامٍ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَيَحْسُنُ أَنْ يُسْتَشْهَدَ لِهَذَا النَّوْعِ بِحَدِيثِ عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ، حِينَ دَعَا لَهُ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ السَّبْعِينَ

واتفاق جميع الأمة أن نبينا ﷺ هو الشافع المشفع ، وأنه يشفع للخلائق يوم القيامة ، وأن الناس يستشفعون به ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربه ، ولم يقع الخلاف إلا في كونها لمحو ذنوب المذنبين ، أو لزيادة ثواب المطيعين ، ولم يقل أحد من المسلمين بنفيها قط .

وفي "سنن أبي داود"[1] أن رجلًا قال للنبي ﷺ : إنا نستشفع بالله عليك

أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي ((الصَّحِيحَيْنِ)).

النَّوْعُ السَّادِسُ: الشَّفَاعَةُ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّهُ، كَشَفَاعَتِهِ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ عَذَابُهُ.

النَّوْعُ السَّابِعُ: شَفَاعَتُهُ أَنْ يُؤْذَنَ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، كَمَا تَقَدَّمَ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ».

النَّوْعُ الثَّامِنُ: شَفَاعَتُهُ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ، مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ، فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ بِهَذَا النَّوْعِ الْأَحَادِيثُ. وَقَدْ خَفِيَ عِلْمُ ذَلِكَ عَلَى الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، فَخَالَفُوا فِي ذَلِكَ، جَهْلًا مِنْهُمْ بِصِحَّةِ الْأَحَادِيثِ، وَعِنَادًا مِمَّنْ عَلِمَ ذَلِكَ وَاسْتَمَرَّ عَلَى بِدْعَتِهِ. وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ تُشَارِكُهُ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ وَالْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا. اهـ و النقول عن الأئمة في هذا كثير في خروج الموحدين من النار ، ولا يخلدون في النار ، والحمد لله .

(١) هو عند أبي داود (٤٧٢٦) ، وأخرجه الإمام ابن خزيمة في "التوحيد" (٢٣٩/١)(١٤٧) وسنده ضعيف فيه محمد بن إسحاق بن يسار وهو مدلس وقد عنعن ، ولم يقبل حديثه إلا إذا صرح ، وقال صاحب "عون المعبود" (١٧/١٣) قال المنذري : قال أبو بكر البزار ، وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ من جهة من الوجوه إلا من هذا الوجه ولم يقل فيه محمد بن إسحاق حدثني يعقوب بن عتبة هذا آخر كلامه .

ومحمد بن إسحاق مدلس ، وإذا قال المدلس عن فلان ولم يقل حدثنا أو سمعت أو

ونستشفع بك على الله ، فقال : « شأن الله أعظم من ذلك ، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه »[1] .

فأقره على قوله : نستشفع بك على الله ، وأنكر عليه قوله : نستشفع بالله عليك ، وسيأتي تمام الكلام في الشفاعة .

وأما التوسل إلى الله سبحانه[2] بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من

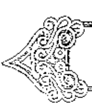
أخبرنا لا يحتج بحديثه وإلى هذا أشار البزار .اهالمراد

(١) لو صح الحديث فالمعنى واضح وذلك أنَّ شأن الله تعالى عظيم ، وكمال صفاته وجلال قدره وفخامة ذكره وسلطانه لا يجعل شفيعًا إلى من هو دونه ومملوكه ، بل الخلق يشفعون عنده بعد إذنه جل جلاله .

❁ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وَالْخَالِقُ جَلَّ جَلَالُهُ أَمْرُهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ شَافِعًا إلَى مَخْلُوقٍ بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَى شَأْنًا مِنْ أَنْ يَشْفَعَ أَحَدٌ عِنْدَهُ إلَّا بِإِذْنِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾، ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٧ – ٢٨، اهالمراد من "الفتاوى" (٣١٧/١) .

والله عز وجل لا يسأل أحدًا من خلقه أن يقضي حوائج عباده بل هو سبحانه الذي يقضيها وييسرها إذا شاء .

(٢) الوسيلة كما قال ابن الأثير رحمه الله في حديث : « **اللَّهُمَّ آت محمد الوسيلة** » : هي في الأصل: مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ ويُتَقَرَّبُ بِهِ، وجَمْعُها: وَسَائِل. يُقال: وَسَلَ إِلَيْهِ وَسِيلَةً، وتَوَسَّلَ. والمُراد بِهِ فِي الْحَدِيثِ القُرْبُ مِنَ الله تَعَالَى ، وقِيل: هِيَ الشَّفاعة يومَ القِيامة ، وقِيل: هِيَ مَنْزِلة مِنْ مَنازِل الجنَّة .اه من "النهاية" (١٨٥/٥).



ربه، فقد قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام [1]: إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى

❁ وقال ابن منظور في «لسان العرب»: الوَسِيلَةُ: المَنْزِلة عِنْدَ المَلِك. والوَسِيلة: الدَّرَجة. والوَسِيلة: القُرْبة. ووَسَّلَ فلانٌ إلى الله وَسِيلَةً إذا عَمِل عَمَلًا تقرَّب بِهِ إِليه. والوَاسِل: الراغِبُ إلى الله؛

قَالَ لَبِيدٌ:

أَرى الناسَ لَا يَدْرونَ مَا قَــدْرُ أَمرِهم ... بَلى كُــلُّ ذِي رَأْيٍ إِلى الله وَاسِــلُ

اهـ المراد.

وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة: ٣٥]

فالوسيلة هنا القربة أي تقربوا إلى الله بالأعمال الصالحة.

❁ قال الإمام ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾، اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه.

وذكر نحوه عن بعض المفسرين.

والتوسل الواجب إلى الله تعالى هو التوسل بالإيمان بالله تعالى وبما وجب من طاعته جل جلاله.

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا التَّوَسُّلُ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بَاطِنًا وَظَاهِرًا فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله ﷺ وَبَعْدَ مَوْتِهِ فِي مَشْهَدِهِ وَمَغِيبِهِ لَا يُسْقِطُ التَّوَسُّلَ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِطَاعَتِهِ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ وَلَا بِعُذْرٍ مِنَ الْأَعْذَارِ. وَلَا طَرِيقَ إِلَى كَرَامَةِ الله وَرَحْمَتِهِ وَالنَّجَاةِ مِنْ هَوَانِهِ وَعَذَابِهِ إِلَّا التَّوَسُّلُ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِطَاعَتِهِ. اهـ من «مقدمة التوسل».

(١) عز الدين بن عبدالسلام هو إمام كبير رَحِمَهُ اللَّهُ، قال الإمام ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (٥/٣٠١): وفيها عزّ الدّين شيخ الإسلام أبو محمد عبد العزيز بن عبد

السّلام ابن أبي القاسم بن الحسن، الإمام العلّامة، وحيد عصره، سلطان العلماء، السّلميّ الدمشقيّ ثم المصريّ الشّافعي .اهـ

❁ وقال الإمام السبكي فيه : شيخ الْإِسْلَام وَالْمُسْلِمين وَأحد الْأَئِمَّة الْأَعْلَام سُلْطَان الْعلمَاء إِمَام عصره بِلَا مدافعة الْقَائِم بِالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر فِي زَمَانه المطلع على حقائق الشَّرِيعَة وغوامضها الْعَارِف بمقاصدها لم ير مثل نَفسه وَلَا رأى من رَآهُ مثله علما وورعا وقياما فِي الْحق وشجاعة وَقُوَّة جنان وسلاطة لِسَان

ولد سنة سبع أَو سنة ثَمَان وَسبعين وَخَمْسمِائة.اهـمن "طبقات الشافعية" (٣٥٤/٤) .

فترى هذا الإمام يمنع التوسل إلى الله بأحد من الناس إلا بالرسول ﷺ إن صح الخبر .

قلت : قد صح لكنه متأول نعم التوسل بذوات المخلوقين محرم وبدعة لم يكن الصحابة رضي الله عنهم يفعلونه مع بعضهم البعض مع أنهم أولياء الله ولم يتوسلوا بالنبي ﷺ بعد موته ، وإنما كانوا يتوسلون إلى الله عز وجل في حياته بدعائه فيقول أحدهم : ادع الله لي بالشفاء ونحو ذلك .

وهذا الحديث الأعمى من هذا الباب .

وقوله أخرجه النسائي(١٠٩٥) من الكبرى والترمذي(٣٥٧٨) وابن ماجه(١٣٨٥) ، وأخرجه أحمد (٤٧٨/٢٨) (١٧٢٤٠) وهو صحيح .

وقد صححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (١٣٨٥) باب صلاة الحاجة ، وفي صحيح الترمذي (٣٥٧٨).

وصححه شيخنا الوادعي رحمه الله في "الجامع الصحيح" .

فأقول هذا الرجل رضي الله عنه هو توسل إلى الله تعالى بدعاء النبي ﷺ وبإيمانه ﷺ لا بذات النبي ﷺ ، فقول الإمام الشوكاني ص(٢٠) ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به ﷺ غير جيد ولا يوافق عليه .

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : فَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِذَاتِهِ فِي حُضُورِهِ أَوْ مَغِيبِهِ أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِ - مِثْلَ الْإِقْسَامِ بِذَاتِهِ أَوْ بِغَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ السُّؤَالِ بِنَفْسِ ذَوَاتِهِمْ بِدُعَائِهِمْ -

إلا بالنبي ﷺ إن صح الحديث فيه .

ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه ، والترمذي وصححه ، وابن ماجه وغيرهم ، أن أعمى أتى إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني أصبت في بصري فادع الله لي ، فقال له النبي ﷺ : توضأ وصل ركعتين ثم قل : « اللَّهُمَّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد يا محمد إني أستشفع بك في رد بصري اللَّهُمَّ شفع النبي فيَّ » ، وقال : «فإن كان لك حاجة فمثل ذلك» فرد الله بصره .

والناس في معنى هذا قولان

فَلَيْسَ هَذَا مَشْهُورًا عِنْدَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بَلْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَمَنْ بِحَضْرَتِهِمَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ لَمَّا أَجْدَبُوا اسْتَسْقَوْا وَتَوَسَّلُوا وَاسْتَشْفَعُوا بِمَنْ كَانَ حَيًّا كَالْعَبَّاسِ وكيزيد بْنِ الْأَسْوَدِ وَلَمْ يَتَوَسَّلُوا وَلَمْ يَسْتَشْفِعُوا وَلَمْ يَسْتَسْقُوا فِي هَذِهِ الْحَالِ بِالنَّبِيِّ ﷺ لَا عِنْدَ قَبْرِهِ وَلَا غَيْرِ قَبْرِهِ بَلْ عَدَلُوا إلَى الْبَدَلِ كَالْعَبَّاسِ وكيزيد بَلْ كَانُوا يُصَلُّونَ عَلَيْهِ فِي دُعَائِهِمْ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْك بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْك بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا. فَجَعَلُوا هَذَا بَدَلًا عَنْ ذَلِكَ لَمَّا تَعَذَّرَ أَنْ يَتَوَسَّلُوا بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَأْتُوا إلَى قَبْرِهِ فَيَتَوَسَّلُوا بِهِ وَيَقُولُوا فِي دُعَائِهِمْ فِي الصَّحْرَاءِ بِالْجَاهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْقَسَمَ بِمَخْلُوقِ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ أَوْ السُّؤَالِ بِهِ؛ فَيَقُولُونَ: نَسْأَلُك أَوْ نُقْسِمُ عَلَيْك بِنَبِيِّك أَوْ بِجَاهِ نَبِيِّك وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ. اهـ من الفتاوى (١/٣١٨-٣١٩).

وهذا فيه رد على الإمام الشوكاني وابن أبي العز و من جرى مجراهم ممن يجوز التوسل بجاه النبي ﷺ أو بذاته وذات غيره من الصالحين ، والله أعلم .

أحدهما : أن التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قال : كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، وهو في صحيح البخاري وغيره .

فقد ذكر عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته في الاستسقاء ، ثم توسل بعمه العباس بعد موته ، وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه ، فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى ، والنبي ﷺ كان في مثل هذا شافعًا وداعيًا لهم .

والقول الثاني : أن التوسل به ﷺ يكون في حياته ، وبعد موته ، وفي حضرته ومغيبه ، ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به ﷺ في حياته ، وثبت التوسل بغيره بعد موته ، بإجماع الصحابة إجماعًا سكوتيًا ؛ لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في التوسل بالعباس رضي الله عنه .

وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبدالسلام لأمرين :

الأول : ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم .

والثاني : أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم ، وهو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة[١] ، ومزاياهم الفاضلة ، إذ لا يكون الفاضل فاضلًا إلا بأعماله.

---

(١) هذا لم يفعله الصحابة رضي الله عنهم أنهم توسلوا بأعمال الأنبياء أو بأعمال النبي ﷺ ، وإنما الشخص يتوسل إلى الله تعالى بأعمال نفسه ، أو بدعاء الرجل الصالح الحي يقال : يا فلان ادع الله لنا بكذا وكذا .

واستدلال الشوكاني رحمه الله بحديث ابن عمر رضي الله عنهما على التوسل إلى الله بأعمال الغير

فإذا قال القائل : اللَّهُمَّ إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني ، فهو باعتبار ما قام به من العلم .

وقد ثبت في «الصحيحين»(١) وغيرهما أن النبي ﷺ حكى عن الثلاثة الذين

أو بذاتهم غير واضح ولا يشفي الغليل بل ضعيف الاستدلال .

❁ وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في حديث الأعمى : فَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ التَّوَسُّلُ بِهِ إِلَى اللهِ فِي الدُّعَاءِ. فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: هَذَا يَقْتَضِي جَوَازَ التَّوَسُّلِ بِهِ مُطْلَقًا حَيًّا وَمَيِّتًا. وَهَذَا يَحْتَجُّ بِهِ مَنْ يَتَوَسَّلُ بِذَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَفِي مَغِيبِهِ وَيَظُنُّ هَؤُلَاءِ أَنَّ تَوَسُّلَ الْأَعْمَى وَالصَّحَابَةِ فِي حَيَاتِهِ كَانَ بِمَعْنَى الْإِقْسَامِ بِهِ عَلَى اللهِ أَوْ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ سَأَلُوا اللهَ بِذَاتِهِ أَنْ يَقْضِيَ حَوَائِجَهُمْ وَيَظُنُّونَ أَنَّ التَّوَسُّلَ بِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَدْعُوَ هُوَ لَهُمْ وَلَا إِلَى أَنْ يُطِيعُوهُ فَسَوَاءٌ عِنْدَ هَؤُلَاءِ دَعَا الرَّسُولُ لَهُمْ أَوْ لَمْ يَدْعُ الْجَمِيعُ عِنْدَهُمْ تَوَسَّلَ بِهِ وَسَوَاءٌ أَطَاعُوهُ أَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ وَيَظُنُّونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْضِي حَاجَةَ هَذَا الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ بِزَعْمِهِمْ وَلَمْ يَدْعُ لَهُ الرَّسُولُ كَمَا يَقْضِي حَاجَةَ هَذَا الَّذِي تَوَسَّلَ بِدُعَائِهِ وَدَعَا لَهُ الرَّسُولُ ﷺ إِذْ كِلَاهُمَا مُتَوَسِّلٌ بِهِ عِنْدَهُمْ وَيَظُنُّونَ أَنَّ كُلَّ مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ تَوَسَّلَ بِهِ كَمَا تَوَسَّلَ بِهِ ذَلِكَ الْأَعْمَى وَأَنَّ مَا أُمِرَ بِهِ الْأَعْمَى مَشْرُوعٌ لَهُمْ. وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ بَاطِلٌ شَرْعًا وَقَدْرًا فَلَا هُمْ مُوَافِقُونَ لِشَرْعِ اللهِ وَلَا مَا يَقُولُونَهُ مُطَابِقٌ لِخَلْقِ اللهِ. اهـ من «التوسل والوسيلة» (٢٥٨) رقم الفقرة (٧٤٠) .

(١) هو عند البخاري برقم (٢٣٣٣) ، ومسلم (٢٧٤٣) وهو عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ، أَخَذَهُمُ المَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ، قَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ، كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَإِنِّي اسْتَأْخَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمْ آتِ حَتَّى

أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا فَرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللهُ، فَرَأَوُا السَّمَاءَ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهَا كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ مِنْهَا، فَأَبَتْ عَلَيَّ حَتَّى أَتَيْتُهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَبَغَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ، وَلاَ تَفْتَحِ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَرْجَةً، فَفَرَجَ، وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ، قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ البَقَرِ وَرُعَاتِهَا، فَخُذْ، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَخُذْ، فَأَخَذَهُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللهُ » . وهذا لفظ البخاري .

وهذا دليل صريح في جواز التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة ، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣ - ١٩٥] ، فالتوسل بالإيمان إلى الله أعظم توسل بأعظم طاعة فالتوسل بطاعة الله وطاعة رسوله إلى الله تعالى ولازم ومطلوب شرعًا ، ومن التوسل المشروع : الدعاء بأسماء الله الحسنى قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

مثل أن يقول : يا رب ارزقني يا الله تب علي وارحمني ، يا غفور اغفر لي يا كريم اكرمني ونحو ذلك .

ومن التوسل المشروع : التوسل بدعاء الرجل الصالح الموجود مثل أن يقول الشخص يا فلان : ادع الله لي بالمغفرة والرحمة ونحو ذلك ، كما كان بعض الصحابة يأتون إلى النبي ﷺ فيقول أحدهم : يا رسول الله : استغفر لي أو ادع الله لي كما ثبت في «الصحيحين» عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ المِنْبَرِ، وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ الله ﷺ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: هَلَكَتِ المَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُغِيثُنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا» قَالَ أَنَسُ: وَلاَ وَالله مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً وَلاَ شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ، وَلاَ دَارٍ قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَالله مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُمْسِكْهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالجِبَالِ وَالآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَانْقَطَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ .وهذا لفظ البخاري رحمه الله (١٠١٣) .

فانظر كيف دعا لهم فكشف الله عنهم الضر في الحال .

وهكذا قال النبي ﷺ لعمر : «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ ...» رواه مسلم (٢٢٥) .

وغير ذلك من الأدلة في هذا المعنى .

وأما ما يفعله بعض الناس من أن يأتي إلى قبر بعض الصالحين فيقول : يا فلان ادع الله

انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة .

فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز ، أو كان شركًا كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبدالسلام ، ومن قال بقوله من أتباعه[1] ، لم

لي أو اشفع لي أو اغفر لي فهذا من الشرك الأكبر .

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : وَيَقُولُونَ: إذَا طَلَبْنَا مِنْهُ الِاسْتِغْفَارَ بَعْدَ مَوْتِهِ كُنَّا بِمَنْزِلَةِ الَّذِينَ طَلَبُوا الِاسْتِغْفَارَ مِنْ الصَّحَابَةِ وَيُخَالِفُونَ بِذَلِكَ إجْمَاعَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَسَائِرَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَطْلُبْ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ وَلَا سَأَلَهُ شَيْئًا وَلَا ذَكَرَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُتُبِهِمْ وَإِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ مَنْ ذَكَرَهُ مِنْ مُتَأَخِّرِي الْفُقَهَاءِ وَحَكَوْا حِكَايَةً مَكْذُوبَةً عَلَى مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ سَيَأْتِي ذِكْرُهَا وَبَسْطُ الْكَلَامِ عَلَيْهَا إنْ شَاءَ الله تَعَالَى. فَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ مِنْ خِطَابِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ عِنْدَ قُبُورِهِمْ وَفِي مَغِيبِهِمْ وَخِطَابِ تَمَاثِيلِهِمْ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الْمَوْجُودِ فِي الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَفِي مُبْتَدِعَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَحْدَثُوا مِنْ الشِّرْكِ وَالْعِبَادَاتِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ الله تَعَالَى. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾. اهـ من «التوسل والوسيلة» ص: (٢٥).

(١) قلت : ابن عبدالسلام إمام ولم يقل إنه شرك ولكنه قال : إنه لا يجوز إلا بالنبي ﷺ كما نقل الشوكاني عنه .

وكما قال ابن تيمية أيضًا في «مجموع الفتاوى» (١٠٢/١) : أَفْتَى الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ فِي فَتَاوِيهِ الْمَشْهُورَةِ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّوَسُّلُ إلَى الله تَعَالَى إلَّا بِالنَّبِيِّ ﷺ إنْ صَحَّ الْحَدِيثُ فِيهِ فَهَلْ قَالَ أَحَدٌ خِلَافَ مَا أَفْتَى بِهِ الشَّيْخُ الْمَذْكُورُ؟ .اهـ

قلت : فابن عبدالسلام لم يقل إنه شرك ولو كان شركًا لا يستثنى أحد من الناس ،

تحصل الإجابة من الله لهم[١] ، ولا سكت النبي ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد

وتقدم النقل عن الأئمة أن التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه غير مشروع ، وإنما التوسل بدعائه في حياته ﷺ ، او يتوسل إلى الله تعالى بحبه ﷺ ، والإيمان به لأنه من العمل الصالح ومتابعته وطاعته ، أما التوسل بالأعمال الصالحة للإنسان نفسه فالجمهور على الجواز.

(١) أقول : هو لا يلزم أن يجب الله كل دعوة ممن دعاه فقد تكون لها موانع أو كما قال النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ الله بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا» قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «الله أَكْثَرُ» . رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (١١١٣٣) وهو صحيح .

فالدعوة من المسلم إن كانت مشروعة بعيدة عن مواضع البدع والحرام فلصاحبها واحدة من ثلاث ، وقد يستجيب الله للشخص دعوته وإن كانت على طريقة غير مشروعة ، إما استدراجًا له ، ومكرًا به كما كان الله يستجيب لبعض المشركين ، أو يكون الداعي مضطرًا كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ٢٢ - ٢٣

فانظر كيف استجاب الله للمشركين لحاجاتهم واضطرارهم .

❁ وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (٢١٥/١ وما بعدها) : ليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضياً عنه، ولا محباً له، ولا راضياً بفعله فإنه يجيب البر

حكايته عنهم ، وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل إلى الله بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾الزمر:٣
وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾الجن:١٨
ونحو قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾الرعد: ١٤
ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو اجنبي عنه .

والفاجر، والمؤمن والكافر، وكثير من الناس يدعو دعاء يعتدي فيه، أو يشترط فى دعائه، أو يكون مما لا يجوز أن يسأل، فيحصل له ذلك أو بعضه. فيظن أن عمله صالح مرضى لله، ويكون بمنزلة من أملى له وأمد بالمال والبنين، وهو يظن أن الله تعالى يسارع له فى الخيرات ، وقد قال تعالى:﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[الأنعام: ٤٤] . فالدعاء قد يكون عبادة فيثاب عليه الداعى. وقد يكون مسألة تقضى به حاجته ويكون مضرة عليه، إما أن يعاقب بما يحصل له، أو تنقص به درجته، فيقضى حاجته ويعاقبه على ما جرأ عليه من إضاعة حقوقه واعتداء حدوده.

والمقصود: أن الشيطان بلطف كيده يحسن الدعاء عند القبر، وأنه أرجح منه في بيته ومسجده وأوقات الأسحار. فإذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى، من الدعاء عنده إلى الدعاء به، والإقسام على الله به، وهذا أعظم من الذى قبله، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه، أو يسأل بأحد من خلقه، وقد أنكر أئمة الإسلام ذلك . اهالمراد

وما عبدت الأوثان والأولياء إلا بسبب الداعي قد يستجيب الله له عند هذه القبور والأوثان فعند ذلك يظن هذا الداعي أنه ما استجيب له إلا بسبب صاحب هذا القبر فيزاد احترامه وتعظيمه لهذا المخلوق وهذا من مكايد الشيطان وابتلاء له .

فإن قولهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ مصرح بأنهم عبدوهم لذلك والمتوسل بالعالم مثلًا لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بجملة العلم فتوسل به وكذلك[1]، قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٨

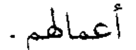
فإنه نهى عن أن يُدعى مع الله غيره، كأن يقول: يا الله و يا فلان.

والمتوسل بالعالم مثلًا لم يدع إلا الله وإنما وقع منه التوسل إليه بعمل صالح عمله بعض عباده، كما توسل الثلاثة[2] الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح

(١) التوسل بالعالم أو بالنبي ﷺ إن كان بدعائه وهو حي موجودفلا بأس وهو جائز عند جماهير العلماء، وأما التوسل إلى الله بذات العالم أو الصالح فهذا محرم وبدعة؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان لم يكونوا يتوسلون بذات النبي ﷺ ولا بغيره من الصالحين، وكما تقدم النقل عن ابن تيمية وغيره رحمهم الله في المنع من ذلك.

(٢) ليس هنا مناسبة بين عمل صالح عمله الغير وإجابة دعاء المتوسل فإن هذا لم يفعله نبينا محمد ﷺ، ولم يتوسل إلى الله بعمل أبيه إبراهيم عليه السلام، ولا بعمل غيره من الأنبياء ولا التابعون كانوا يفعلون ذلك مع أعمال الصحابة، ولا الصحابة مع أعمال النبي ﷺ فلما لم يفعلوا ذلك علم أن هذا غير مشروع واستدلال الشوكاني بتوسل الثلاثة بصالح أعمالهم فنقول هم العاملون لا غيرهم وهذا جائز بلا شك فلو قلت: يا رب اشف مريضي، اللَّهُمَّ إن كنت قرأت هذه السورة من أجلك فأسألك أن تعافي مريضي أو ترد غائبي أو تفرج كربي ونحو ذلك فلا بأس به، إذاً فاستدلاله في غير ما نحن بصدده، وأيضًا الشيطان يتمادى ببعض الناس وينقلهم من مرتبة إلى أخرى.

۞ قال ابن القيم رحمه الله: فإذا قرر الشيطان عنده أن الإقسام على الله به، والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه، وأنجع في قضاء حاجته، نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من



أعمالهم .

وكذلك قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا

دون الله ، ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه ويوقد عليه القنديل، ويعلق عليه الستور، ويبنى عليه المسجد، ويعبده بالسجود له، والطواف به وتقبيله واستلامه والحج إليه والذبح عنده. ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيداً ومنسكاً وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم.

و قال شيخنا قدس الله روحه: "وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب، أبعدها عن الشرع: أن يسأل الميت حاجته، ويستغيث به فيها، كما يفعله كثير من الناس. قال: وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، ولهذا قد يتثمل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب كما يتمثل لعباد الأصنام. وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب، يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحياناً. وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة. وكذلك السجود للقبر، والتمسح به وتقبيله".

والمرتبة الثانية: أن يسأل الله عز وجل به. وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعة باتفاق المسلمين.

الثالثة: أن يسأله نفسه.

الرابعة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه.

فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين. وهى محرمة، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين وإن كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك، ويقول بعضهم: قبر فلان ترياق مجرب.

والحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة، من الكذب الظاهر.

كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ الرعد: ١٤

فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم والمتوسل بالعالم مثلًا لم يدع إلا الله ، ولم يدع غيره دونه ، ولا دعا غيره معه .

فإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجًا زائدًا على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ الانفطار: ١٧ - ١٩

فإن هذه الآيات الشريفة ليس فيها إلا أنه تعالى المنفرد بالأمر يوم الدين ، وأنه ليس لغيره من الأمر شيء .

والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر يوم القيامة ، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء نبيًا أو غير نبي فهو على ضلال مبين ، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى : ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ آل عمران: ١٢٨

وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا ﴾ الأعراف: ١٨٨

فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من أمر الله شيء وأنه لا يملك لنفسه نفًا ولا ضرًا فكيف يملك لغيره ؟ وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء أو العلماء وقد جعل الله لرسوله ﷺ المقام المحمود

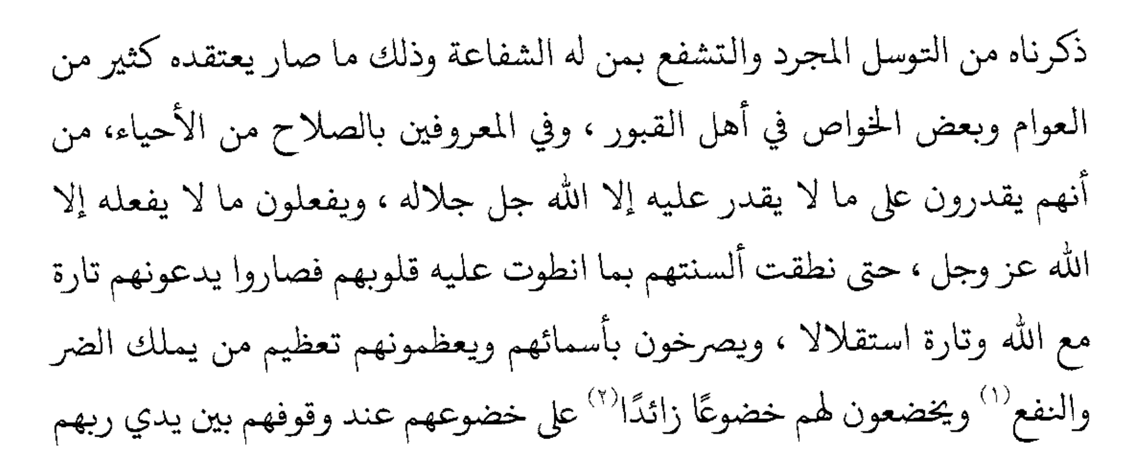
مقام الشفاعة العظمى ، وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه ، وقال له: « **سل تعطه واشفع تشفع**»[(١)] ، وقيد ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى ، وله يأتي تحقيق هذا المقام إن شاء الله تعالى ، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله ﷺ : «لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[الشعراء: ٢١٤] ، يا فلان بن فلان ، لا أملك لك من الله شيئًا ، يا فلانة بنت فلان لا أملك لكِ من الله شيئًا»[(٢)] ، فإن هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه ﷺ لا يستطيع نفع من أراد الله تعالى ضره ولا ضر من أراد الله نفعه ، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلًا عن غيرهم شيئًا من الله ، وهذا معلوم لكل مسلم ، وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي ، وإنما أراد أن الطالب يقدم بين يدي طلبه ما يكون سببًا للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع ، وهو مالك يوم الدين .

وإذا عملت هذا فاعلم أن الرزية كل الرزية والبلية كل البلية أمر غير ما

---

(١)رواه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣) عن أنس رضي الله عنه ، وليس في الحديث دليل على ما أراده الشوكاني من التوسل بذوات الأنبياء والصالحين ، وإنما أهل الموقف سألوه أن يشفع لهم إلى ربهم فيقوم فيدعو لهم ﷺ ، نعم هو لا يشفع إلا بإذن الله كما في الآية المذكورة ، والحديث نفسه فيه «**فاستأذن فأخر ساجدًا**» .

(٢)أخرجه البخاري(٢٧٥٣و٣٥٢٧) ومسلم(٢٠٦) في آخر كتاب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه ، وفي رواية مسلم(٢٠٥) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] قَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ».



ذكرناه من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور، وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء، من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا، ويصرخون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع[(١)] ويخضعون لهم خضوعًا زائدًا[(٢)] على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم

---

(١) قوله رحمه الله في وصف القبوريين الذين يعظمون من يعتقدون صلاحه ويسألونه ما لا يجوز أن يسأل إلا من الله هو كما قال، فبعضهم يسأل منهم الولد فزوجته تأخرت في الإنجاب فيذهب إلى بعض قبور الصالحين فيطلب منهم ذلك، وآخر يسألهم الشفاء لولده أو لمريضه وآخر يسألهم المدد والغوث على خصمه، ويقول لأولياء الله البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا شك أن هذا من الشرك الأكبر كما قال المصنف وغيره من العلماء كما نقلته لك قبل صفحات.

(٢) وقوله رحمه الله: «ويخضعون لهم خضوعًا زائدًا»: نعم تجدهم يبكون بكاءً شديدًا ويضربون صدورهم ويظهرون الندم، هذا حاصل من كثير من المتصوفة و وأمثالهم وبعض من يتبعهم من العوام ويدعون الناس إليهم ويذبحون عندهم الذبائح، وقد قال النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله» رواه مسلم عن علي رضي الله عنه، وقال ربنا جل وعلا: ﴿فصل لربك وانحر﴾ فالنحر عبادة .لا تصرف إلا لله تعالى، وربما سموه هديًا كما يهدى إلى الكعبة، فمن الناس الآن من يحج إلى بعض القبور والمشاهد كقبر علي بن الفضل القرمطي في حراز في اليمن، وهكذا في بلدان أخرى، وهذا من الشرك الأكبر فإن الطواف والحج لا يكون إلا بمكة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ

في الصلاة والدعاء ، وهذا إذا لم يكن شركًا فلا تدري ما هو الشرك وإذا لم يكن كفرًا فليس في الدنيا كفر .

وها نحن أولاء نقص عليك أدلة في كتاب الله سبحانه وتعالى وفي سنة رسوله ﷺ فيها المنع مما هو دون هذا بمراحل ، وفي بعضها التصريح بأنه شرك وهو بالنسبة إلى هذا الذي ذكرناه يسير حقير ، ثم بعد ذلك نعود إلى الكلام على مسألة السؤال .

فمن ذلك : ما أخرجه أحمد[1] في "مسنده" بإسناد لا بأس به[1] ، عن عمران

وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ آل عمران: ٩٦ - ٩٨

فقال : حج البيت ، وقال سبحانه : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ الحج: ٢٩

والنبي ﷺ وأصحابه لم يحجوا ويعتمروا إلا إلى البيت العتيق ، وكذا المسلمون من بعدهم فمن خالفهم في هذا فحج إلى غيره فقد كفر ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥

والشوكاني رحمه الله قد ذكر بعض الأدلة في الباب .

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٠٤/٣٣) وابن ماجه(٣٥٣١) وابن حبان(٦٠٨٥) وسنده ضعيف فيه الحسن عن عمران به ، والحسن هو البصري لم يسمع من عمران رضي الله عنه كما في "التهذيب" ، و"جامع التحصيل" قاله الإمام أحمد وغيره .

وأخرج الحديث الحاكم والطبراني وغيرهما لكنه من طريق الحسن عن عمران وهو لم

بن الحصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلًا بيده حلقة من صفر فقال : « ما هذه؟ » قال : من الواهنة ، قال : « انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا[٢] ، ولو مت وهي عليك ما أفلحت» .

وأخرج أيضًا عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعًا : « من تعلق تميمة فلا أتم االله له[٣] ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له »[١] ، وفي رواية : «من علق تميمة فقد

يسمع من عمران .

(١) وقول المصنف : « بإسناد لا بأس به » :
بل فيه بأس فهو منقطع .

(٢) قوله : « لا تزيدك إلا وهنًا » : أي لا تزيدك إلا ضعفًا وتعبًا .
وقال ابن الأثير رحمه الله : والواهنة عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها ، فيرقى منها .اهـ من « النهاية » .
وإنما اتخذها لتعصمه من الألم ، وهذا فعل محرم ؛ لأن تعليق خيط أو حلقة من صفر أو حديد ، أو يظنها سببًا لدفع العين والشياطين ، وهي ليست بسبب شرعي بل هي من الشرك الأصغر ، أما إذا علقها معتقدًا نفعها بذاتها أو مع الله أو من دون الله فهو شرك أكبر والعياذ بالله ، ويدل على ذلك الحديث الآتي : « من علق تيمية فقد أشرك » لكن الغالب على هؤلاء أنهم يعلقونها يظنونها سببًا فقط كالعلاج والدواء الآخر . اهـ

(٣) أخرجه أحمد (٦٢٣/٢٨)(١٧٤٠٤) وابن حبان (٦٠٨٦)(٤٥٠/١٣) ، والحاكم (٢١٦/٤) وأبو يعلى (٢٩٥/٣)(١٧٥٩) من طريق خالد بن عبيد المعافري ، حدثه عن مشرح بن هاعان عن عقبة به ، وسنده ضعيف فيه خالد بن عبيد لم يوثقه معتبر ، وإنما ذكره ابن حبان في « الثقات » (٦٢/٦) ، وذكره الحسيني في « تعجيل المنفعة » ، وإنما صحت الرواية الثانية وهي عند أحمد (١٧٤٢٢) والحاكم (٢١٩/٤) عن عقبة رضي الله عنه قال : أَنَّ رَسُولَ



أشرك».

الله ﷺ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ، فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا؟ قَالَ: «إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً» فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ» . وسنده جيد ، رجاله من رجال التهذيب ، فانظر كيف ترك النبي ﷺ مبايعة الرجل بسبب أنه علق ودعة وخرزًا وهذه من الخرافات فإنها لا تنفع ولا تضر ولكن لفساد عقيدة حاملها يظن أنها تدفع عنه العين والبلاء.

والتميمة هي ما يتخذ من الخرز أو ما يكتب من الطلاسم ، أو ما يعلق على الصبيان والنساء من حلق صفر أو غيرها.

قال الإمام ابن الأثير : التَّمائِم جَمْعُ تَمِيمَة، وَهِيَ خَرَزات كَانَتِ الْعَرَبُ تُعلّقها عَلَى أَوْلَادِهِمْ يَتَّقُون بِهَا الْعَيْنَ فِي زعْمهم، فأبْطلها الْإِسْلَامُ. اهـ

والودع : قال ابن الأثير أيضًا : «مَنْ تَعَلَّق وَدَعَةً لَا وَدَعَ الله لَهُ» الْوَدَعُ، بالفَتْح والسُّكون: جَمْع وَدَعَة، وَهُوَ شيءٌ أبيضُ يُجْلَب مِنَ البَحْر يُعَلَّق فِي حُلُوق الصِّبْيان وغَيْرِهم. وإنَّما نَهَى عَنْهَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُعَلِّقُونها مَخافَةَ العَيْن. اهـ من «النهاية» .

(١) وَقَوْلُهُ: «لَا وَدَعَ الله لَهُ» : أَيْ لَا جَعَله فِي دَعَةٍ وسُكُون.اهـ

قلت : فأنت ترى أن هذه من عقيدة الجاهلية وتأثر بها بعض المسلمون فمن علقها وظنها سببًا فهذا خرافة ؛ لأنها ليست سببًا لدفع العين ولا لدفع المرض ، وأما من اعتقد وظن أنها تنفع مع الله أو من دون الله فهذا شرك أكبر .

وقال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله في كتابه التوحيد : باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع بلاء أو دفعه

وقول الله تعالى:﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ الزمر: ٣٨

أي فلا يستطيع أحد أن يكشف الضر إلا الله تعالى .

ولابن أبي حاتم[١] عن حذيفة أنه رأى رجلًا في يده خيط للحمى فقطعه وقرأ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف:١٠٦

وفي الصحيح[٢] عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ في

---

(١) في "تفسيره" (٢٢٠٧/٧) بسنده عن عاصم الأحول عن عزرة قال : دخل حذيفة على مريض فذكره ...

فالظاهر أن عزرة هو ابن عبدالرحمن الخزاعي الكوفي ثقة لكن لم تذكر له رواية عن حذيفة فهو مرسل كما في "تهذيب الكمال" وأما عاصم فهو ابن سليمان الأحول ثقة ثبت .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف:١٠٦

۞ قال الإمام ابن جرير رحمه الله : وَمَا يُقِرُّ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ عَزَّ وَجَلَّ صِفَتَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ يوسف: ١٠٥ ، (مُعْرِضُونَ) بالله ، أَنَّهُ خَالِقُهُ وَرَازِقُهُ وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا وَهُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَاتِّخَاذِهِمْ مِنْ دُونِهِ أَرْبَابًا، وَزَعْمِهِمْ أَنَّهُ لَهُ وَلَدًا، تَعَالَى الله عَمَّا يَقُولُونَ . اهـ ، وذكر عن جمع من المفسرين نحو ذلك .

والآن بعض الناس يؤمن بأن الله هو الخالق الرازق ويقول : لا إله إلا الله ، ولكن لا يعرف معناها فتجده يدعو الموتى ويستغيث بهم ويدعو الجن ويستعين بهم ، ويعلق الحروز والتمائم على أولاده ، ويعمل الشركيات ويظن أنه من أهل التوحيد .

فلا بد من تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة لله والتوكل عليه وحده والاستعانة به وحده جل وعلا.

(٢) صحيح البخاري (٣٠٠٥) ومسلم (٢١١٥) في اللباس .

وقال الإمام النووي رحمه الله : وَقَوْلُ مَالِكٍ أُرَى ذَلِكَ مِنَ الْعَيْنِ هُوَ بِضَمِّ هَمْزَةِ أُرَى أَيْ

بعض أسفاره، فأرسل رسولًا: «أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر إلا قطعت».

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»[1].

أَظُنُّ أَنَّ النَّهْيَ مُخْتَصٌّ بِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِسَبَبِ رَفْعِ ضَرَرِ الْعَيْنِ وَأَمَّا مَنْ فَعَلَهُ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ زِينَةٍ أَوْ غَيْرِهَا فلابأس، قال الْقَاضِي الظَّاهِرُ مِنْ مَذْهَبِ مَالِكٍ أَنَّ النَّهْيَ مُخْتَصٌّ بِالْوَتَرِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْقَلَائِدِ قَالَ وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَقْلِيدِ الْبَعِيرِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانِ مَا لَيْسَ بِتَعَاوِيذَ مَخَافَةَ الْعَيْنِ فَمِنْهُمْ مَنْ مَنَعَهُ قَبْلَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَأَجَازَهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ لِدَفْعِ مَا أَصَابَهُ مِنْ ضَرَرِ الْعَيْنِ وَنَحْوِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَجَازَهُ قَبْلَ الْحَاجَةِ وَبَعْدَهَا كَمَا يَجُوزُ الِاسْتِظْهَارُ بِالتَّدَاوِي قَبْلَ الْمَرَضِ هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ كَانُوا يُقَلِّدُونَ الْإِبِلَ الْأَوْتَارَ لِئَلَّا تُصِيبَهَا الْعَيْنُ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بإزالتها اعلاما لهم أن الأوتار لا ترد شَيْئًا وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ وَغَيْرُهُ مَعْنَاهُ لا تقلدوها أَوْتَارَ الْقِسِيِّ لِئَلَّا تَضِيقَ عَلَى أَعْنَاقِهَا فَتَخْنُقَهَا. اهـمن «شرح النووي» (٩٩/٧).

قلت: النبي ﷺ أمر بقطع القلائد من الوتر ونحوها حراسة لجناب التوحيد وليعتمدوا على الله تعالى في دفع ضرر العين وغيرها.

وأما على تفسير محمد بن الحسن ومن وافقه فيكون من باب الاشفاق عليهم في أموالهم ورحمة بالحيوان.

(١) أخرجه أحمد (١١٠/٦)(٣٦١٥)، وأبو داود(٣٨٨٣) وفي سنده ابن أخي زينب امرأة عبدالله بن مسعود وهو مجهول حال روى عنه اثنان ولم يوثقه معتبر ولكنه متابع عند الحاكم (٤١٧/٤-٤١٨) تابعه عبدالله بن عتبة لكن في سند الحاكم محمد بن مسلمة الكوفي لم نجد ترجمته والظاهر أنه تصحف وهو محمد بن سلمة الكوفي بدون ميم في أوله.

ففي «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢٧٦/٧) قال محمد بن سلمة صاحب الأعمش روى عن الأعمش وروى عنه موسى بن أعين سمعت أبي يقول ذلك، وسألته عنه فقال:

هو شيخ لا أعرفه ، وحديثه ليس بمنكر .اهـ

فالظاهر أنه هذا ، وحديثه يصلح في الشواهد والمتابعات .

وقد صحح الحاكم هذا الحديث ، وقال الألباني هو كما قال ، كما في "الصحيحة" (٣٣١) وبسط القول فيه تحت رقم (٢٩٧٢) .

والمعنى أن الرقى التي فيها دعاء الجن والأموات ونحو ذلك من الشركيات ، فهي شرك .

والتولة : التي هي من فعل السحرة في تحبيب الزوجة إلى زوجها أو العكس هذا من الشرك أيضًا .

وقال الإمام البيهقي رحمه الله (٣٥٠/٩) بعد إخراج الحديث : قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَمَّا التِّوَلَةُ فَهِيَ بِكَسْرِ التَّاءِ وَهُوَ الَّذِي يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا ، هُوَ مِنَ السِّحْرِ وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ ، وَأَمَّا الرُّقَى وَالتَّمَائِمُ فَإِنَّمَا أَرَادَ عَبْدُ اللهِ مَا كَانَ بِغَيْرِ لِسَانِ الْعَرَبِيَّةِ مِمَّا لَا يُدْرَى مَا هُوَ. قَالَ الشَّيْخُ: وَالتَّمِيمَةُ يقَالُ إِنَّهَا خَرَزَةٌ كَانُوا يَتَعَلَّقُونَهَا يَرَوْنَ أَنَّهَا تَدْفَعُ عَنْهُمُ الْآفَاتِ، وَيُقَالُ قِلَادَةٌ تُعَلَّقَ فِيهَا الْعُوَذُ .اهـ

وقال البيهقي رحمه الله : وَهَذَا كُلُّهُ يَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّهُ إِنْ رَقَى بِمَا لَا يُعْرَفُ أَوْ عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ إِضَافَةِ الْعَافِيَةِ إِلَى الرُّقَى لَمْ يَجُزْ ، وَإِنْ رَقَى بِكِتَابِ اللهِ أَوْ بِمَا يَعْرِفُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ مُتَبَرِّكًا بِهِ وَهُوَ يَرَى نُزُولَ الشِّفَاءِ مِنَ اللهِ تَعَالَى فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ .اهـ من "سننه" (٣٥١/٩) .

قلت : وهذا تفصيل حسن ، فالرقى المشروعة من قراءة قرآن كالفاتحة والمعوذات ونحوها، وكالأدعية المأثورة وما لا إثم فيها فجائز ولا حرج ، فالنبي ﷺ قال : « لا بأس بالرقية ما لم تكن شركًا » ، رواه مسلم (٢٢٠٠) .

وفي حديث آخر قال رجل يا رسول الله إني أرقي ، فقال : « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » رواه مسلم (٢١٩٩) .

وهذه الرقى من أسباب الشفاء ، فهي أسباب شرعية لدفع ضرر العين والسحر وغير ذلك

وأخرج أحمد والترمذي عن عبدالله بن عكيم[١] مرفوعًا : « من تعلق شيئًا وكل إليه » .

وأخرج أحمد[٢] عن رويفع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا رُوَيْفِعُ،

من الأمراض ، وإما إذا رقي بكلام غير مفهوم أو تكلم بكلام لا يعرف معناه أو بكلام شرك ولا يعلم أنه شرك لجهله وظن أنه سبب في الشفاء والله هو الذي ينزل الشفاء فهذا لا يجوز فعله ، ويسمى شركًا أصغر والله أعلم .

فيحذر الناس من هذه الأفعال المحرمة الشركية ولا يكفرون لأن جمهورهم يجهلون مثل هذه الأمور الشركية ، وأهم شيء عندنا تحذيرهم من الشرك وإقامة الحجة عليهم .

فيحذر الشخص أيضًا أن يذهب يرقي عند شخص قد عرف بالكهانة والشعبذة والسحر فربما يخلط بين الأذكار المشروعة والشركية .

فالآن لما علم الناس تلبيس السحرة والكهنة قال بعض السحرة والكهنة نحن نرقي بالقرآن والسنة وهم يكذبون وإنما يموهون ، وبعضهم يقول : نحن نعالج بالأعشاب ويتمتم عليها ، ويقول : نحن نرقي ، وهي خديعة منهم للعامة .

(١) عند أحمد (٣١/٧٧) والترمذي(٢٠٧٢) ، وأخرجه الحاكم من طريق محمد بن أبي ليلى عن عيسى بن عبدالرحمن قال : دخلنا على عبدالله بن عكيم وهو مريض نعوده فقيل له : لو تعلقت شيئًا فذكره .

وهذا سند ضعيف ، محمد بن أبي ليلى ضعيف و هو فقيه .

وقوله ابن عكيم : هو الصواب كما في هذه المراجع وغيرها ، وهو لم يسمع من النبي ﷺ وإنما جاءه كتابه ﷺ ، وسنده ضعيف ولكن متن الحديث له شواهد تقدمت والحمد لله .

(٢)هو في المسند (٢٨/٢٠٤و٢١٠)(١٧٠٠٠) وأخرجه أبو داود (٣٦) من طريق عياش بن عباس عن شييم بن بيتان أخبره عن شيبان القتباني عن رويفع به .

وشيبان هذا مجهول كما في التقريب ، وقد رواه النسائي (١٣٥/٨)(٥٠٦٧) من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح عن عياش بن عباس القتباني أن شييم بن بيتان حدثه أنه سمع رويفع بن ثابت رضي الله عنه فذكره .

وظاهر السند الصحة لولا الخلاف المذكور وهي إحدى روايات أحمد(١٦٩٩٦) من طريق ابن لهيعة قال حدثنا عياش بن عباس به ، وهذه متابعة لحيوة فتقوي عدم ذكر شيبان لأن حيوة بن شريح ثقة و متابعة ابن لهيعة له تقويه فيصح الحديث ؛ لأن المفضل الذي خالف حيوة هو ابن فضالة القتباني أرفع شيء أنه ثقه فلا تضر مخالفته والله أعلم ، وأيضًا لفظة : « من تقلد وترًا » لها شواهد في الجملة في تحريم تعليق الوتر على عنق الدابة أو ذراع الصبي لدفع العين أو السحر ونحوه كما تقدم .

وأما الاستنجاء وهو رفع النجاسة من القبل أو الدبر برجيع دابة أو عظم لها شواهد ، ففي «صحيح مسلم » عن سلمان وفيه : « نهى أن يستنجي برجيع» .

ورجيع الدابة مخلفاتها من بعر ونحوه .

فإن كانت الدواب مما يؤكل لحمها كالإبل والبقر والغنم فالمنع لأن البعر علف لدواب الجن ، كما في الصحيح : نهى النبي ﷺ عن ذلك .

وقيل غير ذلك .

وإن كانت روث ما لا يؤكل لحمه ؛ لأنها نجسة كروث الحمار والبغل وهي لا تزيل النجاسة لأنها نجسة ، وأما العظم فنهي عن الاستنجاء به لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك ، وأيضًا جاء أن العظام التي يذكر اسم الله عليها أوفر ما تكون لحمًا للجن المؤمنين ، وقيل : هي ملساء لا تنقي ، والله أعلم .

وقوله : «أو عقد لحيته » : قال ابن الأثير في «النهاية» باب عقد قِيلَ: هُوَ مُعَالجتُها حَتَّى تَتَعَقَّد وتَتَجعَّد.

وَقِيلَ: كَانُوا يَعْقِدُونها فِي الحُرُوب، فأمَرهم بِإِرْسَالِهَا، كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ تكَبُّرا وعُجْباً. اهـ

لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوْ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أَنْزَلَ الله عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ » .

فانظر كيف جعل الرقى والتمائم والتولة شركًا ، وما ذلك إلا لكونها مظنة لأن يصحبها اعتقاد أن لغير الله تأثيرًا في الشفاء من الداء ، وفي المحبة والبغضاء ، فكيف بمن نادى غير الله ، وطلب منه ما لا يطلب إلا من الله ، واعتقد استقلاله بالتأثير أو اشتراكه مع الله عز وجل؟

ومن ذلك : ما أخرجه الترمذي وصححه[1] عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ: أَنَّهُمْ خَرَجُوا

وعلى كل حال فينبغي ترك عقدها والابتعاد عن ذلك، وأيضًا فيه تشويه لمنظر الشخص والله أعلم.

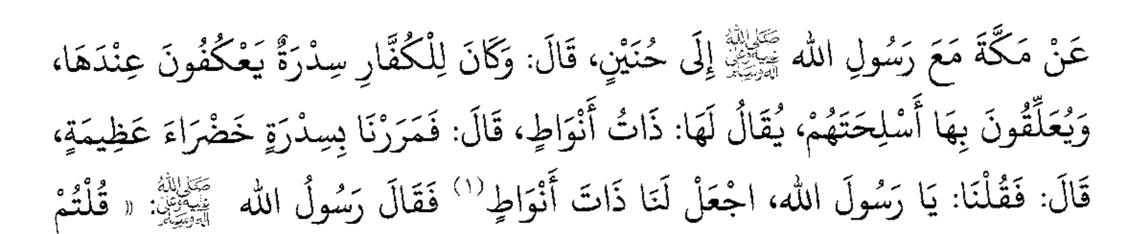
(١)هو برقم (٢١٨٠) ، وأخرجه عبدالرزاق في آخر مصنفه (٣٦٩/١١) ، والطيالسي(١٣٤٦) ، والحميدي(٨٧١) من طرق عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي به .

وسنان وثقه العجلي وذكره ابن حبان في «الثقات» .

وقال الحافظ في «التقريب» هو المدني ثقة روى له البخاري ومسلم فالحديث صحيح إن شاء الله ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي واسم أبي واقد قال في «الإصابة» (٧٧/١٣) الحارث بن مالك ، وقيل عوف بن الحارث بن أسد مشهور بكنيته.

وقال ابن سعد : أسلم قديمًا وكان يحمل لواء بني ليث وضمرة وسعد بن بكر يوم الفتح وحنين وفي غزوة تبوك يستنفر بني ليث وكان خرج إلى مكة فجاور بها سنة ، وقال الزهري : أسلم يوم الفتح فالله أعلم .اهالمراد

وفي الحديث التحذير من مشابهة الكفار في عباداتهم.


عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ[١] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « قُلْتُمْ

(١) هم كانوا أسلموا قريبًا لم يكن بينهم وبين الكفر مدة طويلة ، ولم يكن عندهم علم في التوحيد فلهذا لما رأوا المشركين يعكفون عند سدرة أي يلازمونها ويتبركون بها ويتمسحون بها ويعلقون عليها أسلحتهم تبركًا ، قالوا لرسول الله ﷺ : اجعل لنا ذات أنواط ، فأنكر عليهم ﷺ وقال : « الله أكبر » تعظيمًا وتنزيهًا لله من النقائص والشريك ، ولم يكفرهم لعدم علمهم بالتحريم ، وعذرهم ولكن بين لهم أن هذا من طرق بني إسرائيل فقال : « قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل – وهم اليهود– اجعلنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون » .

فالله عز وجل هو الذي نجاهم من عدوهم وجاوز بهم البحر ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[الأعراف: ١٣٨]

فهذا يدل على جهلهم وإلا كان الواجب أن يشكروا الله سبحانه وتعالى على ما أنعم به عليهم من النجاة من فرعون وجنوده .

فالأصنام لا تنفع ولا تضر ، بل لم تغن عن فرعون وجنوده شيئًا ، وكانوا يعبدونها ليلًا ونهارًا ، فكذلك من يعبد القبور وأهلها هي لا تغني عنه شيئًا ، وكذلك من طلب البركة من حجر أو شجر فهي أصلًا عاجزة لا تنفعه بشيء وإنما أشرك بالله وضل .

۞ و قال ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ : مثالا نعبده وصنما نتخذُه إلهًا، كما لهؤلاء القوم أصنامٌ يعبدونها. ولا تنبغي العبادة لشيء سوى الله الواحد القهار. وقال موسى صلوات الله عليه: إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجبَ حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [ص:٢٢٦][الأعراف: ١٣٨] إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ »(١).

سوى الله الذي له ملك السموات والأرض .اهمن «تفسيره» (٤٥/٦)(٢٣٨) .

(١) وقوله ﷺ : « لتركبن سنن من كان قبلكم » : أي لتعملن عملهم ، وسنن : الطرق أي طرق من كان قبلكم من اليهود والنصارى ، كما ثبت في «الصحيحين» عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ» .رواه البخاري (٧٣٢٠)ومسلم (٢٦٦٩) .

وقوله : شبرًا بشبر : أي تتابعون في كل صغيرة وكبيرة ، في عباداتهم الباطلة مثل اتخاذ القبور مساجد ، كما قال ﷺ : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » متفق عليه .

وهكذا تعظيم الصالحين حتى جعلوهم آلهة من دون الله فيسألونهم ويستغيثون بهم في جلب المصالح أو دفع المضار ، وفي هذه الأزمان جاءوا بضلالة جديدة وكفر جديد ، وهي الديمقراطية التي هي حكم الشعوب نفسها بنفسها ، أي ليس لله حكم ولا لرسوله ﷺ ، والله سبحانه يقول : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ يوسف: ٤٠

وقوله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥

وقالوا : الشعب هو صاحب السلطة يشرع ويفعل ما شاء ، قال الله تعالى رادًا على مثل هؤلاء : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾

الشورى: ٢١

ويعتمدون على الكثرة فإذا صوت الأكثر على أمر وشيء ولو كان حرامًا قالوا : وجب !

وكما لو صوت مجلس النواب أو غيره على الاقتراض بالربا فالأكثر قالوا : المصلحة تقتضي الاقتراض قالوا : خذوا ، ولا ينظرون إلى تحريم الشرع للربا وهذا من الكفر.

فليس المعنى أنا نكفر من فعل ذلك ولكن هذا الفعل كفر ؛ لأنه تشريع لما لم يأذن به الله .

وأما الفاعل فينظر فيه هل هو جاهل أو متأول أو مكره فلا يكفر المعين إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع ، لكن الديمقراطية طريقة كفرية لا إسلامية ، ومن شرورها العظيمة الدعوة إلى حرية الأديان ، يعني لك أن تصير يهوديًا أو اشتراكيًا أو نصرانيًا أو .... إلخ .

وأشياء أخرى مثل انتخاب المرأة للإمارة والرياسة وهذا حرام عند عامة العلماء لما فيه من الفتنة وعدم فلاح الأمة ، وقد قال ﷺ : « لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . رواه البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه .

وهكذا يقولون : الديمقراطية هي الحرية ، فيجوز للمرأة الخروج من البيت ولو بدون إذن وليها ، ومخالطة الرجال الأجانب ، ويقولون حرية العقيدة وينكرون الدين ، يعنون أن للشخص أن يخرج عن دين الإسلام إلى أي ملة أخرى وإنكار الدين والرب سبحانه .

فالذي يجوز لأحد الخروج من الإسلام إلى غيره كافر ؛ لأنه يبيح الردة ، وقال بعض الحزبيين ممن يدعي أنه داعية إلى الإسلام يوم ثورة مصر سنة ٢٠١١م : لا نريد دولة دينية ولكن نريد دولة مدنية – أي علمانية- .

وقال بعضهم الحرية مقدمة على الدين ، وقال آخر الدين لله والوطن للجميع ، والحق أن الدين والوطن لله وحده ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ

وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الأعراف: ١٢٨

وقال النبي ﷺ حين أجلى بعض اليهود من المدينة كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي المَسْجِدِ، خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ»، فَخَرَجْنَا حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ المِدْرَاسِ فَقَالَ: «أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لله وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ، فَمَنْ يَجِدْ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لله وَرَسُولِهِ» .رواه البخاري(٣١٦٧) ومسلم(١٧٦٥).

فالنبي ﷺ أراد إخراجهم من أرض المدينة ؛ لأن الله خلق الأرض ليسكنها أهل طاعته ، لا أهل الكفر ، فلهذا شرع الله الجهاد ، إدخال الناس في الدين وإذلالاً للمشركين .

ومخالفات الديمقراطية للدين كثيرة ، ولكن من المسلمين من يأخذ بها جهلًا ويقول تمويهًا على المشركين ، وفي الحقيقة هي ضرت حكام المسلمين الذين قبلوها وخربت حكوماتهم ، وشعوبهم ، فالحذر منها فهي ضد الدين والدنيا .

وفي الحديث أيضًا التحذير من تقليد أعداء الإسلام في عقائدهم وملابسهم الخاصة بهم ، وما يخصهم من العادات المخالفة للشرع وكذا أعيادهم .

وكلام الشوكاني رحمه الله جيد ، لكن عباد القبور لا يقرأون كتب السنة ، وكتب عقيدة أهل السنة ، وإذا سمعوا من يدرسها ويعلمها قالوا : هذا سلفي ، وهذا متشدد ؛ ليصرفوا الناس عن الخير .

وربما يقولون : هذا يكفِّر الناس ، وهم يقولون : لا إله إلا الله ونقول : نعم هم يقولونها ولكن لا يعملون بمقتضاها ، بل يعملون ما يناقضها حسبنا الله عليهم .،

وأهل السنة معرفون من سيرتهم أنهم لا يكفرون أحدًا من المسلمين إلا من حكم الشرع بكفره واتصل بصفات أهل الكفر والشرك ، وها هي كتبهم مبثوثة بين الناس، فهم أبعد الناس عن التكفير بحمد الله تعالى .

فهؤلاء إنما طلبوا أن يجعل لهم شجرة ينوطون بها أسلحتهم كما كانت الجاهلية تفعل ذلك، ولم يكن قصدهم أن يعبدوا تلك الشجرة، أو يطلبوا منها ما يطلبه القبوريون من أهل القبور فأخبرهم ﷺ أن ذلك بمنزلة الشرك الصريح، وأنه بمنزلة طلب آلهة غير الله تعالى.

ومن ذلك: ما أخرجه مسلم رحمه الله في "صحيحه"[1] عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

---

(١) قوله رحمه الله: ما أخرجه مسلم في "صحيحه": أي برقم (١٩٧٨) عن علي رضي الله عنه.

❁ قوله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»: اللعن هو الطرد من رحمة الله فمن ذبح تقربًا إلى حجر أو شجر أو صنم أو قبر تعظيمًا لذلك المخلوق فهذا من الشرك الأكبر إذا مات صاحبه قبل التوبة الصادقة فهو في النار.

وأما من ذبح عند قبر ويظن أنها تحصل بركة له وقصده القربة إلى الله فهذا يحرم وظنه مخطئ، فعليه التوبة، وهذا من وسائل الشرك، وهو من حيل السدنة وعلماء السوء الذين يفتون العوام بذلك، والعامة يجهلون مثل هذه الأحكام فيعملون الأعمال المحرمة وهم لا يشعرون، وقد يظنون أنهم يتقربون إلى الله وهم يتباعدون عنه سبحانه.

والذبح القربة لا يكون إلا لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢]

فالنسك الذبح والنسك قد يراد به الطاعة عمومًا يقال: رجل ناسك أي عابد.

❁ وقال الإمام النووي رحمه الله (١٥١/٧): وَالْمُرَادُ بِمَنَارِ الْأَرْضِ بِفَتْحِ الْمِيمِ عَلَامَاتُ حُدُودِهَا وَأَمَّا الْمُحْدِثُ بِكَسْرِ الدَّالِ فَهُوَ مَنْ يَأْتِي بِفَسَادٍ فِي الْأَرْضِ وَسَبَقَ شَرْحُهُ فِي آخِرِ كِتَابِ الْحَجِّ.

وَأَمَّا لذبح لِغَيْرِ الله فَالْمُرَادُ بِهِ أَنْ يَذْبَحَ بِاسْمِ غَيْرِ الله تَعَالَى كَمَنْ ذَبَحَ للصنم أو الصليب أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا نص عليه الشافعي واتفق عليه

أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له، كان ذلك كفرًا، فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًا. اهـ ط : عالم الكتب.

فنقول لمن يدعي أنه مسلم وأنه على مذهب الشافعي أو غيره وهو يذبح للقبور تعظيمًا لذلك وعبادة قد خالفت الكتاب والسنة ومذهب الأئمة الذين تدعي أنك على مذهبهم وهم براء منك ومن عملك.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : قوله تعالى: {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ} [المائدة: ٣] ظاهره: أنه ما ذبح لغير الله، مثل أن يقال: هذا ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود: فسواء لفظ به أو لم يلفظ. وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: باسم المسيح، ونحوه، كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: باسم الله، فإن عبادة الله سبحانه بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالصلاة لغيره والنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور. فإذا حرم ما قيل فيه: باسم المسيح، أو الزهرة؛ فلأن يحرم ما قيل فيه: لأجل المسيح والزهرة أو قصد به ذلك، أولى.

وهذا يبين لك ضعف قول من حرم ما ذبح باسم غير الله، ولم يحرم ما ذبح لغير الله، كما قاله طائفة من أصحابنا وغيرهم، بل لو قيل بالعكس لكان أوجه، فإن العبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله.

وعلى هذا: فلو ذبح لغير الله متقربا به إليه لحرم وإن قال فيه: بسم الله، كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال. اهـ من «اقتضاء الصراط» (٢/٦٤-٦٥).

وفي الحديث التحذير من عقوق الوالدين ، ومن الكبائر لعنهما أو لعن أحدهما ، والتحذير من إيواء المحدثين في الأرض المفسدين مثل من يقتل شخصًا ظلمًا وعدوانًا ويلتجئ إلى قبيلة أو شخص كما يفعل بعض المجرمين يتخرج إلى قبيلة ويقول أنا منكم فيمنعونه من إعطاء الحق.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال :حَدَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ بكلمات أربع : «لَعَنَ الله مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ الله مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ الله مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ الله مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ» .

وأخرج أحمد رَحِمَهُ اللهُ عن طارق بن شهاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [(1)]أن رسول الله ﷺ

وكذلك من يحدث في الدين البدع كالخوارج ومن يأتي بالحزبية ويجوز الخروج على ولاة الأمر ، فيقوم الحاكم بتأديبه ، فيقوم بعض الناس بالتظاهر معه ويمنعونه من الحق ، ويقولون : حرية وديمقراطية ، وهكذا يفعلون المصائب ويتذرَّعون باسم الحرية والديمقراطية ، فالرضا بمثل هذه الأفعال وحب أهلها والدفاع عنهم إثم و حرام ، بل توجب اللعنة على صاحبها ، بل الواجب الإنكار على العاصي والتعاون مع المحق قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢]

وقال ﷺ : «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ» . رواه البخاري(٢٤٤٣) وغيره ، ولا يصلح المجتمع إلا بذلك .

والذين يتعاونون مع عباد القبور والسدنة ويمنعون أهل الحق من الأخذ على أيديهم يدخلون تحت لعنة رسول الله ﷺ ، وربما قالوا اتركوها فهي آثار ، وربما قالوا : ديمقراطية وحرية .

(١) ۞ قوله رَحِمَهُ اللهُ « عن طارق بن شهاب » : هو صحابي رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه لكن حديثه مقبول فهو مرسل صحابي كبير ، وحديثه عند أحمد في «الزهد» (٢٢) ، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٠٣/١) ، من طريق الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن سلمان من قوله لا مرفوعًا .

وقال أبو نعيم : وراه شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق مثله ، ورواه جرير عن منصور عن المنهال بن عمرو عن حيان بن مرثد عن سلمان نحوه ، ورواه البيهقي في «الشعب» من طريق محاضر بن الوزع قال حدثنا الأعمش عن الحارث عن شبل عن طارق قال :

قال سلمان دخل رجل ... فذكره .

فهذه الطرق إلى سلمان تؤكد أن الحديث موقوف ، كما في «شعب الإيمان» للبيهقي (٤٨٥/٥) (٧٣٤٣)، فلعل الشوكاني قلد غيره في نسبة الحديث إلى النبي ﷺ .

وقوله : « دخل رجل النار في ذبابة ... » : هذا إن كان مسلمًا فهو معذور بالإكراه كما قال الله عز وجل : ﴿  ﴾ .

فلا يكفر من فعل شيئًا كفريًا مكرها كما هو مقرر في شريعتنا وإلا فهذا الرجل كان كارهًا ثم قرب الذباب بعد ذلك راضيًا بعبادة الأصنام واطمأن قلبه بذلك فكفر بذلك أو كان في شرع من قبلنا لا يعذرون بالإكراه .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في شرح «كتاب التوحيد» : وفي هذا الحديث: التحذير من الوقوع في الشرك، وأن الإنسان قد يقع فيه وهو لا يدري أنه من الشرك الذي يوجب النار.

وفيه: أنه دخل النار بسبب لم يقصده ابتداء، وإنما فعله تخلصا من شر أهل الصنم. أن ذلك الرجل كان مسلما قبل ذلك، وإلا فلو لم يكن مسلما لم يقل دخل النار في ذباب.

وفيه: أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان ،اهـ «فتح المجيد»(١٣١) .باب ما جاء في الذبح لغير الله .

وفيه التحذير من التقرب بالذبائح لغير الله ولو كانت صغيرة فبعض الكهنة إذا مرضت المرأة أو الصبي قالوا يدار عليه بديك أسود أو أحمر أو جدي سبع مرات ثم يذبح ثم يرمي به ، وهم يقصدون الذبح للجن ، وهذا الذبح شرك وحرام .

وفي الحديث فضل الثبات على التوحيد وعدم موافقة المشركين ولو بالعمل الظاهر فقط ، فالرجل المؤمن ثبت ولم يقرب ذبابًا فقتلوه فدخل الجنة .

وكما صبر أصحاب الأخدود فالملك الظالم أمر بالأخاديد فحفرت فأضرمت فيها النيران، وقال من لم يرجع عن دينه ألقوه في النار ففعلوا ، فجاءت امرأة ومعها صبي فلما وقفت على النار تقاعست أي وقفت فقال لها الغلام : اصبري فإنك على الحق

قال : «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ آخَرُ النَّارَ فِي ذُبَابٍ»، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: " مَرَّ رَجُلَانِ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ عَلَى نَاسٍ مَعَهُمْ صَنَمٌ لَا يَمُرُّ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا قَرَّبَ لِصَنَمِهِمْ، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمْ: قَرِّبْ شَيْئًا، قَالَ: مَا مَعِي شَيْءٌ، قَالُوا: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا وَمَضَى فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ شَيْئًا، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ دُونَ

فرمت بنفسها في النار . رواه مسلم عن صهيب رضي الله عنه ، وفيه قصة الغلام مع الساحر.

والإمام الشوكاني رحمه الله ساق هذه الآيات التي تدل على إفراد الله بالعبادة أي عبادة كانت وسواء كانت من إراقة دماء للأنعام أو كانت دعاء أو نذرًا أو صلاة أو غير ذلك من العبادة فمن مات على اخلاص العبادة دخل الجنة كما قال النبي ﷺ : « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » رواه مسلم عن عثمان رضي الله عنه .

وقال ﷺ : « من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار» رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه .

فقوله سبحانه و تعالى : ﴿اعبدوا الله﴾ أي وحدوه ، ﴿مالكم من إله غيره﴾ أي معبود غيره ، فهو المعبود الحق ، وما عبد من دونه فقد عبد بباطل كما قال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[الحج: ٦٢]

وقوله تعالى : ﴿ وإياي فاعبدون﴾ هذا ضمير الفصل مفعول مقدم فقدمه على الفعل للاختصاص ﴿فاعبدون﴾ فعل وفاعل أي اعبدوا الله واصرفوا العبادة لله وحده .

﴿إياك نعبد﴾ أي لا نعبد إلا إياك ، وقوله تعالى ﴿ وقضى ربك ﴾ أي أمر وحكم ، ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ المعنى واضح والحمد لله فالذين يصرفون بعض العبادات لغير الله من شجر أو حجر أو قبر أو لجني فهو مخالف لهذه النصوص وغيرها التي فيها الأمر بإخلاص العبادة لله عز وجل .

الله فَقَتَلُوهُ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ » .

فانظر لعنة رسول الله ﷺ لمن ذبح لغير الله ، وإخباره بدخول من قرب لغير الله النار ، وليس في ذلك إلا مجرد كون ذلك مظنة للتعظيم الذي لا ينبغي إلا لله ، فما ظنك بما كان شركًا بحتًا .

قال بعض أهل العلم : إن إراقة دماء الأنعام عبادة ؛ لأنها إما هدي أو ضحية أو نسك ، وكذلك ما يذبح للبيع ؛ لأنه مكسب حلال فهو عبادة .

ويتحصل من ذلك شكل قطعي هو أن إراقة دماء الأنعام عبادة ، وكل عبادة لا تكون إلا لله فإراقة دماء الأنعام لا تكون إلا لله ، ودليل الكبرى قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ الأعراف: ٥٩ ، ﴿ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ العنكبوت:٥٦ ، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة: ٥ ، ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ الإسراء:٢٣ ، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ البينة: ٥

ومن ذلك : أنه ﷺ نهى عن الحلف بغير الله ، وقال : « من حلف فليحلف بالله أو ليصمت»[1] .

---

(١) رواه البخاري(٦٦٤٦) ومسلم (١٦٤٦) أي من أراد أن يحلف وهو صادق فليحلف بالله لا بغيره أو ليصمت أي يسكت ولا يحلف .

❁ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : قَالَ الْعُلَمَاءُ السِّرُّ فِي النَّهْيِ عَنِ الْحَلِفِ بِغَيْرِ الله أَنَّ الْحَلِفَ بِالشَّيْءِ يَقْتَضِي تَعْظِيمَهُ وَالْعَظَمَةُ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هِيَ لله وَحْدَهُ وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ تَخْصِيصُ الْحَلِفِ بِالله خَاصَّةً لَكِنْ قَدِ اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْيَمِينَ تَنْعَقِدُ بِالله وَذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الْعَلِيَّةِ وَاخْتَلَفُوا فِي انْعِقَادِهَا بِبَعْضِ الصِّفَاتِ ... وقال : قال ابن عبدالبر : لَا يَجُوزُ الْحَلِفُ بِغَيْرِ الله بِالْإِجْمَاعِ وَمُرَادُهُ بِنَفْيِ الْجَوَازِ الْكَرَاهَةُ أَعَمُّ مِنَ التَّحْرِيمِ وَالتَّنْزِيهِ

وقال : « من حلف بملة غير الإسلام لم يرجع إلى الإسلام سالمًا»[1] أو كما

فَإِنَّهُ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْيَمِينَ بِغَيْرِ الله مَكْرُوهَةٌ مَنْهِيٌّ عَنْهَا لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ الْحَلِفُ بِهَا . اهـ من «فتح الباري»(١١/٦٤٧).

(١) أخرجه البخاري(١٣٦٣) ومسلم(١١٠) عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « من حلف بملة غير الإسلام كاذبًا متعمدًا فهو كما قال » .

وهذا يدل على تحريم الحلف بشريعة غير الإسلام كاليهودية والنصرانية أو الشيوعية أو غيرها من المذاهب الباطلة ؛ لأن الحلف فيه التعظيم للمحلوف به .

۞ وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وَلَمْ يَجْزِمِ الْمُصَنِّفُ بِالْحُكْمِ هَلْ يَكْفُرُ الْحَالِفُ بِذَلِكَ أَوْ لَا لَكِنَّ تَصَرُّفَهُ يَقْتَضِي أَنْ لَا يَكْفُرَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ عَلَّقَ حَدِيثَ مَنْ حَلَفَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَلَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى الْكُفْرِ وَتَمَامِ الِاحْتِجَاجِ أَنْ يَقُولَ لِكَوْنِهِ اقْتَصَرَ عَلَى الْأَمْرِ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ يَقْتَضِي الْكُفْرَ لَأَمَرَهُ بِتَمَامِ الشَّهَادَتَيْنِ وَالتَّحْقِيقُ فِي الْمَسْأَلَةِ التَّفْصِيلُ الْآتِي وَقَدْ وَصَلَ الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ فِي الْبَابِ الَّذِي قَبْلَهُ وَأَوْرَدَهُ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ فِي بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ إِكْفَارَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مُتَأَوِّلًا أَوْ جَاهِلًا وَقَدَّمْتُ الْكَلَامَ عَلَيْهِ هُنَاكَ قَالَ بن الْمُنْذِرِ اخْتُلِفَ فِيمَنْ قَالَ أَكْفُرُ بِالله وَنَحْوَ ذَلِك إن فعلت ثمَّ فعل فَقَالَ ابن عَبَّاسٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَعَطَاءٌ وَقَتَادَةُ وَجُمْهُورُ فُقَهَاءِ الْأَمْصَارِ لَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ وَلَا يَكُونُ كَافِرًا إِلَّا إِنْ أَضْمَرَ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَالْحَنَفِيَّةُ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ هُوَ يَمِينٌ وَعَلَيْهِ الْكَفَّارَة قَالَ بن الْمُنْذِرِ وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ لِقَوْلِهِ مَنْ حَلَفَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَلَمْ يَذْكُرْ كَفَّارَةً .اهـمن «فتح الباري»(١١/٦٥٥).

فمن حلف بملة غير الإسلام كراهة أن يدخل فيها كأن يقول لئن لم أفعل كذا فأنا يهودي أو شيوعي ونحو ذلك وحنث فهذا لا يكفر لكن لا يحل له الحلف ولا القول بذلك وهو الغالب على الحالفين بذلك ، وأما إن حلف كأن يقول اليهودية أو المجوسية أو الديمقراطية ونحو ذلك لأفعلن كذا ، أو أفعل كذا فهذا إن لم يعظم ذلك في قلبه فلا

قال .

وسمع رجلًا يحلف باللات والعزى ، فأمره أن يقول : « لا إله إلا الله » [(١)].

وأخرج الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» [(٢)].

يكفر .

وأما إذا عظمها مثل الإسلام وأشد فهذا كفر والعياذ بالله ، وهذا معنى قول العلماء إلا أن يضمر في قلبه أي التعظيم أو الكفر والله أعلم ، وأكثر الحالفين بذلك الجهال والذين لا يبالون بالأيمان ، ولكن هذا يدل على نقص في الإيمان .

(١) رواه ابن ماجه(٢٠٩٦) عن سعد بن أبي وقاص ورواه البخاري (٦١٠٧) ومسلم (١٦٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به .

وقوله : « فليقل : لا إله إلا الله » : كفارة لحلفه ودليل على أنه ليس بكافر ولو عظم هذا المحلوف به فكلمة التوحيد ترد تعظيم الأصنام إن الحسنات يذهبن السيئات .

❁ وقال النووي رحمه الله : قَالَ أَصْحَابُنَا إِذَا حَلَفَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَصْنَامِ أَوْ قَالَ إِنْ فَعَلْتُ كَذَا فَأَنَا يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ أَوْ بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ أَوْ بَرِيءٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ لَمْ تَنْعَقِدْ يَمِينُهُ بل عليه أن يستغفرالله تَعَالَى وَيَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ سَوَاءٌ فَعَلَهُ أَمْ لَا هَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَجَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ.اهمن «شرح مسلم» (١١١/٦) .

(٢) أخرجه الترمذي (١٥٣٥) والحاكم(٢٩٧/٤) وأحمد(٦٠٧٢/١٠) وأبو داود(٣٢٥١) من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر رضي الله عنهما به ، وهذا منقطع ، قال الإمام البيهقي (٢٩/١٠) بعد إخراجه وهذا مما لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر .

قلت : وقد ذكر الواسطة بين سعد وابن عمر .منصور بن المعتمر الحافظ الثبت ، قال الإمام أحمد (٢٧٥/٩)(٥٣٧٥) حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ

سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ: جَلَسْتُ أَنَا وَمُحَمَّدٌ الْكِنْدِيُّ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، ثُمَّ قُمْتُ مِنْ عِنْدِهِ، فَجَلَسْتُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: فَجَاءَ صَاحِبِي وَقَدِ اصْفَرَّ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَقَالَ: قُمْ إِلَيَّ، قُلْتُ: أَلَمْ أَكُنْ جَالِسًا مَعَكَ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: قُمْ إِلَى صَاحِبِكَ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ؟ قُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَعَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَحْلِفَ بِالْكَعْبَةِ؟ قَالَ: وَلِمَ تَحْلِفُ بِالْكَعْبَةِ؟ إِذَا حَلَفْتَ بِالْكَعْبَةِ فَاحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ إِذَا حَلَفَ قَالَ: كَلَّا وَأَبِي فَحَلَفَ بِهَا يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحْلِفْ بِأَبِيكَ، وَلَا بِغَيْرِ اللهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» .وأخرجه برقم(٥٥٩٣) بنحوه .

وسنده صحيح على شرط الشيخين إلى منصور وذكر أن الرجل الكندي هو محمد الكندي مجهول .

فظهرت علة الحديث ، وأيضًا أصل الحديث في «الصحيحين» أن عمر كان يحلف بأبيه فقال النبي ﷺ : « لا تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليصمت» .

وأما حكم الحلف بغير الله فقد تقدم الكلام للعلماء فيه ، فمن كان يحلف عادة ولم يعظم المحلوف به مثل الله وإنما تعظيمًا خفيفًا عادة ، فهذا يحرم ويقال : شرك أصغر ، وأما من عظم المحلوف به مثل الله او أشد فهو شرك أكبر كما يفعل بعض أهل الضلال، إذا قيل له احلف بالله حلف ولا يبالي ، ولو كان كاذبًا ، وإذا قيل له احلف بشيخك ومعتقدك أبى ، تعظيمًا لهم .

فقول الشوكاني رحمه الله : وفيها أن الحالف بغير الله يخرج به عن الإسلام » : ليس على اطلاقه ولا يكفر من حلف بغير الله بل أكثر الناس لا يعظمون المحلوف به مثل الله فلهذا لم يكفر النبي ﷺ عمر حين حلف بأبيه ولا غيره وإنما نهى عن ذلك ، وقال ﷺ : « من حلف بالأمانة فليس منا » يدل على التحريم لا على تكفير الحالف وعلى صاحبه أن يستغفر الله تعالى .

و هذه الأحاديث في دواوين الإسلام ، وفيها أن الحلف بغير الله يخرج به الحالف عن الإسلام ، وذلك لكون الحلف بشيء مظنة تعظيمه فكيف بما كان شركًا محضًا ، يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق في طلب النفع ، أو استدفاع الضر ، وقد يتضمن تعظيم المخلوق زيادة على تعظيم الخالق كما يفعله كثير من المخذولين ، فإنهم يعتقدون أن لأهل القبور من جلب النفع ودفع الضر ما ليس لله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

فإن أنكرت هذا فانظر أحوال كثير من هؤلاء المخذولين ، فإنك تجدهم كما وصف الله سبحانه : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[الزمر: ٤٥]

ومن ذلك : ما ثبت في "الصحيحين" عنه ﷺ عند موته أنه كان يقول : «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** » ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا . [(١)]

وأخرج مسلم عن جندب بن عبدالله ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **إِنَّ**

❁ وقوله رحمه الله : فانظر لأحوال كثيرة من هؤلاء المخذولين فإنك تجدهم كما وصف الله وذكر الآية .

هذه الآية تصف المشركين الكفار والذين إذا قيل لهم قالوا لا إله إلا الله اشمأزت قلوبهم وتبرموا وانزعجوا فمن كان من الناس ينزعج لذلك ويشمئز قلبه من توحيد الله ويطمئن إذا ذكرت الأصنام والقبور وأهلها فهو داخل تحت هذا الذم وهو مشرك .

(١) في البخاري(١٣٣٠) ومسلم(٥٢٩)عن عائشة رضي الله عنها ، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عند البخاري(٤٣٦) ومسلم والمعنى أبعدهم الله عن رحمته بسبب إجرامهم وشركهم .

وحديث جندب رضي الله عنه عند مسلم(٥٣٢) وفيه : « كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد» فعند ذلك عظموهم ودعوهم واستغاثوا بهم.

مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» .

وأخرج أحمد بسند جيد[1] ، وأبو حاتم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعًا : « **إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»** .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وفيها التصريح بلعن من اتخذ القبور مساجد مع أنه لا يعبد إلا الله ، وذلك لقطع ذريعة التشريك ، ودفع وسيلة التعظيم، وورد ما يدل على أن عبادة الله عند القبور بمنزلة اتخاذها أوثانًا تعبد .

أخرج مالك في "الموطأ" أن رسول الله ﷺ قال : « **اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثنًا**

---

(١) قوله : «وأخرج أحمد بسند جيد» : وأبو حاتم في "صحيحه" هو في المسند (٣١٤٣) وأبو حاتم هو ابن حبان وهو في الموارد(٣٤٠) وسنده حسن ويشهد لآخره حديث أم سلمة الآتي ولأول الحديث شاهد : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق » .وقد رواه مسلم(٢٩٤٩) .

وهذه الأحاديث تدل على تحريم بناء القباب والمساجد على القبور ، وكذا من يجعل على القبور الستور كأستار الكعبة ويبخرها ويطيبها ويعكف عليها فهذا من فعل اليهود والنصارى ومن طرقهم القبيحة لا من طرق الأنبياء وبعض الناس إذا نهيته قال لك : أنت تكره الصالحين والأولياء وهذا من الكذب ورد الحجة بلا عذر ، فنقول لخدام القبور وسدنتها توبوا إلى الله ولا تضللوا على الناس فقد ضللتم وأضللتم غيركم من العوام .

ولو قالوا : نحن لا نعبدهم ولكن نعمل هذا للاحترام فنقول هذا فعل أقل حاله محرم وهو وسيلة إلى الشرك والكفر كما يقول الشوكاني رحمه الله ، فالنبي ﷺ نهى عن وسائل الشرك حماية لجناب التوحيد وأرباب الدعوة إلى عبادة القبور هم أهل البدع الكبيرة .

يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[1].

وبالغ في ذلك حتى لعن زائرات القبور ، كما أخرجه أهل السنن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»[2] .

---

(١) «الموطأ» (٤١٦) باب جامع الصلاة رواه عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : « اللَّهُمَّ .... » وهذا مرسل فعطاء تابعي ثقة ، وزيد أيضًا ثقة .

وله شاهد يصح به عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثنًا » رواه الحميدي(١٠٥٥) ، وأحمد (٣١٤/١٢) وسنده حسن .

ورجاله رجال مسلم ، إلا حمزة بن المغيرة بن نشيط المخزومي العابد قال ابن معين : ليس به بأس ، كما في «التهذيب» ، ومعنى قوله : ليس به بأس مثل ثقة .

❁ وقوله ﷺ : « اشتد غضب الله على قوم ... » : يدل على أن هذا الفعل من الكبائر .

(٢) قوله « كما أخرج أهل السنن » : هو عند أبي داود(٣٢٣٦) والترمذي(٣٢٠) والنسائي(٢٠٤٣) مطولا كما هنا وابن ماجه(١٥٧٥) مختصرًا لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور ولكن في سندهما أبو صالح مولى ام هانئ باذام وأكثر المحدثين على ضعفه حتى قال ابن عدي عامة ما يرويه تفسير ، وما أقل ما له من المسند وفي ذلك التفسير ما لم يتابعه عليه أهل التفسير ، ولم أعلم أحدًا من المتقدمين رضيه ، وقال عبدالحق في الأحكام أبا صالح ضعيف جدًا أنكر عليه ذلك في كتابه .

وقال ابن حبان : يحدث عن ابن عباس رضي الله عنهما ولم يسمع منه ، كما في «التهذيب» ، وقال الحافظ : ضعيف ، فالسند ضعيف ومنقطع ، وقد روى الحديث أبو داود الطيالسي في المسند(٢٧٣٣) وأحمد(٢٠٣٠) ومحمد بن جحادة قال حدثنا عند الكبر .

فلفظة : « لعن من اتخذ القبور مساجد» له شاهد في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظة : « زائرات » وآخر الحديث ضعيفة لكن اتخاذ السرج على القبور

ولعل وجه تخصيص النساء بذلك لما في طبائعهن من النقص المفضي إلى

يحرم لما في ذلك من تعظيمها وتعظيم أهلها فهذا من وسائل الشرك اتخاذ سرج من شمع وقناديل مثل التي تجعل للمساجد ، فالصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوه لخير الأنبياء ، ولا لفضلاء الصحابة ، وفيه صرف المال لغير حاجة ، وأما اتخاذ سراج كهرباء في طرف المقبرة للإنارة لمن يدفن الموتى أو يمر للزيارة ونحو ذلك فلا بأس فليس هناك محذور شرعي .

ولفظة : « زوارات القبور » : حسن لغيره كما عند ابن ماجه عن ابن عباس .

وقد رواه ابن ماجه(١٥٧٤) من طريق عبدالرحمن بن بهمان عن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت عن ابيه قال : لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور ، وسنده ضعيف لجهالة ابن بهمان ، وفي التقريب : مقبول ، وابن حسان أيضًا لم يوثقه معتبر وإنما ذكره ابن حبان في الثقات ، وقيل ولد في عهد النبي ﷺ وله شاهد آخر عن أبي هريرة مرفوعًا مثله عند ابن ماجه(١٥٧٦) وسنده فيه عمر بن أبي سلمة بن عبدالرحمن الزهري ضعيف لكنه يصلح في الشواهد والمتابعات .

وزيارة القبور للنساء جائزة ليتذكرن الموت ، ولا يكثرن من ذلك .

والدليل حديث عائشة رضي الله عنها قالت : ماذا أقول إذا زرت المقبرة قال : قولي : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » . رواه مسلم .

وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ نهى عن الزيارة ثم رخص فيها . وهو صحيح .

وقال بالجواز جمهور العلماء ، ومنع من زيارتهن آخرون ، فرحم الله الجميع ، والله أعلم .

وحديث : « لعن زوارات القبور » : لعله منسوخ كما تشير عائشة رضي الله عنها ثم رخص ، وهو اختيار الألباني ، وشيخنا مقبل رحمهما الله تعالى .

الاعتقاد والتعظيم بأدنى شبهة ، ولا شك أن علة النهي عن جعل القبور مساجد وعن تسريجها وتجصيصها ورفعها وزخرفتها هي ما ينشأ عن ذلك من الاعتقادات الفاسدة .

كما ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ، فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ العَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ» [1].

---

(١) البخاري(٤٣٧) ومسلم(٥٢٨) وفيهما أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة ، وهذا يدل على تحريم تصوير الصالحين والملوك ونحوهم ممن يخشى الفتنة به وتعظيمه تعظيم عبادة ، ولهذا جاء التشديد في تحريم الصور ، فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ ". رواه البخاري(٥٩٥١) أي انفخوا في هذه الصور التي قد رسمتموها وهيأتموها على خلق الله وليسوا بقادرين فيبقون يعذبون إلى ما شاء الله .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ» . رواه البخاري(٥٩٥٠) ومسلم(٢١٠٩) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ».البخاري(٥٩٥٤) ومسلم(٢١٠٧) .

والأحاديث في الباب كثيرة .

فبعض الناس في هذه الأزمان يجعلون الصور منحوتة ومحسنة كأنه ذلك الشخص ويجملونه ، وربما صوروا قادات الكفر ويجعلون تلك الصور على مداخل مدينته وعند قبره ويزورونه .

ولابن خزيمة عن مجاهد[(١)] ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم:١٩]
قال : كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره .

وكل عاقل يعلم أن لزيادة الزخرفة للقبور وإسبال الستور الرائعة عليها ، وتسريجها والتأنق في تحسينها ، تأثيرًا في طبائع غالب العوام ينشأ عنه التعظيم والاعتقادات الباطلة ، وهكذا إذا استعظمت نفوسهم شيئًا مما يتعلق بالأحياء ، وبهذا السبب اعتقد كثير من الطوائف الإلهية في أشخاص كثيرة .

ورأيت في بعض كتب التاريخ : أنه قدم رسول لبعض الملوك على بعض خلفاء بني العباس ، فبالغ الخليفة في التهويل على ذلك الرسول ، وما زال أعوانه ينقلونه من رتبة إلى رتبة ، حتى وصل إلى المجلس الذي يقعد الخليفة في برج من أبراجه ،

بعض قادات المسلمين للأسف وهذه الزيارة التي فيها التعظيم حرام فبعضهم يزور قبر ماركس وآخر لينين وغيرهم من الملاحدة وربما افتخر بذلك.

(١) لم أره عند ابن خزيمة ولكن رواه ابن جرير في «تفسيره» قال : حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فذكره .
وهذا سند صحيح إلى مجاهد على شرط الشيخين فابن بشار هو محمد بن بشار ثقة ، وعبدالرحمن هو ابن مهدي الإمام ، وسفيان هو ابن سعيد الثوري إمام ، ومنصور هو ابن المعتمر ثقة ثبت .
فانظر إلى المشركين كيف عظموا هذا الرجل الذي كان يحسن إلى الحجيج حتى جعلوه إلها من دون الله مع طول الزمن فبعض الناس الآن عظموا بعض الموتى من الأنبياء أو الصحابة أو التابعين لهم بإحسان حتى ذبحوا عندهم الذبائح ونذروا النذور بل عظموا بعض الزنادقة والمشركين كابن عربي الصوفي الذي كان يقول بوحدة الوجود ، وكل شيء في الوجود هو الله عنده في زعمه الباطل وكذا ابن الفارض وغيرهم من المنحرفين .

وقد جمل ذلك المنزل بأبهى الآلات ، وقعد فيه أبناء الخليفة وأعيان الكبراء ، وأشرف الخليفة من ذلك البرج وقد انخلع قلب ذلك الرسول مما رأى ، فلما وقعت عيناه على الخليفة قال : لمن هو قابض على يده من الأمراء: أهذا الله ؟ فقال ذلك الأمير : بل هذا خليفة الله ، فانظر ما صنع ذلك التحسين بقلب هذا المسكين .

وروىَ لنا : أن بعض أهل جهات القبلة[1] وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين رَحِمَهُ اللهُ ، فرآها وهي مسرجة بالشمع والبخور ، ينفع في جوانبها وعلى القبر الستور الفائقة فقال عند وصوله إلى الباب : أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين

وفي الصحيح[2] عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قوله سبحانه و تعالى : ﴿ وَقَالُواْ

---

(١) الإمام الشوكاني كان يسكن صنعاء فأراد أهل جهات القبلة أي قبلة أهل صنعاء أي شمالها وكثير منهم كانوا غير متعلمين لأحكام الدين والتوحيد فالجهل كان سائدًا فيهم ، ولهذا اغتر الناظر إلى الستور والشموع فقال ما قال ، نسأل الله العافية ولهذا وجود العلماء في المجتمعات رحمة من الله بهم وحرزًا لهم من الضلالات .

(٢) أي صحيح البخاري(٤٩٢٠) من طريق ابن جريج ، وقال عطاء عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا به موقوفًا .

۞ وقال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ : قِيلَ هَذَا مُنْقَطِعٌ لِأَنَّ عَطَاءً الْمَذْكُورَ هُوَ الخرساني وَلم يلق بن عَبَّاسٍ فَقَدْ أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ هَذَا الْحَدِيثَ فِي تَفْسِيره عَن بن جريج فَقَالَ أَخْبرنِي عَطاء الخرساني عَن ابن عَبَّاسٍ وَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ ثَبَتَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي تَفْسِير بن جريج عَن عَطاء الخرساني عَن ابن عَبَّاس وابن جريج لم يسمع التَّفْسِير من عَطاء الخرساني وَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنَ ابْنِهِ عُثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ فَنَظَرَ فِيهِ وَذَكَرَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي الْعِلَلِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ قَالَ سَأَلت يحيى الْقطَّان عَن حَدِيث ابن جريج عَن عَطاء الخرساني فَقَالَ ضَعِيفٌ فَقُلْتُ إِنَّهُ يَقُولُ أَخْبَرَنَا قَالَ لَا شَيْءَ إِنَّمَا هُوَ كِتَابٌ دَفَعَهُ إِلَيْهِ انْتهى وَكَانَ

ابن جُرَيْجٍ يَسْتَجِيزُ إِطْلَاقَ أَخْبَرَنَا فِي الْمُنَاوَلَةِ وَالْمُكَاتَبَةِ وَقَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ أُخْبِرْتُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ أَنه ذكر عَن تَفْسِير ابن جُرَيْجٍ كَلَامًا مَعْنَاهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ عَنْ عَطاء الخرساني عَن ابن عَبَّاس فطال على الْوراق أَن يكْتب الخرساني فِي كُلِّ حَدِيثٍ فَتَرَكَهُ فَرَوَاهُ مَنْ رَوَى عَلَى أَنَّهُ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ انْتَهَى وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى الْقِصَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ وَنَبَّهَ عَلَيْهَا أَبُو عَلِيٍّ الْجَيَّانِيُّ فِي تَقْيِيدِ الْمُهْمَلِ قَالَ بن الْمَدِينِيِّ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ يُوسُفَ يَقُولُ قَالَ لي ابن جُرَيْجٍ سَأَلْتُ عَطَاءً عَنِ التَّفْسِيرِ مِنَ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ ثُمَّ قَالَ اعْفِنِي مِنْ هَذَا قَالَ : قَالَ هِشَامٌ فَكَانَ بَعْدُ إِذَا قَالَ : قَالَ عَطاء عَن ابن عَبَّاس قَالَ عَطاء الخرساني قَالَ هِشَامٌ فَكَتَبْنَا ثُمَّ مَلِلْنَا يَعْنِي كَتَبْنَا الخرساني قَالَ ابن الْمَدِينِيِّ وَإِنَّمَا بَيَّنْتُ هَذَا لِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ ثَوْرٍ كَانَ يَجْعَلُهَا يَعْنِي فِي رِوَايَتِهِ عَنِ ابن جريج عَن عَطاء عَن بن عَبَّاسٍ فَيُظَنُّ أَنَّهُ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ وَقَدْ أَخْرَجَ الْفَاكِهِيُّ الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّد بن ثَوْر عَن ابن جريج عَن عَطاء عَن ابن عَبَّاس وَلم يقل الخرساني وَأخرجه عبد الرَّزَّاق كَمَا تقدم فَقَالَ الخرساني وَهَذَا مِمَّا اسْتُعْظِمَ عَلَى الْبُخَارِيِّ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ لَكِنَّ الَّذِي قَوِيَ عِنْدِي أَنَّ هَذَا الحَدِيث بِخُصُوصِهِ عِنْد ابن جريج عَن عَطاء الخرساني وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ جَمِيعًا وَلَا يَلْزَمُ مِنَ امْتِنَاعِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ مِنَ التَّحْدِيثِ بِالتَّفْسِيرِ أَنْ لَا يُحَدِّثَ بِهَذَا الحَدِيث فِي بَابٍ آخَرَ مِنَ الْأَبْوَابِ أَوْ فِي الْمُذَاكَرَةِ وَإِلَّا فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَى الْبُخَارِيِّ ذَلِكَ مَعَ تَشَدُّدِهِ فِي شَرْطِ الِاتِّصَالِ وَاعْتِمَادِهِ غَالِبًا فِي الْعِلَلِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ شَيْخِهِ وَهُوَ الَّذِي نَبَّهَ عَلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ وَمِمَّا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُكْثِرْ مِنْ تَخْرِيجِ هَذِهِ النُّسْخَةِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مَوْضِعَيْنِ هَذَا وَآخَرَ فِي النِّكَاحِ وَلَوْ كَانَ خَفِيَ عَلَيْهِ لَاسْتَكْثَرَ مِنْ إِخْرَاجِهَا لِأَنَّ ظَاهِرَهَا أَنَّهَا عَلَى شَرْطِهِ.اهـ من «فتح الباري» من تفسير سورة نوح .

قلت : وقول الحافظ قوي والله أعلم بالصواب ، وعلى كل حال فقد أفتتنت أمم كثيرة في المغالاة في تعظيم الصالحين ، ومن هذه الأمة حصل شرك كثير فالقباب والمشاهد كثيرة

لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ نوح: ٢٣

قال : وهذه أسماء رجال من قوم نوح لما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصابًا وسموها بـأسمائهم ففعلوا فلم يعبدوا حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت.

وقال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم [(١)].

ومن ذلك ما أخرجه أحمد[(٢)] – بإسناد جيد – عن قبيصة عن أبيه أنه سمع

والزوار للقبور والذبح عندها والاعتكاف في كثير من البلدان ومن أول من بنى ذلك المشاهد الباطلة العبيديون وكذا الصوفية و ثم تبعهم بعض جهلة المسلمين .

(١) قوله رحمه الله : « عكفوا على قبورهم» : أي لزموا مكان القبور للدعاء والعبادة عندها، وهذا من أعظم أبواب الشر والضلال ومن الشرك ، لأن المعتكف لو لم يكن معظمًا للمقبور ما بقي عندها .

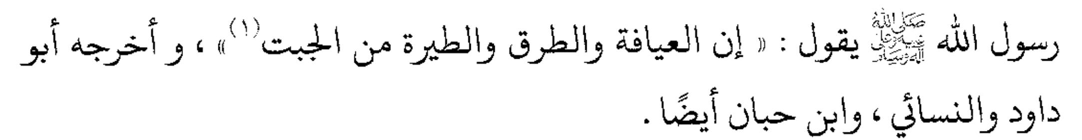
والاعتكاف المشروع يكون لله تعالى في المساجد كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ البقرة: ١٨٧

فهو عبادة لا يصرف إلا لله ، ولا يكون إلا في المساجد كما هو مقرر في كتب الفقه والعلم .

(٢) هو في المسند (٢٥/٢٥٦)(١٥٩١٥) وأخرجه أبو داود(٣٩٠٧) ، والنسائي في الكبرى(٦/٣٢٤) (١١١١٢) ، وابن حبان(٦١٣١) وسنده ضعيف فيه حيان بن العلاء ويقال ابن مخارق روى عنه عوف العبدي ولم يوثقه معتبر فهو مجهول ، ترجمته في تهذيب التهذيب .

وأخرجه عبدالرزاق (١٩٥٠٢) والطبراني (١٨/٣٦٩) وهو من طريق حيان المجهول ، وفسره ابن حبان فقال : الطرق التنجيم والطرق اللعب بالحجارة للأصنام .اهـ

❁ قال ابن الأثير : العيافة : زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها وهو من



رسول الله ﷺ يقول : « إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت[(١)] » ، و أخرجه أبو داود والنسائي ، وابن حبان أيضًا .

وأخرج أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: « **من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر** »[(٢)].

عادات العرب كثيرًا .اهـ من «النهاية».

ومعنى زجر الطير أنه إذا كان ساكنًا وأراد أحدهم أن يسافر أو يتزوج ونحو ذلك زجر الطير فإذا طار يمينًا تفاءل ومضى في عمله وإن طار شمالاً تشاءم ولم يعمل ولم يسافر ولم يتزوج وهو نوع من الطيرة التي هي من الشرك .

والطيرة : هي بكسر الطاء ، وفتح الياء وقد تسكن ، وهي التشاؤم بالشيء وهو مصدر تطير ، يقال تطير طيرة .

❁ قال ابن الأثير : وأصلُه فِيمَا يُقال: التَّطَيُّر بالسَّوَانِح والبَوارِح مِنَ الطَّيْر وَالظِّبَاءِ وغَيرهما. وَكَانَ ذَلِكَ يَصُدّهم عَنْ مَقَاصِدِهِمْ، فَنَفَاهُ الشَّرْعُ، وأبطله ونهى عنه، وأخبره أنَّه لَيْسَ لَهُ تأثِيرٌ فِي جَلْب نفْعٍ أَوْ دَفعِ ضَرٍّ. اهـ من «النهاية»(١٥٢/٣).

وكانت العرب تتشاءم بالطير ويعتمدون عليه فإذا طار الطير شمالا ترك أحدهم الزواج أو السفر وقد جاء في الحديث : «ذاك شيء يجدونه في قلوبهم فلا يمنعنكم ذلك» .

وهذا من الشرك الأصغر إلا أن يعتقد أن هذا الطير ينفعه مع الله أو من دون الله فهذا شرك أكبر .

(١) قوله : «من الجبت» : أي من السحر أو الكهانة ، وقال بعض أهل اللغة : هو صنم ، وقال بعضهم : الشيطان والكاهن ، وقال بعضهم هو السحر ، ذكر هذا الإمام ابن جرير عند قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾[النساء:٥١].

(٢) أبو داود برقم (٣٩٠٥) وسنده صحيح كما قال المصنف ، وأخرجه الإمام أحمد

(٤٥٤/٣)(٢٠٠٠) وابن ماجه(٣٧٢٦) .

ومعنى قوله : « من اقتبس » : أي من تعلم ، وفي رواية أحمد : « ما اقتبس رجل علمًا من النجوم » ، و«شعبة» أي شيئًا ، وجزءًا « من النجوم» أي من علم النجوم مثل أن يقول المنجم أنت ستكون غنيًا ويقول للأخر أنت متوسط الرزق ، وآخر يقول له نجمك الميزان ... إلخ .

وقال الخطابي رحمه الله : المنهى عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كأخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار وما كان في معانيها من الأمور، يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكبواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها ويدعون لها تأثيراً في السفليات وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم استأثر الله سبحانه به لا يعلم الغيب أحد سواه. اهمن «معالم السنن»(٢١٢/٤).

قلت : ويلحق بهذا ما يفعله الآن بعض الرجال والنساء من ضرب أرقام في الهواتف ، ويقول : سيقع في الشهر الفلاني كذا أو الرئيس الفلاني سيهلك أو سيتولى فلان أو الدولة الفلانية سيحصل لها كذا وآخرون يقولون فلان امرأته تحبه عشرين في المائة ، والرجل يحب زوجته خمسين في المائة ونحو ذلك ، فهذا من علم الشعوذة والسحر وادعاء علم الغيب ، فصار التنجيم من السحر من هذه الناحية ، وفي رواية« زاد ما زاد» ، ومعناه أي كلما زاد في تعلم التنجيم زاد في تعلم السحر والإثم لأن تعلم السحر من الكبائر والشرك ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾البقرة:١٠٢

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾طه:٦٩

وأما تعلم النجوم في التوقيت ومواسم الزراعة ونحو ذلك والاهتداء بها في البر والبحر ،

وأخرج النسائي[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **من عقد عقدة ثم نفث**

وكما يفعل أهل التقاويم ومقاييس البرودة والحرارة أو ما يقولون قد ينزل أمطار في الوقت الفلاني ، وقد ينزل فليس مما ينهى عنه ؛ لأنه ليس فيه ادعاء علم الغيب ، وإنما يعتمدون على دراسة محسوبة ومجربة .

❁ وقال الخطابي رحمه الله : فأما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس الذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه. وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئاً بأكثر من أن الظل ما دام متناقصاً فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي، وهذا علم يصح دركه من جهة المشاهدة، إلاّ أن أهل هذه الصناعة قد دبروه بما اتخذوا له من الالة التي يستغنى الناظر فيها عن مراعاة مدته ومرا صدته.

وأما ما يستدل به من جهة النجوم على جهة القبلة فإنما هي كواكب أرصدها أهل الخبرة بها من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به عنها مثل أن يشاهدوها بحضرة الكعبة ويشاهدوها في حال الغيبة عنها فكان إدراكهم الدلالة عنها بالمعاينة وادراكنا لذلك بقبولنا لخبرهم إذ كانوا غير متهمين في دينهم ولا مقصرين في معرفتهم. اهـ من «معالم السنن»(٤/٢١٣).

قلت : وفي هذا الزمن قد صارت آلات دقيقة وسهلة في تحديد القبلة وغيرها من الجهات دون النظر في النجوم ، والحمد لله على تيسيره .

(١)النسائي : هو في (١١٢/٧)(٤٠٧٩) وسنده ضعيف فيه عباد بن ميسرة المنقري وهو لين الحديث ، قال ابن معين : ليس بالقوي ، وقال مرة : ليس به بأس ، وضعفه أحمد رحمه الله ، كما في «التهذيب» ، وفيه أيضًا رواية الحسن البصري عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو لم يسمع منه كما هو قول جمهور المحدثين ، فهو منقطع لكن و إن كان السند ضعيفًا فمعناه صحيح لما له من الشواهد في المعنى .

فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك[(١)] ، ومن تعلق شيئًا وكل إليه» .

فقوله : « من عقد عقدة ثم نفث فيها » : أي على طريقة السحر فقد سحر أي عمل له عمل السحرة قال الله تعالى عن هذه العقد : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾الفلق: ١-٥

❁ قال الإمام القرطبي رحمه الله : لأن النفث في العقد إذا كان مذمومًا لم يجب أن يكون النفث بلا عقد مذمومًا ولأن النفث في العقد إنما أريد به السحر المضر بالأرواح .اهـ المراد

مسألة : ما حكم النفث مع الرقى :

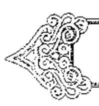
اختلف العلماء فيه فكرهه جماعة وظنوا أن الآية تشمله في الاستعاذة منه .

وقال آخرون بالجواز ما دامت رقى شرعية واستدلوا بأن النبي ﷺ كان يرقي وينفث كما في الصحيح .

قلت : والحق الجواز إذا كانت الرقية شرعية وأما الآية فهي تدل على نفث السحرة وعقدهم .

(١) تعلم السحر يؤدي إلى الكفر ؛ لأن الساحر يكفر بالقرآن ، وبالنبي ﷺ حتى يطيعه الشياطين ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾البقرة: ١٠٢

فقوله : ﴿حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ صريح أن الساحر لا يتعلم السحر ويستخدم الشياطين حتى يكفر بالله وبشرعه ، وأما من يخدع الناس بالشعبذة ولم



وهذه الأمور إنما كانت من الجبت والشرك لأنها مظنة للتعظيم الجالب للاعتقاد الفاسد .

ومن ذلك ما أخرجه أهل السنن ، والحاكم[1] وقال صحيح على شرط

يعمل ما يوجب الكفر فلا يكفر لكنه قد ارتكب محرمًا عظيمًا .

وعلى الحاكم وولي الأمر أن يقتل كل ساحر قد علم سحره ، وهذا حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أمر في ولايته أن يقتل كل ساحر وساحرة وقتلت حفصة بنت عمر جارية سحرتها ، وضرر السحرة الآن كثير ومنتشر ؛ لأن الحكام لم يعاقبوهم ، بل بعضهم يجمعهم ويستخدمهم ويظن أنهم نافعوه ، نسأل الله العافية .

(١) هو عند أبي داود(٣٩٠٤) والترمذي(١٣٥) والنسائي في «الكبرى»(٩٠١٧) وابن ماجه(٣٩٠٠) من طريق حكيم بن الأثرم عن أبي تميمة الهجيني عن أبي هريرة رضي الله عنه به .

وسنده رجاله ثقات ، وأبو تميمة اسمه طريف بن مجالد ثقة لكنه لم يسمع من أبي هريرة، قال البخاري : لا نعلم له سماعًا من أبي هريرة كما في «تهذيب التهذيب» .

لكن له متابع يحسن الحديث به .

فرواه أحمد(٩٥٣٦) من طريق عوف قال : حدثني خلاس عن أبي هريرة ، وعن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم به ، وخلاس لم يسمع من أبي هريرة ، قاله الإمام أحمد ، وهو ثقة كما في «التهذيب» ، وأخرجه الحاكم (٨/١) من طريق عوف عن خلاس ومحمد يعني ابن سيرين عن أبي هريرة به .

فالله أعلم من زاد محمد بن سيرين في السند من رواة الحاكم أو هو من أوهام الحاكم فقد كان له أوهام رحمه الله ولا يضر فهو في المتابعات .

وأما أبو يعلى فأخرجه من طريق أبي إسحاق عن هبيرة بن مريم عن عبدالله وهو ابن مسعود رضي الله عنه من قوله .

وقال الهيثمي (١١٨/٥) ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا هبيرة بن مريم وهو ثقة .
قلت : هو في الجملة شاهد للمرفوع المتقدم يزيده قوة ، ومعنى الحديث : أن هذا الشخص إذا ذهب إلى الكاهن الذي يدعي علم الغيب أو يزعم أنه ينفع ويضر مع الله فصدقه بذلك فهو كفر أكبر وشرك أكبر ؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله .
وأما من أتاه ولم يصدقه بذلك وإنما يسأله عن سرقة أو علاج ونحوه فهو كفر أصغر وشرك أصغر ؛ لأنه ثبت في "صحيح مسلم" عن بعض أزواج النبي ﷺ قال : « من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا » .
فذكر أن عقوبته أن صلاته لا تقبل لعظم جرمه ولو كان كافرًا لقال عليه أن يسلم مرة أخرى ونحو ذلك من العبارات .
والكاهن هو الذي يدعي معرفة بعض الأسرار ويدعي علم الغيب ونحوه .
❁ قال الإمام ابن الأثير رحمه الله في "النهاية"(٢١٤/٤) : الكاهِنُ هو الَّذِي يَتعاطَى الخَبَرَ عَنِ الكائِنات فِي مُسْتَقْبَل الزَّمَانِ، ويَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأسْرار. وَقَدْ كَانَ فِي الْعَرَبِ كَهَنة، كَشِقّ، وسَطِيح، وغيرِهما، فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَزْعمُ أَنَّ لَهُ تابِعاً مِنَ الجِنّ وَرَئِيًّا يُلْقِي إِلَيْهِ الْأَخْبَارَ، وَمِنْهُمْ من كَانَ يَزْعمُ أَنَّهُ يَعْرِف الْأُمُورَ بمُقَدِّمات أسْباب يَسْتَدلُّ بِهَا عَلَى مَواقِعها مِنْ كَلَامِ مَن يَسأله أَوْ فِعْلِه أَوْ حَالِهِ، وَهَذَا يَخُصُّونه بِاسْمِ العَرَّاف، كَالَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الشَّيْءِ المَسْروق، وَمَكَانِ الضَّالَّة وَنَحْوِهِمَا.
وَالْحَدِيثُ الَّذِي فِيهِ «مَن أَتَى كاهِناً» قَدْ يَشْتَمِل عَلَى إتْيان الكاهِن والعَرّاف والمُنَجِّم.
وجَمْعُ الكاهِن: كَهَنةٌ وكُهَّان. اهـ
إذًا فالكاهن يدعي علم الغيب وكذا العراف .
وهذا كفر فلا يعلم الغيب أحد إلا الله ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[النمل: ٦٥]
وقال تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾



الشيخين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد**» .

وأخرج أبو يعلى بسند جيد مرفوعًا : « **من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** » ، وأخرج نحوه الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن .

والعلة الموجبة للحكم بالكفر ليست إلا اعتقاد أنه مشارك لله تعالى في علم الغيب ، مع أنه في الغالب يقع غير مصحوب بهذا الاعتقاد ، ولكن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

ومن ذلك : ما في "الصحيحين" وغيرهما[1] عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال

الجن: ٢٦ - ٢٧

وقال الله لنبيه ﷺ : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأنعام: ٥٠

فإذا كان نبينا خير المرسلين ولم يعلم الغيب فغيره كذلك من باب أولى وكذلك الجن لا يعلمونه .

۞ وقال الإمام ابن الجوزي في "زاد المسير" في معنى قوله ﴿عالم الغيب﴾ وذلك لأن علم الغيب لله وحده ﴿فلا يظهر﴾ أي فلا يطلع على غيبه الذي يعلمه أحدًا من الناس: ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ لأن من الدليل على صدق الرسل وإخبارهم بالغيب ، والمعنى : أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من غيبه .

وفي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر .اهـ

(١) البخاري(١٠٣٨) ومسلم (٧٠) .

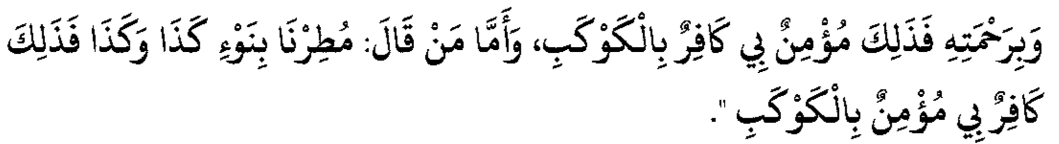
صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " **قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ: فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله**

قال الإمام النووي : وَأَمَّا مَعْنَى الْحَدِيثِ فَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي كُفْرِ مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا عَلَى قَوْلَيْنِ أَحَدُهُمَا هُوَ كُفْرٌ بِالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَالِبٌ لِأَصْلِ الْإِيمَانِ مُخْرِجٌ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ قَالُوا وَهَذَا فِيمَنْ قَالَ ذَلِكَ مُعْتَقِدًا أن الكوكب فاعل مدبر منشىء لِلْمَطَرِ كَمَا كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَزْعُمُ وَمَنِ اعْتَقَدَ هَذَا فَلَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ وَالشَّافِعِيُّ مِنْهُمْ وَهُوَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ قَالُوا وَعَلَى هَذَا لَوْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا مُعْتَقِدًا أَنَّهُ مِنَ الله تَعَالَى وَبِرَحْمَتِهِ وَأَنَّ النَّوْءَ مِيقَاتٌ لَهُ وَعَلَامَةٌ اعْتِبَارًا بِالْعَادَةِ فَكَأَنَّهُ قَالَ مُطِرْنَا فِي وَقْتِ كَذَا فَهَذَا لَا يَكْفُرُ وَاخْتَلَفُوا فِي كَرَاهَتِهِ وَالْأَظْهَرُ كَرَاهَتُهُ لَكِنَّهَا كَرَاهَةُ تَنْزِيهٍ لَا إِثْمَ فِيهَا وَسَبَبُ الْكَرَاهَةِ أَنَّهَا كَلِمَةٌ مُتَرَدِّدَةٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَغَيْرِهِ فَيُسَاءُ الظَّنُّ بِصَاحِبِهَا وَلِأَنَّهَا شِعَارُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ . اهـ من «شرح النووي» (٢/٦٢) .

قلت : وهذا التفصيل حسن لا بد منه فرحم الله علماء الإسلام .

❁ وقال الإمام ابن الأثير في «النهاية» : وَكَانَتِ الْعَرَبُ تزعُم أَنَّ مَعَ سُقوط المنزلة وطلُوع رَقيبها يَكُونُ مَطر، ويَنسُبونه إِلَيْهَا، فَيَقُولُونَ: مُطِرنا بنَوْء كَذَا.وَإِنَّمَا سُمِّي نَوْءاً؛ لِأَنَّهُ إِذَا سَقط الساقِط مِنْهَا بِالْمَغْرِبِ نَاءَ الطَّالِعُ بالمَشْرِق، يَنُوءُ نَوْءاً: أَيْ نَهَض وطَلَع.وَقِيلَ: أَرَادَ بِالنَّوْءِ الغُروبَ، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ.

و قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: لَمْ نَسْمع فِي النَّوء أَنَّهُ السُّقوط إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِع ، وَإِنَّمَا غَلَّظ النبيُّ ﷺ فِي أَمْرِ الْأَنْوَاءِ لأنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَنْسُب الْمَطَرَ إِلَيْهَا. فَأَمَّا مَن جَعَل الْمَطَرَ مِنْ فِعْل الله تَعَالَى، وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ: «مُطِرنا بِنَوْءِ كَذَا» أَيْ فِي وَقْتِ كَذَا، وَهُوَ هَذَا النَّوء الْفُلَانِيُّ، فَإِنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ: أَيْ إِنَّ الله قَدْ أجْرَى الْعَادَةَ أَنْ يأتِيَ المطرُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ. اهـ


وَبِرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ ".

ولا يخفى على عارف أن العلة في الحكم بالكفر هي : ما في ذلك من إيهام المشاركة .

وأين ذلك ممن يصرح في دعائه عندما يمسه الضر بقوله : يا الله ويا فلان وعلى الله وعلى فلان ، فإن هذا يعبد ربين ، ويدعو اثنين ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا فهو لم يقل أمطره ذلك النوء بل قال : أمطر به ، وبين الأمرين فرق ظاهر .

الشرك الخفي

ومن ذلك ما أخرجه مسلم رحمه الله [1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ

(١)مسلم (٢٩٨٥).

وقوله تعالى في الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك » : أي أنه غني لا يقبل عبادة فيها نوع من الشرك ولو كان الشرك خفيًا أو صغيرًا فالرياء ينافي تحقيق التوحيد وإخلاصه لله .

❁ وقال الإمام النووي رحمه الله : قَوْلُهُ (تَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ) هَكَذَا وَقَعَ فِي بَعْضِ الْأُصُولِ وَشِرْكَهُ وَفِي بَعْضِهَا وَشَرِيكَهُ وَفِي بَعْضِهَا وَشَرِكَتَهُ وَمَعْنَاهُ أنا غنى) عَنِ الْمُشَارَكَةِ وَغَيْرِهَا فَمَنْ عَمِلَ شَيْئًا لِي وَلِغَيْرِي لَمْ أَقْبَلْهُ بَلْ أَتْرُكُهُ لِذَلِكَ الْغَيْرِ والمراد أن عمل المرائى باطل لاثواب فِيهِ وَيَأْثَمُ بِهِ .اهـ من «شرح النووي»(١١٠/٩) .

فالذي يعمل ليراه الناس أو ليسمعوا بعمله كمن يتصدق ليقال له جواد وكريم فهذه صدقة مردودة .

وكذا الذي يجاهد ليقال شجاع أو يصلي ليقال له مصلي قصده أن يكون له مكانة عند الناس أو ليعطى شيئًا من الدنيا ، ويشهد لهذا المعنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ

رَسُولُ الله ﷺ: « قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ ».

وأخرج أحمد[1] عن أبي سعيد مرفوعًا : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ

عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ". رواه مسلم (١٩٠٥) .

❁ قال الإمام النووي رحمه الله : وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار - دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين} وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصا وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصًا . اهـ

(١) أحمد هو في المسند(٣٥٤/١٧)(١١٢٥٢) ، وأخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤) ، والحاكم(٣٢٩/٤) من طريق كثير بن زيد عن ربيح بن عبدالرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده فذكره مرفوعًا .

وكثير بن زيد هو السلمي مختلف فيه ، والجرح فيه مفسر بأنه يخطئ ليس بالقوي حتى قال الطبري : لا يحتجون بنقله كما في "التهذيب" ، وربيح بن عبدالرحمن قال فيه البخاري منكر الحديث .

وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به كما في "التهذيب" لأن البخاري عنده منكر الحديث لا يحل الرواية عنه شديد الضعف وكلام ابن عدي لا يقوى على معارضة كلام البخاري ، والله أعلم .

ولكن الحديث حسن لغيره إلا أن أوله : « أخوف من المسيح الدجال » ويشهد له

عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ».

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا

حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ». رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٩٣٧) وسنده حسن ويشهد للحديث أيضًا ما تقدم من حديث أبي هريرة عند مسلم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف: ١١٠]

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله وإن الله يوحي إليّ أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا﴾ يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية.اهـ

فالآية تدل على أن الذي يخاف من الله ومن عقابه ويرجو ثوابه فليعمل عملًا صالحًا وهو الموافق للسنة: ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾ يدل على إخلاص العبادة لله تعالى، وكما قال العلماء: لا يقبل العمل إلا بشرطين: إخلاص العمل لله، والموافقة للسنة، والآية من الأدلة على ذلك.

فينبغي أن تكون أعمال العبد من محبة لله وعطاء ومنع لله كما قال النبي ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان».

وكثير من الناس يخل بمثل هذه الطاعات.

وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف: ١١٠

فإذا كان مجرد الرياء الذي هو فعل الطاعة لله عز وجل مع محبة أن يطلع عليها غيره أو يثني عليه بها أو يستحسنها شركًا فكيف بما هو محض الشرك.

ومن ذلك ما أخرجه النسائي(١) : أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال : إنكم

---

(١) النسائي(٣٧٧٣) وأحمد(٢٧٠٩٣) والحاكم (٢٩٧/٤) من طريق معبد بن خالد عن عبدالله بن يسار عن قتيلة امرأة من جهينة رضي الله عنها به.

وقال الحاكم : صحيح الإسناد وهو كما قال ورجاله كلهم ثقات.

وقوله : أخرج النسائي :

(٣٧٧٣) وأخرجه في الكبرى(٢٤٥/٦)(١٠٨٢٥) ، وأخرجه أحمد(٣٣٩/٣) (١٨٣٩) وابن ماجه(٢١١٧) وفي سنده الأجلح الكندي بن عبدالله الكندي مختلف فيه وثقه ابن معين، وقال يعقوب بن سفيان ثقة حديثه لين ، وضعفه أحمد والعقيلي وأبو حاتم والنسائي وابن سعد وغيرهم كما في «تهذيب التهذيب» ، فالظاهر أنه ضعيف يصلح في الشواهد والمتابعات.

وحديثه هنا له شواهد يصح بها كما تقدم حديث قتيلة رضي الله عنها وحديث الطفيل الآتي.

وهذه الأحاديث تدل على تحريم قول الرجل ما شاء الله وشاء فلان لأن الواو تفيد التشريك والله عز وجل لا شريك له في مشيئته بل للإنسان مشيئة لكن بعد مشيئة الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الإنسان: ٣٠

ولهذا زجر النبي ﷺ من سمعه يقول : ما شاء الله وشاء فلان فهذا من الشرك اللفظي، وقد يصل إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد الإنسان أن شيخه أو فلانًا له مشيئة مع الله أو له مشيئة مثل مشيئة الله ، ولا شك أن الفرق بين واضح فالله عز وجل يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

أما الإنسان المخلوق فقد يريد أشياء ويشاؤها ولا يستطيع إيجادها ، فكم أشياء نريدها

ولا نقدر عليها إلا إذا شاءها الله وأوجدها وهذا معروف .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله : قوله: "إنكم تشركون. تقولون: ما شاء الله وشئت". والعبد وإن كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله، ولا قدرة له على أن يشاء شيئا إلا إذا كان الله قد شاءه، كما قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ التكوير: ٢٨ - ٢٩ وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ الإنسان: ٢٩ - ٣٠

وفي هذه الآيات والأحاديث: الرد على القدرية والمعتزلة، نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله تعالى من العبد وشاءه. وسيأتي ما يبطل قولهم في "باب ما جاء في منكري القدر" إن شاء الله تعالى، وأنهم مجوس هذه الأمة.

وأما أهل السنة والجماعة فتمسكوا بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره. واعتقدوا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى في كل شيء مما يوافق ما شرعه الله وما يخالفه، من أفعال العباد وأقوالهم. فالكل بمشيئة الله وإرادته. فما وافق ما شرعه رضيه وأحبه، وما خالفه كرهه من العبد، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ الزمر: ٧ ، الآية. وفيه: بيان أن الحلف بالكعبة شرك، فإن النبي ﷺ أقر اليهودي على قوله: "إنكم تشركون". اهـ من شرح كتاب التوحيد(٤٠٠) باب قول : ما شاء الله وشئت.

۞ قلت : الحلف بالكعبة أو غيرها من المخلوقات وإن كانت عظيمة محرم ومنهي عنه وهو من الشرك الأصغر إلا أن يعظم المحلوف به مثل الله أو أشد فهو شرك أكبر ، ونهى النبي ﷺ عن ذلك سدًا لذريعة الشرك ، قال ﷺ : « لا تحلفوا بآبائكم ولا بأبنائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت» متفق عليه البخاري(٦١٠٨) ومسلم(١٦٤٦).

تقولون ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة ، فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا : «**ورب الكعبة وأن يقولوا ما شاء الله ثم ما شئت**» .

وأخرج النسائي أيضًا ، عن ابن عباس مرفوعًا أن رجلا قال : ما شاء الله وشئت ، قال : « **أجعلتني لله ندا ؟ قل ما شاء الله وحده** » .

وأخرج ابن ماجه[1] عَنْ الطُفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ رَأَى فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّهُ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْيَهُودُ، قَالَ: إِنَّكُمْ

---

(١)ابن ماجه (٢١١٨) وأحال على لفظ قبله عن حذيفة رضي الله عنه ، ولكن الراجح أنه من حديث الطفيل ، ولفظ حديث حذيفة رضي الله عنه أن رجلًا من المسلمين رأى في النوم أنه لقي رجلا من اليهود أهل الكتاب فقال : نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، وذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : أما والله إن كنت لأعرفها لكم ، قولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد» .

وحديث الطفيل قد رواه أحمد(٢٠٦٩٤) مطولا كما ذكره المصنف ، ولو كان عزاه لأحمد كان هو الصواب ، وهو صحيح كما قلنا ، والطفيل هو ابن سخبرة أخي عائشة لأمها أم رومان رضي الله عنها أزدي .

قال الحافظ ابن حجر : فيكون أكبر من عائشة ومن أخيها عبدالرحمن ، وذكر أنه في اسم أبيه ، ولم يكن مكثرًا من الحديث ، ترجمته في «الإصابة» وغيرها .

وفي الحديث قبول الحق ممن جاء به ما دام أنه حق ولا يترك الحق من أجل أنه جاء به فلان مثل بعض أهل الضلال يبقى على الشرك ولا ينتهي عنه ؛ لأن الذي حذره منه لم يكن من مشايخه ولا من أهل مذهبه وهكذا كثير ممن يقيم على البدع والحزبيات إذا جاءه الحق من غير مشايخه نكل عنه ورده ، والواجب قبول الحق والاستسلام له ؛ لأن الرسول ﷺ هو قدوة الجميع .

أَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ عُزَيْرًا ابْنُ اللهِ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: وَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ النَّصَارَى، فَقَالَ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» ، قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا صَلَّوْا، خَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا فَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنْكُمْ، أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا» ، قَالَ: " **لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ** "].

والوارد في هذا الباب كثير وفيه أن التشريك في المشيئة بين الله ورسوله أو غيره من عبيده فيه نوع من الشرك ، ولهذا جعل ذلك في هذا المقام الصالح كشرك اليهود والنصارى ، بإثبات ابن لله عز وجل ، وفي تلك الرواية السابقة أنه أثبت ذلك لله عز وجل .

ومن ذلك قوله ﷺ لمن قال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى : « **بئس خطيب القوم أنت** » وهو في الصحيح[1] .

(١)أخرجه مسلم(٨٧٠) وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ : قَالَ الْقَاضِي وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِنَّمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ لِتَشْرِيكِهِ فِي الضَّمِيرِ الْمُقْتَضِي لِلتَّسْوِيَةِ وَأَمَرَهُ بِالْعَطْفِ تَعْظِيمًا لله تَعَالَى بِتَقْدِيمِ اسْمِهِ كَمَا قَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ مَا شَاءَ الله وَشَاءَ فُلَانٌ وَلَكِنْ لِيَقُلْ مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ وَالصَّوَابُ أَنَّ سَبَبَ النَّهْيِ أَنَّ الْخُطَبَ شَأْنُهَا الْبَسْطُ وَالْإِيضَاحُ وَاجْتِنَابُ الْإِشَارَاتِ وَالرُّمُوزِ وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ وَأَمَّا قَوْلُ الْأُولَيَيْنِ فَيُضَعَّفُ بِأَشْيَاءَ مِنْهَا أَنَّ مِثْلَ هَذَا الضَّمِيرِ قَدْ تَكَرَّرَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ الله ﷺ كَقَوْلِهِ



وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما[١] في تفسير قوله تعالى : ﴿

ﷺ أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَإِنَّمَا ثَنَّى الضَّمِيرَ ها هنا لِأَنَّهُ لَيْسَ خُطْبَةَ وَعْظٍ وَإِنَّمَا هُوَ تَعْلِيمُ حُكْمٍ فَكُلَّمَا قَلَّ لَفْظُهُ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى حِفْظِهِ بِخِلَافِ خُطْبَةِ الْوَعْظِ فَإِنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ حِفْظُهُ وَإِنَّمَا يُرَادُ الِاتِّعَاظُ بِهَا وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هَذَا مَا ثَبَتَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ باسناد صحيح عن ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ عَلَّمَنَا رَسُولُ الله ﷺ خُطْبَةَ الْحَاجَةِ الْحَمْدُ لله نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ وَلَا يَضُرُّ الله شَيْئًا وَالله أعلم .اهـ من «شرح النووي» (١٦٥/٣) .

قلت : مثل هذه الألفاظ التي فيها احتمال للشرك الأكبر أو الأصغر فلا بد من التفصيل الذي ذكرناه قبل صفحات .

وهذا الحديث : « بئس الخطيب أنت » يحتمل فيه أيضًا أن النبي ﷺ خشى أن يقع في بعض قلوب السامعين أن رسول الله ﷺ بمنزلة الرب سبحانه أو كان الخطيب لم يبلغ المنزلة العالية في الفقه فأراد النبي ﷺ قطع الشبه وما يوهم خطأ .

فلما قد علم الناس حقيقة الدين والتوحيد قال : بجمع الضميرين وأذن بذلك والله أعلم.

(١) عند ابن أبي حاتم في تفسير سورة البقرة(٢٢) قال : حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم ، حدثنا أبي عمرو ، حدثني أبو عاصم يعني الضحاك بن مخلد ، أنبأ شبيب بن بشر ثنا عكرمة عن ابن عباس به ... وذكره .

وسنده حسن وتراجم رواته في «التهذيب» وشبيب بن بشر هو البجلي الكوفي صدوق يخطئ كما في «التقريب» .

﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢

أنه قال : الأنداد أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن يقول والله وحياتك يا فلان وحياتي[١] ، ويقول : لولا كلبة هذا لأتانا [٢]، ولولا البطّ في الدار لأتى اللصوص[٣] ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل لولا الله وفلان ، هذا كله شرك »[٤]. اهـ

وعمرو بن الضحاك بن مخلد روى عنه جماعة وقال ابن حبان : مستقيم الحديث ، وفي «التقريب» : ثقة كان على قضاء الشام ، روى له ابن ماجه .

(١)قوله : والله وحياتك يا فلان وحياتي :

هذا من الحلف بغير الله وهو من الشرك الأصغر واللفظي ، يجب تركه كما تقدم قريبًا .

(٢)أي نبحت فهرب اللصوص أو لم يأتوا أصلًا .

(٣)أي تصوت إذا أحست بشيء إذ كان يظن أن هذه الحيوانات تنفع مع الله فهذا من الشرك .

أما إذا قال ذلك أنها سبب في عدم إتيان اللصوص والله جعلها وسخرها لذلك فالأحسن أن يقال : إن الله جعل هذه الحيوانات سببًا في دفع اللصوص .

(٤)قوله : « لولا الله وفلان » : هذا من الشرك اللفظي الأصغر لأن المعنى لولا الله انقذني وفلان أو لو الله أعطاني وفلان فهذا لا يجوز وإن كان يرى أن هذا الشخص ليس نفعه مثل الله ولا يقاربه ، وقد يصل إلى الشرك الأكبر إذا كان يعتقد أن الله وهذا الشخص شريك لله في النفع .

أما إذا كان يقول ذلك ويجعل الإنسان هو سبب بعد الله في النفع أو أن يجعل هذا الإنسان ينفع فاللفظ ممنوع لتوهم الإشراك بالله ، ولكن يقول لولا الله ثم فلان لبقيت في السجن أو لحصل لي كذا وكذا .

❁ قوله : هذا كله شرك » :

هو على ما ذكرت من التفصيل ، والله أعلم .



ومن ذلك ما ثبت في الصحيح(١) من [حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ

(١)هو في البخاري(٢٥٥٢) ومسلم (٢٢٤٩).

ومعنى الحديث كما قال الإمام النووي رحمه الله : قَالَ الْعُلَمَاءُ مَقْصُودُ الْأَحَادِيثِ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا نَهْيُ الْمَمْلُوكِ أَنْ يَقُولَ لِسَيِّدِهِ رَبِّي لِأَنَّ الرُّبُوبِيَّةَ إِنَّمَا حَقِيقَتُهَا لله تَعَالَى لِأَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمَالِكُ أَوِ الْقَائِمُ بالشئ ولا يوجد حَقِيقَةُ هَذَا إِلَّا فِي الله تَعَالَى فَإِنْ قِيلَ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا أَوْ رَبَّهَا فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الْحَدِيثَ الثَّانِي لِبَيَانِ الْجَوَازِ وَأَنَّ النَّهْيَ في الأول للأدب وكراهة التنزيه لا للتحريم وَالثَّانِي أَنَّ الْمُرَادَ النَّهْيُ عَنِ الْإِكْثَارِ مِنَ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَاتِّخَاذِهَا عَادَةً شَائِعَةً وَلَمْ يَنْهَ عَنْ إِطْلَاقِهَا فِي نَادِرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَاخْتَارَ الْقَاضِي هَذَا الْجَوَابَ . اهـ من شرح مسلم(٧/٨) ط : دار عالم الكتب .

وفي الحديث التأدب مع الله تعالى ، وترك الألفاظ التي توهم نقصًا في حق الله أو تعظيم غير الله فوق منزلته حماية لجناب التوحيد .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وَفِيهِ نَهْيُ العَبْد أَن يَقُول لسَيِّده رَبِّي وَكَذَلِكَ نَهْيُ غَيْرِهِ فَلَا يَقُولُ لَهُ أَحَدٌ رَبُّكَ وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ السَّيِّدُ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ قَدْ يَقُولُ لِعَبْدِهِ اسْقِ رَبَّكَ فَيَضَعُ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ عَلَى سَبِيلِ التَّعْظِيمِ لِنَفْسِهِ وَالسَّبَبُ فِي النَّهْيِ أَنَّ حَقِيقَةَ الرُّبُوبِيَّةِ لله تَعَالَى لِأَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمَالِكُ وَالْقَائِمُ بِالشَّيْءِ فَلَا تُوجَدُ حَقِيقَةُ ذَلِكَ إِلَّا لله تَعَالَى قَالَ الْخَطَّابِيُّ سَبَبُ الْمَنْعِ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَرْبُوبٌ مُتَعَبَّدٌ بِإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لله وَتَرْكِ الْإِشْرَاكِ مَعَهُ فَكَرِهَ لَهُ الْمُضَاهَاةَ فِي الِاسْمِ لِئَلَّا يَدْخُلَ فِي مَعْنَى الشِّرْكِ وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ فَأَمَّا مَا لَا تَعَبُّدَ عَلَيْهِ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ فَلَا يُكْرَهُ إِطْلَاقُ ذَلِكَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْإِضَافَةِ كَقَوْلِهِ رب الدَّار وَرب الثَّوْب ، وَقَالَ بن بَطَّالٍ: لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِأَحَدٍ غَيْرِ الله رَبٌّ كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لَهُ إِلَهٌ . اهـ

وَالَّذِي يَخْتَصُّ بِالله تَعَالَى إِطْلَاقُ الرَّبِّ بِلَا إِضَافَةٍ أَمَّا مَعَ الْإِضَافَةِ فَيَجُوزُ إِطْلَاقُهُ كَمَا فِي

ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « **لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي** »] .

ووجه هذا النهي ما يفهم من مخاطبة السيد ، بمخاطبة العبد لربه ، والرب لعبده وإن لم يكن ذلك مقصودًا .

حكم التصوير

ومن ذلك ما ثبت في "الصحيحين"[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى : « **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا**

قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ وَقوله ارْجع إِلَى رَبك وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّهَا فَدَلَّ عَلَى أَنَّ النَّهْيَ فِي ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ لِلتَّنْزِيهِ وَمَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ فَلِبَيَانِ الْجَوَازِ وَقِيلَ هُوَ مَخْصُوصٌ بِغَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا يَرُدُّ مَا فِي الْقُرْآنِ أَوِ الْمُرَادُ النَّهْيُ عَنِ الْإِكْثَارِ مِنْ ذَلِكَ .اهـ من «الفتح» (٥/٢٢١).

وقول الشوكاني : وإن لم يكن ذلك مقصودًا :

أي ومع هذا نهى النبي ﷺ عن تلك الألفاظ دفعًا لما يتوهم من المعنى الفاسد ، والله أعلم .

(١) البخاري(٥٩٥٣) ومسلم(٢١١١) .

وحديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري(٥٩٥٤) ومسلم (٢١٠٨) .

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما في البخاري(٢٢٢٥) ولفظه : «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً، فَإِنَّ اللهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا» .

واللفظ الذي ذكره المصنف سياق مسلم(٢١١٠).

ذرة ، وليخلقوا حبة أو شعيرة» .

ولهما[١] عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله»** .

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسًا يعذب بها في جهنم»** .

ولهما عنه مرفوعًا : « **من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ»** .

وأخرج مسلم عن أبي الهياج الأسدي[٢] قال : قال لي علي : « ألا أبعثك على

---

(١) البخاري(٥٩٦٣) ومسلم(٢١١٠) ، وزاد مسلم قال ابن عباس : إن كنت فاعلًا فاصنع الشجر وما لا نفس له . أي صور هذه الأشياء التي لا روح فيها.

(٢) عند مسلم (٩٦٩) ، وهذه الأحاديث وأمثالها تدل على تحريم التصوير واتخاذها ، وكذا الصور المجسمة التي تنحت من الخشب أو الحجارة والرخام أو تصنع من الجص ونحوه ويحرم بيعها وتعليقها على الجدران والمحلات .

وغالبًا ما يعلقها إلا من يعظمها ، ولكن هذا التعظيم قد يصل إلى الحرمة ، وربما وصل إلى الشرك مثل بعض من يصور مشايخ العلم والصالحين ويضعها على قبورهم ، أو الملوك ويضعونها على مداخل المدن ، فهذا التعظيم يبالغ فيه حتى يطلب من الصالحين النفع والرزق والولد والشفاء وآخر يطلب دفع الضر ودفع البرَد عن الزرع ، ودفع العين والسحر وغير ذلك ، وهذا شرك كما كان بعض أهل الكتاب يفعلون ذلك ، فعن عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». وهو في الصحيح

كما تقدم .

فهذه الصور كانت سببًا للشرك .فلهذا حرم الله التصوير .

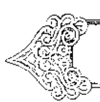
وفي علة أخرى وهي المشابهة والمضاهاة لخلق الله تعالى ، وكأن المصور يحاول يصور كتصوير الله ولهذا قال تعالى في الحديث القدسي : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» فتحداهم فقال فليخلقوا ذرة ، وهي من أصغر المخلوقات كما تحدى المشركين أن تخلق آلهتهم ذبابًا فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾الحج:٧٣

فهذا يدل على ضعف الآلهة ولا تستحق هذا الاسم وكذلك عجز عابديها .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح المجيد في باب ما جاء في المصورين : أي من عظيم عقوبة الله لهم وعذابه وقد ذكر النبي ﷺ العلة وهي المضاهاة بخلق الله لأن الله تعالى له الخلق والأمر فهو رب كل شيء ومليكه وهو خالق كل شيء وهو الذي صور جميع المخلوقات وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة كما قال تعالى : ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ السجدة: ٧ ، فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان أو بهيمة صار مضاهيًا لخلق الله فصار ما صوره عذابًا له يوم القيامة ، وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ، فكان أشد الناس عذابًا لأن ذنبه من أكبر الذنوب .

فإذا كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوانات فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين وصرف له شيئًا من العبادة التي خلق الله الخلق ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه فتسوية المخلوق بالخالق بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه وجعله شريكًا له فيما يختص به تعالى وتقدس ، وهو أعظم ذنب عصي الله تعالى به .اهـ من (ص:٤٦٧) ط: ابن حزم .

وفي حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ زيادة تسوية القبور : أي المشرفة تسوى بالأرض حتى يصير



ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ **ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»** .

فانظر إلى ما في هذه الأحاديث من الوعيد الشديد للمصورين لكونهم فعلوا فعلًا يشبه فعل الخالق ، وإن لم يكن ذلك مقصودًا لهم ، وهؤلاء القبوريون قد جعلوا بعض خلق الله شريكًا له ، ومثلًا وندًا ، فاستغاثوا به فيما لا يستغاث فيه إلا بالله ، وطلبوا منه مالا يطلب إلا من الله ، مع القصد والإرادة .

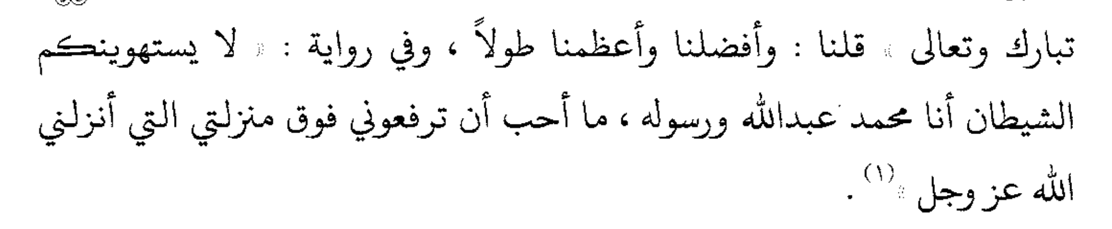
ومن ذلك ما أخرجه النسائي[1] – بسند جيد – عن عبدالله بن الشخير قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا : أنت سيدنا ، قال : «السيد الله[2]

كسائي القبور قدر شبر ولما فرط الناس وتساهلوا في هذا الأمر صار الجهال وعباد القبور يبنون عليها المساجد والمشاهد ويسمونها مشاهد وآثارًا و صار الجهال والضلال يصلون إليها ويعتكفون عندها وهذا عين ما نهى عنه النبي ﷺ بل اتخذوها عيدًا ومحطات لقاصديها في كثير من البلاد ولو نهيتهم قالوا: أنت المخالف .

والواجب على ولاة الأمر أن يسووها وأن يمنعوا الناس من العكوف عندها والذبح أو من كان عنده قدرة على ذلك ، فهذا أعظم منكر عصي الله به ، نسأل الله الهداية للمسلمين جميعًا .

(١) هو عنده في «الكبرى» (٦٧٠/٦) (١٠٠٧٤و١٠٠٧٥) وأخرجه الإمام أحمد (٢٤٢/٦) (١٦٣١٦) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني(١٤٨٢)(١٤٨٣) وهو صحيح عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه .

(٢) قوله ﷺ : «السيد الله تبارك وتعالى» : أي العظيم المالك الذي تم شرفه فهو المستحق للسيادة المطلقة ، وإن كان النبي ﷺ هو سيد الناس كما قال ﷺ : «أنا سيد الناس يوم القيامة» متفق عليه ، والسيد من ساد قومه وشرفهم ، ولكن أحب أن يعلمهم بأن



تبارك وتعالى » قلنا : وأفضلنا وأعظمنا طولاً ، وفي رواية : « لا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبدالله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل »(١) .

النبوة ليست كسيادة الدنيا .

ويحذرهم من المبالغة في الممادحة ، والله أعلم .

❁ قال الإمام الخطابي رحمه الله : قوله السيد الله يريد أن السؤدد حقيقة لله عز وجل وأن الخلق كلهم عبيد له، وإنما منعهم فيما نرى أن يدعوه سيداً مع قوله أنا سيد ولد آدم وقوله لبني قريظة قوموا إلى سيدكم يريد سعد بن معاذ من أجل أنهم قوم حديث عهدهم بالإسلام وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة كهي بأسباب الدنيا وكان لهم رؤساء يعظمونهم وينقادون لأمرهم ويسمونهم السادات فعلمهم الثناء عليه وأرشدهم إلى الأدب في ذلك. فقال قولوا بقولكم. يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم وادعوني نبياً ورسولاً كما سماني الله عز وجل في كتابه فقال «يا أيها النبي، يا أيها الرسول» ولا تسموني سيداً كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ولا تجعلوني مثلهم فإني لست كأحدهم إذ كانوا يَسُودونكم بأسباب الدنيا وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة فسموني نبياً ورسولاً. اهـ من «معالم السنن» (١٠٤/٤).

فانظر كيف يتواضع النبي ﷺ وينهى أصحابه أن يرفعوه فوق منزلته ، فكيف بمن يمدح بعض الأولياء فيقول : يا غوثاه أو يا غياث ، أو يا قطب الأرض وآخر يدعي أن شيخه يعلم الغيب أو يفرج الكرب ونحو هذا الكلام الباطل ، ومنهم من يأتي القبور يدعو الأولياء أو الأنبياء بأن يغيثوه أو يشفعون له أو يردون عليه غائبه ، ويقول : أنا في حبالك ومن لي غيرك! ، فهؤلاء رفعوا بعض الناس إلى منزلة الخالق المتصرف في الكون بزعمهم الباطل .

(١) قوله : وفي رواية : لا يستهوينكم : هي من حديث أنس رضي الله عنه رواها الإمام أحمد

و بالجملة فالوارد عن الشرع من الأدلة على قطع ذرائع الشرك ، وهدم كل شيء يوصل إليه في غاية الكثرة ، ولو رمت حصر ذلك على التمام لجاء في مؤلف بسيط ، فلنقتصر على هذا المقدار ، ونتكلم على حكم ما يفعله القبوريون من الاستعانة بالأموات ، ومناداتهم لقضاء الحاجات ، وتشريكهم مع الله في بعض الحالات ، وإفرادهم بذلك في بعضها فنقول :

اعلم أن الله لم يبعث رسله ، ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم ، والرازق لهم ونحو ذلك ، فإن هذا يُقر به كل مشرك قبل بعثة الرسل : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ الزخرف: ٨٧

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الزخرف: ٩

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس: ٣١

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ

(١٦٦/٢١)(١٣٥٢٩) والنسائي في «الكبرى»(٧١/٦)(١٠٠٧٧)و(١٠٠٧٨) وهو حديث صحيح.

بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ المؤمنون: ٨٤ - ٨٩

ولهذا نجد كل ما ورد في الكتاب العزيز[١] في شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار معنونًا باستفهام التقرير: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ فاطر: ٣

وقال تعالى: ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إبراهيم: ١٠

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الأنعام: ١٤

﴿ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ لقمان: ١١

---

(١) أي يقررهم بتوحيد الربوبية فإذا اعترفوا وأقروا بأن الله هو الخالق والرازق وحده ألزمهم بتوحيد الألوهية أي إذا كنتم تقرون بأنه الخالق وحده والمتصرف في الكون وحده فأفردوه إذا بالعبادة وحده واخلصوا له العبادة كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠

والآيات التي ذكرها المصنف من سورة المؤمنون تدل على إلزامهم بذلك ﴿... أفلا تتقون﴾ أي توحدون الله وتتركون الشرك وتعملون بطاعة الله وتجعلون بينكم وبين عذابه وقاية فاتقوا عقابه بالطاعة وترك الكفر.

وقوله: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ المؤمنون: ٨٤ - ٨٥

أي فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على إحياء الموتى وسائلهم عن أعمالهم ومحاسبتهم على ذلك فماذا قد عملتم ليوم الحساب فتذكروا الوقوف بين يدي الخالق.

بل بعث الله رسله وأنزل كتبه لإخلاص توحيده وإفراده بالعبادة لله [١]:

(١) وذلك لأن الدعاء عبادة قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: ٦٠

وقال النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة» وقرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، وهو صحيح فجعل الدعاء هو العبادة لعظمته لأن الداعي يظهر الفقر والتذلل للمدعو والله عز وجل هو أحق من يظهر له الفقر والذل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فاطر: ١٥

فالدعاء والاستعانة والاستغاثة عبادة فلا تصرف إلا لله تعالى.

وقوله سبحانه: ﴿له دعوة الحق﴾:

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره: وإنما عنى بالدعوة الحق، توحيد الله وشهادة أن لا إله إلا الله. اهـ

ونقله ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿له دعوة الحق﴾ شهادة أن لا إله إلا الله، وهو حسن لغيره عنه.

وأقوال السلف في معناها واحد.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ الرعد: ١٤

قال ابن جرير أيضًا: لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون آلهةً بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرٍّ ﴿لا كباسط كفيه إلى الماء﴾، يقول: لا ينفع داعي الآلهة دعاؤه إياها إلا كما ينفع باسط كفيه إلى الماء بسطُه إياهما إليه من غير أن يرفعه إليه في إناء، ولكن ليرتفع إليه بدعائه إياه وإشارته إليه وقبضه عليه. اهـ

والمعنى أن الذي يدعو غير الله من الأصنام والأحجار والأشجار وكذا الذي يدعو الموتى لا ينتفع بشيء مثل الذي يقف على البئر ويبسط يده ويشير إلى الماء ليرتفع فلا يرتفع

إليه ولا يصعد إليه ما دام أنه لم يرفعه بدلو ولا مكائن ونحوه ترفع الماء من الأسفل إلى الأعلى وهذا مثل عجيب ضرب الله لمن يشرك به سبحانه وكما قال الله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ فاطر: ١٣ - ١٤

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ فاطر: ٢٢

وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ إبراهيم: ١١

أي على أهل الإيمان المصدقين بالله الممتثلين لأمره أن يعتمدوا على الله عز وجل في جلب المنافع ودفع المضار فهو الذي يقدر على كل شيء كما قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ ﴾ الذاريات: ٥٦ - ٥٧

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا» .

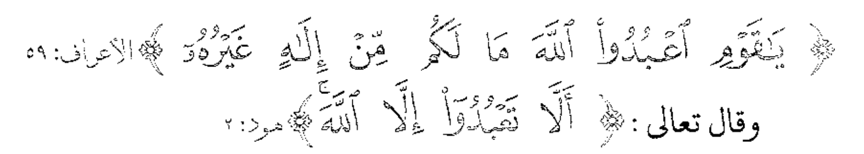
رواه ابن ماجه(٤١٦٤) وأحمد (٢٠٥) بتحقيق شعيب ومن معه ، والترمذي(٢٣٤٤) وغيرهم وهو حديث صحيح .

والله عز وجل من توكل عليه وفوض إليه أمره كفاه ما يخافه ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ الطلاق: ٣

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ الأعراف: ٥٩

وقال تعالى: ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ ﴾ هود: ٢



﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ نوح: ٣

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ الأعراف: ٧٠

﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا

وكان الناس قد رجعوا من أحد وأراد العدو أن يرجع للقتال فعلم النبي ﷺ وأصحابه فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وقال الحبر ابن عباس رضي الله عنهما قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم .... وهو في البخاري.

فانظر كيف أخمد الله حر النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام بسبب هذه الكلمة وكذلك رد الله المشركين عن رسول الله ﷺ فخافوا حين علموا أن رسول الله ﷺ وأصحابه قد خرجوا خلفهم حتى بلغوا حمراء الأسد.

وكم ينجي الله من أناس مظلومين ومضطرين لا يقدر أحد من الخلق على إنقاذهم، فالواجب الاعتماد على الله تعالى وحده فهو الإله الحق سبحانه رب العالمين.

قوله: ﴿إن كنا لفي ضلال﴾ ...:

أي أنهم سووهم بالله بالتعظيم والمحبة والتذلل للآلهة التي لا تنفعهم ولا تضرهم وكانوا طلبوا منها النفع والضر، ولم يسووها بالله بأنها تخلق وترزق.

تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الأعراف: ٧٣

﴿ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ العنكبوت: ٥٦

وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله ، والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير ، واستدفاع الشر له منه ، لا لغيره ولا من غيره : ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٨

﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾ الرعد: ١٤

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ إبراهيم: ١٢

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ المائدة: ٢٣

وقد تقرر أن شرك المشركين الذين بعث الله إليهم خاتم رسله ﷺ لم يكن إلا باعتقادهم أن الأنداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقربهم إلى الله وتشفع لهم عنده مع اعترافهم بأن الله سبحانه هو خالقها وخالقهم ورازقها ورازقهم ، ومحييها ومحييهم ، ومميتها ومميتهم : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣

﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢

﴿ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ الشعراء: ٩٧ – ٩٩

﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ يوسف:١٠٦[1]

---

(١) يحمل أن إيمانهم هو أنهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ، وقد يعبدون الله ببعض العبادات كما كان بعضهم يحج ويطوف بالكعبة ولكن يشرك بالله ويصرف العبادة لغير الله فما ينفعهم ذلك الإيمان المخلوط بالشرك .

قال الإمام ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ : وما يؤمن أكثرهم ...يقول تعالى ذكره: وما يُقِرُّ أكثر هؤلاء الذين وصَفَ عز وجل صفتهم بقوله: (وكأين من آية في السموات والأرض يمرُّون عليها وهم عنها معرضون) بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء (إلا وهم مشركون) ، في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أربابًا، وزعمهم أنَّ له ولدًا، تعالى الله عما يقولون. .. وذكر نحو ذلك عن جمع من المفسرين منهم مجاهد وعكرمة وقتادة وعطاء وغيرهم .

وذكر سنده عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا الله وهم مشركون ، وسنده فيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف لكنه متابع عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٠٧/٧) فهو حسن لغيره والحمد لله .

فنقول لمن يدعو أصحاب القبور ويرجوهم ويتضرع إليهم ويعظمهم كتعظيم الله أو أشد أنت قد ارتكبت الشرك فلا تنفعك صلاة ولا غيرها حتى توحد الله وتخلص له الأعمال .

ومن شرك المشركين كانوا يعبدون الأوثان ويقولون ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ ويظنون أنهم سيشفعون لهم وأن الله سيقبل شفاعتهم وهذا لجهلهم فإن الله لا يقبل شفاعة رجال صالحين في المشركين لأن المشرك ما تنفعه شفاعة الشافعين ولا يقبل شفاعة من مشرك ، فكيف من يظن أن الأحجار والأشجار ستشفع له ؟

وهذا غاية الجهل .

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨

وكانوا يقولون في تلبيتهم[1] : لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك.

وإذا تقرر هذا ، فلا شك أن من اعتقد في ميت من الأموات أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه ، إما استقلالًا أو مع الله تعالى ، أو ناداه أو توجه إليه أو اتسغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق ، فلم يخلص التوحيد لله ولا أفرده بالعبادة .

السبب

[١] إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه ، ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة .

[٢] ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حجرًا أو شجرًا أو ملكًا أو شيطانًا كما كان يفعل ذلك في الجاهلية ، وبين أن يكون إنسانًا من الأحياء أو الأموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين .

وكل عالم يعلم هذا ويقر به ، فإن العلة واحدة وعبادة غير الله تعالى وتشريك

---

(١)رواه مسلم(١١٨٥) وكان النبي ﷺ يقولو : « إذا سمعهم يقولون لا شريك لك يقول ويلكم قد قد أي حسبكم فانظر كيف يعرفون الله ، هو الإله العظيم المالك لكل شيء .
ولكن يصرفون العبادة لغيره .
فلا يكفي الاعتراف بأن الله الخالق الرازق المدبر ، بل لا بد من توحيد الألوهية وصرف العبادة لله وحده ، وكلام الشوكاني رحمه الله في الباب جيد وواضح .

غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد ، وللحي كما يكون للميت ، فمن زعم أن ثم فرقًا[١] بين من اعتقد في وثن من الأوثان أنه يضر أو ينفع ، وبين من اعتقد في ميت من بني آدم أو حي منهم أنه يضر أو ينفع أو يقدر على أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى فقد غلط غلطًا بينًا وأقر على نفسه بجهل كبير فإن الشرك ، هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به ، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه ، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه .

ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكًا بالصنم والوثن ، والإلهية لغير الله ، زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد كما يفعله كثير من المسلمين ، بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن إذ ليس الشرك هو مجرد اطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئًا يختص به سبحانه سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية أو أطلق عليه اسمًا آخر ، فلا اعتبار بالاسم قط [٢]،

(١) زعم أي قال ثمَّ ظرف بمعنى هناك « فرقا بين من اعتقد في وثن» الوثن كل ما عبد من دون الله سواء كان على صورة إنسان أو شجر أو حجر أو غيره فهو وثن .
وقال الإمام ابن الأثير : الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَثَنِ والصَّنَم أنَّ الْوَثَنَ كلُّ مَا لَه جُثَّة مَعْمولة مِنْ جَواهِرِ الْأَرْضِ أَوْ مِنَ الخَشَب والحِجارة، كصُورة الآدَميّ تُعْمَل وتُنْصَب فتُعْبَد. والصَّنَم: الصُّورة بِلا جُثَّة. وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَفْرُق بَيْنَهما، وأطلَقَهما عَلَى المَعْنَيَين. وَقَدْ يُطْلَق الوَثَن عَلَى غَيْرِ الصُّورة. اهـ من «النهاية» مادة وثن (١٥١/٥) .
(٢) نعم الأمور بمعانيها وما تؤول إليه من نفع وضر ، فمثلًا لو أن إنسانًا صنع خمرًا وسماها شرابًا روحيًا مقويًا وهي تسكر فهذا الاسم لا يغير حكم التحريم فهي حرام على كل

ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به أهل العلم .

وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها واعتقاد أن تضر وتنفع ، والاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب لها في بعض الحالات بجزء من

حال ما دامت تسكر لقول النبي ﷺ : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » ، وهو في الصحيح .

وهكذا لو أخذ القاضي رشوة وقال هذه حق تمشية عمل أو هي إكرامية ونحو ذلك ، وكذلك من يأخذ الربا وقال هذه منافع وفوائد وليست ربا ، نقول هو ربا محرم وتسمياتكم لا تغير الحكم ، فكذلك من دعا ميتًا وسماه وليًا أو صالحًا ، وقال هذا من الصالحين ولهم الشفاعة والبشرى ، فنقول صرف العبادة للصالحين و لغير الله وعدم إخلاصها له سبحانه هو الشرك بعينه وهذا أعظم بلاء ابتليت به الأمة الإسلامية .

ومنه تعظيم أهل البدع لمشايخهم وللصالحين والأنبياء حتى طلبوا منهم النفع ودفع الضر .

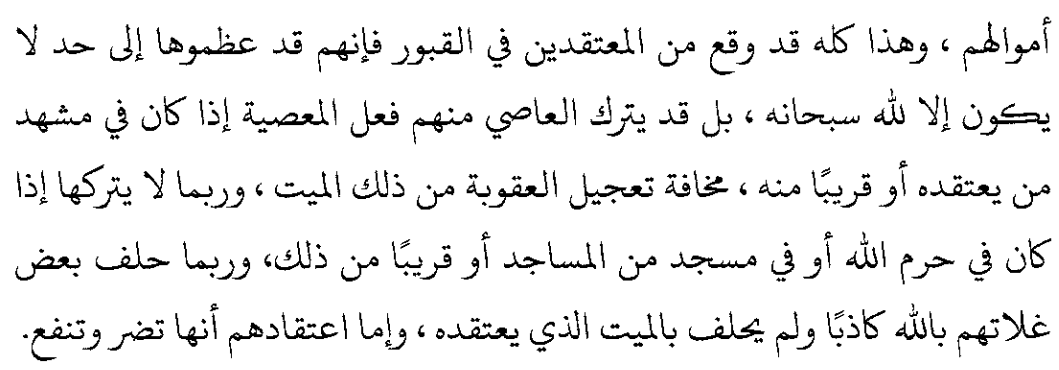
وأول من أضل الناس في هذا غلاة أهل الضلال في بعض الصحابة والصالحين بالمقالات الباطلة فبعضهم قال إنه يخلق ، وهو يرفع ويخفض .

وكذا الصوفية غالوا في أهل القبور ونحروا لهم النحائر .

فالحذر الحذر من الالتحاق بطوائف الضلال وهم طوائف كثيرة ، وكل من دعا إلى ضلالة الواجب الابتعاد عنه فإن الشرك أعظم الذنوب ، كما قال تعالى عن لقمان : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٤٨

فمن مات على الشرك الأكبر فلا يغفر الله له ذنوبه بل هو مخلد في النار والعياذ بالله .



أموالهم ، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور فإنهم قد عظموها إلى حد لا يكون إلا لله سبحانه ، بل قد يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقده أو قريبًا منه ، مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت ، وربما لا يتركها إذا كان في حرم الله أو في مسجد من المساجد أو قريبًا من ذلك، وربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذبًا ولم يحلف بالميت الذي يعتقده ، وإما اعتقادهم أنها تضر وتنفع.

فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع أحد منهم ميتًا أو حيًا عند استجلابه لنفع أو استدفاعه لضر قائلًا : يا فلان افعل لي كذا وكذا ، وعلى الله وعليك ، وأنا بالله وبك .

وأما التقرب للأموات فانظر ماذا يجعلونه من النذور لهم وعلى قبورهم في كثير من المحلات ولو طلب الواحد منهم أن يسمح بجزء من ذلك لله تعالى لم يفعل، وهذا معلوم يعرفه من يعرف أحوال هؤلاء .

فإن قلت : إن هؤلاء القبوريين يعتقدون أن الله تعالى هو الضار النافع ، والخير والشر بيده ، وإن استغاثوا بالأموات قصدوا إنجاز ما يطلبونه من الله سبحانه .

قلت : وهكذا كانت الجاهلية فإنهم كانوا يعلمون أن الله هو الضار النافع ، وأن الخير والشر بيده وإنما عبدوا أصنامهم لتقربهم إلى الله زلفى ، كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز .

نعم إذا لم يحصل من المسلم إلا مجرد التوسل الذي قدمنا تحقيقه فهو كما

ذكرناه سابقًا [١].

---

(١)قلت : نعم سبق الكلام على التوسل المشروع والممنوع والخلاصة أن التوسل إلى الله بالإيمان والعمل الصالح واجب ومطلوب ويجوز التوسل بدعاء الرجل الصالح الذي يرجى أن الله يستجيب له كما كان الصحابة يدعون بعضهم لبعض ويطلبون من النبي ﷺ أن يدعو لهم ، وكذا التوسل بأسماء الله وصفاته مثل : يا رحيم ارحمني ، وأما التوسل بجاه الأنبياء والصالحين ، فهذا من البدع التي لا تجوز ، وحتى بذات النبي ﷺ ممنوع لأن الصحابة رضي الله عنهم كانت تحصل لهم محن فلم يكونوا يأتون قبره فيدعونه أو يتوسلون بجاهه وذاته ولكن لما كان حيًا بين أظهرهم كانوا يأتون إليه ويقولون ادع لنا كما كانوا يقولون استنصر لنا ، أو ادع الله أن يبارك لنا في طعامنا وشرابنا وثمارنا وكان يدعو لهم بإنزال الأمطار ، وأما جاهه فهو ينفعه ﷺ لنفسه .

وأما من دعا أهل القبور واستغاث بهم واستنصر بهم فنقول هذا شرك لا توسل وانظر إلى ما قاله بعضهم في الاستغاثة بالنبي ﷺ والمغالاة في ذلك ، فقد قال الشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله فقد نشرت صحيفة المجتمع الكويتية في عددها(١٥) الصادرة(١٩/٤/١٣٩٠هـ) أبياتًا تحت عنوان : في ذكرى المولد النبوي الشريف تتضمن الاستغاثة بالنبي ﷺ والاستنصار به لإدراك الأمة ونصرها وتخليصها مما وقعت فيه من التفرق والاختلاف، بإمضاء من سمت نفسها آمنة، وهذا نص من الأبيات المشار إليها:

يا رسول الله أدرك عالما ... يشعل الحرب ويصلى من لظاها

يا رسول الله أدرك أمة ... في ظلام الشك قد طال سراها

يا رسول الله أدرك أمة ... في متاهات الأسى ضاعت رؤاها

عجل النصر كما عجلته ... يوم بدر حين ناديت الإله

فاستحال الذل نصرا رائعا ... إن لله جنودا لا تراها. اهـ

من إقامة البرهان على من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين نقلا عن كتاب المختار من رسائل الأئمة الكبار للشيخ منصور الراشد(٢٥١) .

ولكن من زعم أنه لم يقع منه إلا مجرد التوسل وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين وزاد على مجرد الاعتقاد فتقرب إلى الأموات بالذبائح والنذور وناداهم مستغيثًا بهم عند الحاجة فهذا كاذب في دعواه أنه متوسل فقط، فلو كان الأمر كما زعمه لم يقع منه شيء من ذلك ، والمتوسل به لا يحتاج إلى رشوة بنذر أو ذبح ولا تعظيم ولا اعتقاد ؛ لأن المدعو هو الله سبحانه، وهو أيضًا المجيب ، ولا تأثير لمن وقع به التوسل بالعمل الصالح فأي جدوى في رشوة من صار في أطباق الثرى بشيء من ذلك ؟

وهل هذا إلا فعل من يعتقد التأثير اشتراكًا أو استقلالًا ولا أعدل من شهادة أفعال جوارح الإنسان على بطلان ما ينطق به لسانه من الدعاوي الباطلة العاطلة ، بل من زعم أنه لم يحصل منه إلا مجرد التوسل وهو يقول بلسانه : يا فلان مناديًا لمن يعتقده من الأموات فهو كاذب على نفسه ، ومن أنكر حصول النداء للأموات والاستغاثة بهم استقلالًا فليخبرنا ما معنى ما نسمعه في الأقطار اليمنية من قولهم : يا ابن العجيل ، يا زيلعي ، يا ابن علوان ، يا فلان... يا فلان ...

وهل ينكر هذا منكر أو يشك فيه شاك ، وما عدا ديار اليمن فالأمر فيها أطم وأعم ، ففي كل قرية ميت يعتقده أهلها وينادونه[1] ، وفي كل مدينة جماعة

فانظر كيف يطلب تعجيل النصر من النبي ﷺ للأمة ولا يطلب النصر إلا من الله تعالى فالنصر بيد الله وحده ، وكذلك إنزال النصر يوم بدر ، كان من الله عز وجل ، فمثل هذا شرك لا توسل : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ آل عمران: ١٢٣
وقال تعالى : ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ آل عمران: ١٢٦

(١) قلت : إلا من رحم الله ومن ذلك بلد الحرمين ونجد وما جاورها قد طهرت وأزيلت

منهم ، حتى أنهم في حرم الله ينادون يا ابن عباس ، يا محجوب[1] ، فما ظنك بغير ذلك ، فلقد تلطف إبليس وجنوده أخزاهم الله تعالى لغالب أهل الملة الإسلامية بلطيفة تزلزل الأقدام عن الإسلام فإنا لله وإنا إليه راجعون .

أين من يعقل معنى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٤][2]

عبادة القبور والشجر ونحوها بسبب دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ومن تبعه على الهدى والخير وكذا في زماننا بعض القرى والمدن في اليمن أزيلت وطهر من الشركيات بسبب الدعوة السلفية والفضل يرجع لله عز وجل وحده ، فنشر العلم بين الناس من أعظم أسباب دفع الشرك وإزهاقه : ﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ: ٤٩]

وهناك بلدان أخرى قد هدمت كثير من القباب والمشاهد التي كانت على القبور مثل ليبيا ومصر وغيرها والحمد لله على فضله وجزى الله الدعاة خيرًا على ما يقومون به من الدعوة إلى التوحيد والسنة .

(١) قلت : هذا كان قبل دعوة الشيخ محمد عبدالوهاب رحمه الله فلما انتشرت الدعوة وتعلم الناس التوحيد الآن لا يوجد هذا ولا يوجد قبر يدعي في مكة ولا غيرها من البلاد المجاورة لها فالخير انتشرت واختفى الشرك وأزيلت المشاهد ، والحمد لله .

(٢) وقال الإمام ابن جرير : يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان، موبِّخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الأصنام: (إن الذين تدعون) أيها المشركون، آلهةً (من دون الله) ، وتعبدونها، شركًا منكم وكفرًا بالله = (عباد أمثالكم) ، يقول: هم أملاك لربكم، كما أنتم له مماليك. فإن كنتم صادقين أنها تضر وتنفع، وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتموهم، فإن لم يستجيبوا لكم، لأنها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر ؛ لأن الضر والنفع إنما

يكونان ممن إذا سُئل سمع مسألة سائله وأعطى وأفضل، ومن إذا شكي إليه من شيء سمع، فضرّ من استحق العقوبة، ونفع من لا يستوجب الضرّ. اهـ.

قوله : عباد أمثالكم :

أي هم مخلوقون مربوبون لا يستحقون العبادة كما أنكم لا تستحقونها .

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي : (إن الذين تدعون من دون الله) يعني الأصنام ﴿عباد أمثالكم﴾ في أنهم مسخرون مذللون لأمر الله .اهـ المراد من زاد المسير(٣/٣٠) .

وقال الإمام القرطبي : وَسُمِّيَتِ الْأَوْثَانُ عبادًا لأنها مَمْلُوكَةٌ لله مُسَخَّرَةٌ. الْحَسَنُ: الْمَعْنَى أَنَّ الْأَصْنَامَ مخلوقة أمثالكم. وَلَمَّا اعْتَقَدَ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ تَضُرُّ وَتَنْفَعُ أَجْرَاهَا مَجْرَى النَّاسِ فَقَالَ: (فَادْعُوهُمْ) .

وقال : وَالْمَعْنَى: مَا الَّذِينَ تَدْعُونَ من دون الله عبادا أمثالكم، أَيْ هِيَ حِجَارَةٌ وَخَشَبٌ، فَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ مَا أنتم أشرف منه.اهـ من تفسيره .

والمعنى الأخير أيضًا وجيه فهم يعبدون جمادات لا تنفع ولا تضر مع أنهم يتحركون ويتكلمون أحسن منها وأكمل وكذلك الذي يدعو ميتًا نقول له مثل ذلك إذا كان ذلك الميت لا ينفع ولا يضر في حياته في أمور لا يقدر عليها إلا الله فبعد الموت هو أعجز كما قال الله : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾فاطر:١٤

وقال : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾يس:٥٠

بل الحي يستطيع يعمل أمورًا ينفع بها آخرين كالنفقة عليهم وحمل الرجل على دابته أو سقى عطشان أو أطعم جائع أو أرشد ضالا وحائرًا أو تعليم جاهل ، أما الميت فلا يستطيع حتى لمثل هذه الأمور التي يستطيع لها الحي فكيف يطلب منه الغوث والنصرة وشفاء المريض وإعادة الغائب ، وإنزال المطر وكشف الكرب ونحو ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا رب السموات والأرض وكأن عباد القبور لا يفهمون القرآن ولا

﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾الجن: ١٨

﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ الرعد: ١٤

وقد أخبرنا الله سبحانه أن الدعاء عبادة في محكم كتابه بقوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾غافر: ٦٠

وأخرج أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ " . [1]

يفكرون بعقول سليمة .

(١) أبو داود هو برقم (١٤٧٩) والترمذي(٣٣٧٢) وأخرجه أحمد(٢٩٨/٣٠) وهو صحيح عن النعمان بن بشير رضي الله عنه وقرأ الآية المذكورة في هذا الحديث ، وأخرجه الحاكم(٤٩١/١) وابن ماجه(٣٨٢٨) وابن أبي شيبة(٢٣/٧) والنسائي(٢٥٣/٢)(٤٨٤)، وحديث : « الدعاء مخ العبادة» رواه الترمذي (٣٣٧١) وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة .

قلت : وابن لهيعة ضعيف ، وهو من حديث أنس رضي الله عنه .

وأخرجه الطبراني في «الأوسط»(٢٩٣/٣)(٣١٩٦) وقال تفرد به ابن لهيعة .اهـ

وخلط المؤلف بين الحديثين فيتنبه .

وهذا فيما يظهر كتبه من حفظه فوقع خطأ في التخريج و في ذكر الآية .

❁ قوله ﷺ : « الدعاء هو العبادة» أي عبادة على الحقيقة ولأهمية الدعاء كأنه العبادة لوحده مثل الحج عرفة والدين النصيحة .

ولما فيه من إظهار الذل والفقر فلا يدعى إلا الله ولا تطلب الحاجات إلا من الله تعالى

فهو سبحانه أهل لذلك والقادر على كل شيء فالدعاء من خصائص الرب تعالى فالنفع والضر بيده.

❁ وقال الإمام ابن القيم رحمه الله بعد تقسيم الدعاء إلى دعاء عبادة ودعاء مسألة : فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود حقا والمعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضرر ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد من دونه مالا يملك ضرا ولا نفعا وذلك كثير في القرآن كقوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ يونس: ١٨وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ يونس: ١٠٦، وقوله تعالى:﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ المائدة: ٧٦ ، وقوله تعالى:﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنبياء: ٦٦ -٦٧، وقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ الشعراء: ٦٩ -٧٣، وقوله تعالى:﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ الفرقان: ٣، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ الفرقان: ٥٥ ، فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين من دونه النفع والضر القاصر والمتعدي فلا يملكونه لأنفسهم ولا لعابديهم. وهذا في القرآن كثير بين أن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسألة ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة فعلم أن النوعين متلازمان فكل

وفي رواية: «مخ العبادة». ثم قرأ رسول الله ﷺ الآية المذكورة.

وأخرجه أيضًا النسائي وابن ماجه والحاكم وأحمد وابن أبي شيبة باللفظ المذكور.

وكذلك النحر للأموات عبادة لهم، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم، والتعظيم عبادة لهم، كما أن النحر للنسك وإخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله عز وجل بلا خلاف، ومن زعم أن ثمَّ فرقًا بين الأمرين فليهده إلينا، ومن قال إنه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم والنذر عليهم عبادتهم فقل له: فلأي مقتضى صنعت هذا الصنيع فإنَّ دعاءك للميت عند نزول أمر بك لا يكون إلا لشيء في قلبك عبر عنه لسانك، فإن كنت تهذي بذكر الأموات عند عروض الحاجات من دون اعتقاد منك لهم فأنت مصاب بعقلك.

وهكذا إن كنت تنحر لله [وتنذر لله] فلأي معنى جعلت ذلك للميت، وحملته إلى قبره، فإن الفقراء على ظهر البسيطة في كل بقعة من بقاع الأرض، وفعلك وأنت عاقل لا يكون إلا لمقصد قد قصدته، أو أمر قد أردته، وإلا فأنت مجنون قد رُفع عنك القلم ولا نوافقك على دعوى الجنون إلا بعد صدور أفعالك

دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] يتناول نوعي الدعاء وبكل منهما فسرت الآية. اهمن «بدائع الفوائد» (٣/٢-٤).

وهذا كلام جيد وفي غاية من الحسن ورد على عباد القبور ومن جرى مجراهم ممن يتعلق بعبادة غير الله تعالى.

وأقوالك في غير هذا على نمط أفعال المجانين ، فإن كنت تصدرها مصدر أفعال العقلاء فأنت تكذب على نفسك في دعواك الجنون في هذا الفعل بخصوصه فرارًا عن أن يلزمك ما لزم عبَّاد الأوثان الذين حكى الله عنهم في كتابه العزيز ما حكاه بقوله : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٦][(١)]

وبقوله : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ

---

(١) قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية : ذَرَأَ يَذْرَأُ ذَرْءًا، أَيْ خَلَقَ. وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ وَاخْتِصَارٌ ، وَهُوَ وَجَعَلُوا لِأَصْنَامِهِمْ نَصِيبًا، دَلَّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ. وَكَانَ هذا مما زينه الشيطان وسوله لهم، حتى صرفوا من ماله طَائِفَةً إِلَى الله بِزَعْمِهِمْ وَطَائِفَةً إِلَى أَصْنَامِهِمْ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ. وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ. جَعَلُوا لله جُزْءًا وَلِشُرَكَائِهِمْ جُزْءًا، فَإِذَا ذَهَبَ مَا لِشُرَكَائِهِمْ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهَا وَعَلَى سَدَنَتِهَا عُوِّضُوا مِنْهُ مَا لِلَّهِ، وَإِذَا ذَهَبَ مَا لله بالإنفاق عَلَى الضِّيفَانِ وَالْمَسَاكِينِ لَمْ يُعَوِّضُوا مِنْهُ شَيْئًا، وقالوا: الله مُسْتَغْنٍ عَنْهُ وَشُرَكَاؤُنَا فُقَرَاءُ. وَكَانَ هَذَا مِنْ جَهَالَاتِهِمْ وَبِزَعْمِهِمْ. وَالزَّعْمُ الْكَذِبُ. اهـ

وبعض القبوريين الآن من يفعل هذا فينذر بالمزرعة الفلانية والجربة الفلانية أو بعضها للولي الفلاني أو لمولد فلان وللحضرة الفلانية وينذرون لبعض الأولياء بابن البقرة الفلانية ، وينذرون بالثياب والشمع والبخور والطيب وغير ذلك ، وإن سموها نذورًا فهي أفعال شركية كأفعال أهل الجاهلية ؛ لأن المعنى واحد وهو صرف بعض العبادات لغير الله من الأموال على جهة التعظيم للموتى فهذه عبادتهم .

لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ النحل: ٥٦[١]

فإن قلت : إن المشركين كانوا لا يقرون بكلمة التوحيد ، وهؤلاء المعتقدون في الأموات يقرون بها .

قلت : هؤلاء إنما قالوها بألسنتهم وخالفوها بأفعالهم ؛ فإن من استغاث بالأموات ، أو طلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه أو عظمهم أو نذر عليهم بجزء من ماله أو نحر لهم ؛ فقد نزلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعال فهو لم يعتقد معنى : « لا إله إلا الله »[٢] ولم يعمل بها ، بل خالفها

---

(١) وهذه الآية معناها مثل التي قبلها والله سبحانه وتعالى سيسألهم سؤال حساب وعقاب عن الذي افتروه واخترعوه من العبادة لغير الله في صرف مثل هذه الأموال للأوثان بدون حجة شرعية ، وهكذا من صرف النذور للأوثان والبخور والذبائح للموتى فقد افترى وعمل هذه الأفعال بدون حجة شرعية وإن استدلوا بأدلة فهو استدلال في غير موضعه وإنما هي شبه داحضة .

(٢) قلت : هذا القائل لها لا يعرف معناها فربما يعتقد معنى غير معناها الصحيح فمعناها نفي العبودية عن غير الله بحق ، أي لا معبود بحق إلا الله ، ولهما ركنان نفي وإثبات ، فمن مات على هذه الكلمة ولم يناقضها بصرف أي عبادة لغير الله دخل الجنة كما قال النبي ﷺ : « من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ، ومن مات وهو يشرك بالله شيئًا دخل النار » رواه مسلم .

فلا بد من معرفة معناها والاستيقان بذلك قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ محمد: ١٩

وقال النبي ﷺ : «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة» . رواه مسلم(٢٧) .

اعتقادًا وعملًا ، فهو في قوله : « لا إله إلا الله » كاذب على نفسه ، فإنه قد جعل إلهًا غير الله يعتقد أنه يضر وينفع ، فعبده بدعائه عند الشدائد والاستغاثة به عند الحاجة ، وبخضوعه له وتعظيمه إياه ، ونحر له النحائر ، وقرب إليه نفائس الأموال ، وليس مجرد قوله : « لا إله إلا الله » من دون عمل بمعناها مثبتًا للإسلام ، فإنه لو قالها أحد من أهل الجاهلية وعكف على صنمه يعبده ، لم يكن ذلك إسلامًا .

فإن قلت : قد أخرج أحمد بن حنبل والشافعي في مسنديهما من حديث [عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ الْأَنْصَارِ حَدَّثَهُ أَتَى رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ فَسَارَّهُ[1] يَسْتَأْذِنُهُ فِي قَتْلِ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَجَهَرَ

وكان النبي ﷺ في حائط فدخل عليه أبو هريرة رضي الله عنه فقال له النبي ﷺ : «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» رواه مسلم(٣١) .

فالاعتقاد الصادق والاستيقان بهذه الكلمة سبب في دخول الجنة والنجاة من النار بل هي أعظم وسيلة وسبب لذلك نسأل الله أن يميتنا على ذلك آمين .

(١) عند أحمد (٧٣/٣٩)(٢٣٦٧٠) متصلًا ، وأخرجه عبدالرزاق(١٦٣/١٠)(١٨٦٨٨) عن معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار عن عبدالله بن عدي الأنصاري حدثه أن رسول الله ﷺ ... فذكره ، وهذا سند على شرط الشيخين وبين أن الرجل المذكور عند أحمد هو عبدالله بن عدي .

وأما الشافعي هو في المسند(٣٢٠/١) عن مالك عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي عن عبيدالله بن الخيار أن رجلا سار النبي ﷺ ... فذكره .

وهذا مرسل لكن الذي يظهر أنه لا يضر المتصل ؛ لأن الذين وصلوه كثير ، ومالك كان إذا شك في الحديث أرسله ، والحديث أيضًا له شواهد في الجملة في ترك قتل المصلين ،

رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله؟» قَالَ الْأَنْصَارِيُّ؟ بَلَى يَا رَسُولَ الله، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُصَلِّي؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، وَلَا صَلَاةَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي الله عَنْهُمْ أو عن قتلهم »].

وفي الصحيحين[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : فقام رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، اتَّقِ الله ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ الله» قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ الله، أَلَا أَضْرِبُ

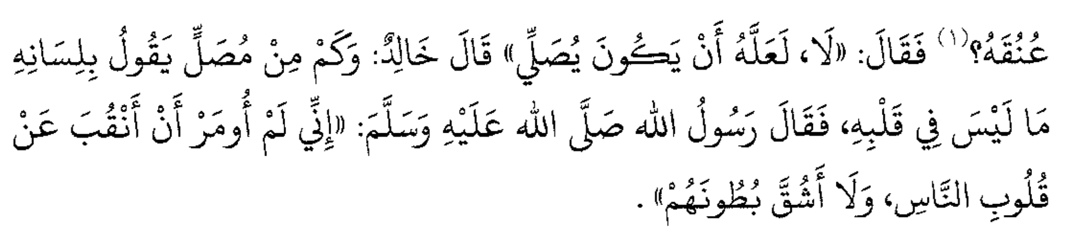
ومن قال لا إله إلا الله يعصم ماله ودمه ، هذا في الدنيا وحسابه على الله .

(١) البخاري (٤٣٥١) ومسلم(١٠٦٤) وهو يدل على عظم قدر الصلاة ، وأيضًا ترك النبي ﷺ قتل المنافقين تأليفًا لقلوب بعض الناس ودرء لمفسدة أكبر وهو أ، قلوب بعض من يريد أن يؤمن أو هو حديث عهد بإسلام تنكر ذلك لو قتله سيقولون كيف نسلم ومحمد يقتل أصحابه وكثير منهم لا يعلم لماذا قتله ، وأيضًا المنافقون والكفار قد يستغلون مثل هذا وينفرون الناس به .

وهناك قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

وفي الحديث أيضًا جري الأحكام على الظاهر ، أخذ من قول النبي ﷺ : « لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق عن قلوبهم » .

لأن الحاكم لو لم يأخذ بهذا قد يتوسع الناس ويقتلون من شاءوا بحجة أنه منافق وغير مخلص ، فالله أعلم وأحكم بمصالح العباد .


عُنُقَهُ؟[(١)] فَقَالَ: «لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي» قَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ».

وهكذا من قال : « لا إله إلا الله » متشهدًا بها شهادة الإسلام ولم يكن قد مضى عليه من الوقت ما يجب فيه شيء من أركان الإسلام فالواجب حمله على الإسلام عملًا بما أقر به لسانه وأخبر به من أراد قتاله ، ولهذا قال ﷺ لأسامة بن زيد ما قال . [(٢)]

وأما من تكلم بكلمة التوحيد وفعل أفعالًا تخالف التوحيد كاعتقاد هؤلاء المعتقدين في الأموات ، فلا ريب أنه قد تبين من حالهم خلاف ما حكته ألسنتهم من إقرارهم بالتوحيد

ولو كان مجرد التكلم بكلمة التوحيد موجبًا للدخول في الإسلام والخروج من الكفر ، سواء فعل المتكلم بها ما يطابق التوحيد أو يخالفه ؛ لكانت نافعة لليهود مع أنهم يقولون عزير ابن الله ، وللنصارى مع أنهم يقولون المسيح ابن الله ، وللمنافقين مع أنهم يكذبون بالدين ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، وجميع

(١) وفي رواية في الصحيح أن القائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فالجمع أن كل واحد منهما استأذن في ضرب عنقه كما جاء في إحدى الروايات في مسلم بذلك .
وهذه مبادرة عظيمة منهما فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يحافظون على حقوق النبي ﷺ وكذا العلماء يقولون من سب النبي ﷺ يقتل ولا كرامة له .

(٢) حديث أسامة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٤٢٦٩) ومسلم (٩٦).

هذه الطوائف الثلاث يتكلمون بكلمة التوحيد ، بل لم تنفع الخوارج[1] فإنهم من

(١) قلت الخوارج هم الذين خرجوا على المسلمين في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقطعوا الطريق وسفكوا الدم وكفروا علي بن أبي طالب ومن معه وكفروا عمرو بن العاص وأصحابه ومعاوية وأصحابه ، وجمهورهم يكفرون الناس بالكبائر وهم من أشد الناس حقدًا على المسلمين الذين لم يدخلوا في مذهبهم المبتدع مع كثرة عبادتهم .

❁ قال الإمام أبو الفتح الشهرستاني في «الملل والنحل»(٥٠) : الخوارج :

كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان.

وذكر أنهم فرق قال : وكبار الفرق منهم: المحكمة، والأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجاردة، والثعالبة، والإباضية، والصفرية، والباقون فروعهم.

ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة: حقا واجبا. اهـ

❁ وقال الإمام عبد القادر البغدادي في «الفرق بين الفرق»:وَأما الْخَوَارِج فانها لما اخْتلفت صَارَت عشْرين فرقة وَهَذِه أسماؤها المحكمة الاولى والأزارقة ثمَّ النجدات ثمَّ الصفرية ثمَّ العجاردة وَقد افْتَرَقت العجاردة فِيمَا بَينهَا فرقا كَثِيرَة مِنْهَا الخازمية والشعيبية والمعلومية والمجهولية والمعبدية والرشيدية والمكرمية والحمزية والابراهيمية والواقفة ...

وقال رحمه الله (٧٣) : وَقد اخْتلفُوا فِيمَا يجمع الْخَوَارِج على افْتِرَاق مذاهبها فَذكر الكعبي فِي مقالاته أَن الذى يجمع الْخَوَارِج على افْتِرَاق مذاهبها إكفار على وَعُثْمَان والحكمين وَأَصْحَاب الْجمل وكل من رضى بتحكيم الْحكمَيْنِ والإكفار بارتكاب الذُّنُوب وَوُجُوب الْخُرُوج على الإِمَام الجائر وَقَالَ شَيخنَا أَبُو الْحسن – يعني الأشعري- الذى يجمعها إكفار

علي وَعُثْمَان وَأَصْحَاب الْجمل والحكمين وَمن رضى بالتحكيم وَصوب الْحكمَيْنِ أَوْ أَحدهمَا وَوُجُوب الْخُرُوج على السُّلْطَان الجائر وَلم يرض مَا حَكَاهُ الكعبي من إجْمَاعهم على تَكْفِير مرتكبي الذُّنُوب و الصَّوَاب مَا حَكَاهُ شَيخنَا أَبُو الْحسن عَنْهُم وَقد أَخطَأ الكعبي فِي دَعْوَاهُ إجْمَاع الْخَوَارِج على تَكْفِير مرتكبي الذُّنُوب مِنْهُم وَذَلِكَ أن النجدات من الخوراج لَا يكفرون أَصْحَاب الْحُدُود من موافقيهم ، وَقد قَالَ قوم من الْخَوَارِج إن التَّكْفِير إنما يكون بِالذنوبِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا وَعِيد مَخْصُوص فاما الذى فِيهِ حد اَوْ عيد فِي الْقُرْآن فَلَا يُزَاد صَاحبه على الِاسْم الذى ورد فِيهِ مثل تَسْمِيَته زَانيا وسارقا وَنَحْو ذَلِك وَقد قَالَت النجدات إن صَاحب الْكَبِيرَة من موافقيهم كَافِر نعْمَة وَلَيْسَ فِيهِ كفر دين.اهـ

هذا مجمل ما قيل فيهم ، وهناك تفصيلات كثيرة ، واختلف العلماء في تكفيرهم .

قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (١٠٦٣) : قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ الله تَعَالَى قَالَ الْمَازِرِيُّ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَكْفِيرِ الْخَوَارِجِ قَالَ وَقَدْ كَادَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَكُونُ أَشَدَّ إِشْكَالًا مِنْ سَائِرِ الْمَسَائِلِ وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا الْمَعَالِي وَقَدْ رَغِبَ إِلَيْهِ الْفَقِيهُ عَبْدُ الْحَقِّ رَحِمَهُمَا الله تَعَالَى فِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا فَرَهَّبَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَاعْتَذَرَ بِأَنَّ الْغَلَطَ فِيهَا يَصْعُبُ مَوْقِعُهُ لِأَنَّ إِدْخَالَ كَافِرٍ فِي الْمِلَّةِ وَإِخْرَاجَ مُسْلِمٍ مِنْهَا عَظِيمٌ فِي الدِّينِ ....

وقال : وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَجَمَاهِيرِ أَصْحَابِهِ الْعُلَمَاءِ إِنَّ الْخَوَارِجَ لَا يَكْفُرُونَ وَكَذَلِكَ الْقَدَرِيَّةُ وَجَمَاهِيرُ المعتزلة وسائل أَهْلِ الْأَهْوَاءِ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ الله تَعَالَى أَقْبَلُ شَهَادَةَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ إلا الخطابية . اهـ(١٦٩/٤) .

قلت : الظاهر أن جمهور الخوارج مبتدعة ضلال غير كفار إلا طائفة منهم يسمون العجاردة ينكرون سورة يوسف ويقولون ليست من القرآن ، وإنما هي قصة من القصص.

قالوا ولا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن .كما في الملل والنحل للشهرستاني

أكمل الناس توحيدًا ، وأكثرهم عبادة وهم كلاب النار[١] ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بقتلهم[٢] مع أنهم لم يشركوا بالله ، ولا خالفوا معنى لا إله إلا الله ، بل وحدوا

(ص: ٥٥) ، فهؤلاء انكروا شيئًا من القرآن معلوم من الدين بالضرورة أنه قرآن ، فالصحابة رضي الله عنهم أجمعوا أنها من القرآن ، وكان عمر رضي الله عنه ربما قرأ بها في صلاة الفجر والناس وراءه ولم ينكر ذلك أحد .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وَالْخَوَارِجُ كَانُوا مِنْ أَظْهَرِ النَّاسِ بِدْعَةً وَقِتَالًا لِلْأُمَّةِ وَتَكْفِيرًا لَهَا وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يُكَفِّرُهُمْ لَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَلَا غَيْرُهُ بَلْ حَكَمُوا فِيهِمْ بِحُكْمِهِمْ فِي الْمُسْلِمِينَ الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ . اهـ كما في الفتاوى(٢١٧/٧).

(١) يشير إلى حديث أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه أنه لما رأى رؤوس الخوارج قد نصبت فقال : كلاب النار ثلاث مرات ، هؤلاء شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء ، وخير قتلى من قتلوهم تحت أديم السماء .

وقال سمعته من النبي ﷺ غير مرة ولا مرتين . رواه أحمد(٥١٨/٣٦) ، والحميدي(٩٣٢) وهو حسن ، ورواه أحمد(٦٥٤/٣٦) بسند آخر من طريق صفوان بن سليم ، يقول دخل أبو أمامة الباهلي دمشق فرأى رؤوس الحرورية قد نصبت ... فذكره

وهذا منقطع صفوان لم يسمع من أبي أمامة ، ولكنه يقوي السند الأول ، والحمد لله .

قوله ﷺ : كلاب النار :

أي من أخس أهل النار وشرهم كما أن الكلاب من شر الحيوانات وأخسها .

ولا يلزم أنهم من أهل النار أنهم يخلدون فيها بل هم مسلمون إذا دخل أحدهم النار يأخذ جزاءه ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين أو بفضل رحمة الله سبحانه ، والله تعالى أعلم .

(٢) جاء من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ، أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ،

توحيده[١]، وكذلك المانعون للزكاة هم موحدون[٢] لم يشركوا ولكنهم تركوا ركنًا من

يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ» رواه مسلم (١٠٦٤).

وفي حديث أبي أمامة المتقدم الحث على قتلهم.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا، لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه البخاري (٦٩٣٠) ومسلم(١٠٦٦).

ومعنى قوله: «فإذا لقيتموهم فاقتلوهم ...»:

أي إذا خرجوا لقتالكم معشر أهل الحق فلقيتموهم في ساحة القتال فاقتلوهم ولا تتحاشوا من قتلهم، ففي قتلهم أجر؛ لأنهم بغاة معتدون، وإن كان عندهم عبادة فلا تحرم عباداتهم قتلهم؛ لأنهم ظلمة، والصائل يقتل ولو كان مسلمًا، وفي هذا الزمن الخارجون على حكام المسلمين طوائف مختلفة منهم من عنده شيء من العبادة، ومنهم المنافق ومنهم المجرم الذي ظهر إجرامه، ومن أشهرهم غلاة المبتدعة وجماعة التكفير الذين يكفرون المسلمين بالكبائر، ومنهم العلمانيون الذين يتلقون دعمهم من أعداء الإسلام، ويدعمونهم بالإعلام ويلمعونهم وأول شيء يقومون بالمظاهرات ثم القتال، ولكن الله عز وجل غالب على امره وناصر أولياءه، وأكثر ما يقع الضرر على المسلمين المواطنين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) يعني أنهم لم يظهروا شركًا وندًا لله تعالى، ولكن نقول إنما إيمانهم ينقص بحسب ما خالفوا سنة نبيهم وعصوا ربهم.

(٢) قلت: كانوا أقسامًا في عهد أبي بكر رضي الله عنه قسم منعوا الزكاة بخلًا أو متأولين أنها لا

أركان الإسلام ، ولهذا أجمعت الصحابة ﷺ على قتالهم ، بل دل الدليل الصحيح المتواتر على ذلك وهو الأحاديث الواردة بألفاظ منها : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويحجوا البيت ويصوموا رمضان فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » .(١)

تعطى إلا للنبي ﷺ فقالوا : لا نعطيها لأحدًا بعد النبي ﷺ ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ التوبة: ١٠٣

قالوا : فما بقي من يصلي علينا فهؤلاء مسلمون فقاتلهم أبو بكر ومن معه حتى أدوا الزكاة ، وقسم كفروا وامتنعوا من أداء الزكاة ، وهؤلاء سموا بأهل الردة قاتلهم أبو بكر الصديق ومن معه رضي الله عنهم .

(١) لم أر لفظة « ويحجون ويصومون رمضان» وإنما أخرجه البخاري(٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله» .

وفيه فضل القيام بأركان الإسلام وأنها تعصم الدماء والأموال وأما من كان من أهل الكتاب إذا لم يشهدوا الشهادتين فليعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون كما قال الله تعالى : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ التوبة: ٢٩

صاغرون ذليلون ، فإن أبوا يقاتلون .

وتوجيه الإمام الشوكاني لحديث أسامة وما وافقه توجيه جيد حسن فرحمه الله تعالى وغفر لنا وله وللمؤمنين .



فمن ترك أحد هذه الخمس لم يكن معصوم الدم ولا المال ، وأعظم من ذلك التارك معنى التوحيد أو المخالف له بما يأتي به من الأفعال .

فإن قلت : هؤلاء المعتقدون في الأموات لا يعلمون بأن ما يفعلونه شرك ، بل لو عرض أحدهم على السيف لم يقر بأنه مشرك بالله ولا فاعل لما هو شرك ، بل ولو علم أدنى علم أن ذلك شرك لم يفعله .

قلت : الأمر كما قلت ، ولكن لا يخفى عليك ما تقرر في أسباب الردة أنه لا يعتبر في ثبوتها العلم بمعنى ما قاله من جاء بلفظ كفري أو فعل فعلًا كفريًا[1] .

---

(١) وقال الشوكاني رحمه الله في «السيل الجرار»(٧٨/٤) عند قول الماتن فصل : والردة باعتقاد أو فعل أو زي أو لفظ كفري : اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن: "من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما" هكذا في الصحيح [البخاري "٥١٤/١٠"] ، وفي لفظ آخر في الصحيحين [البخاري "٦٠٤٥"، مسلم "٦١"] ، وغيرهما: "من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه"، أي رجع وفي لفظ في الصحيح: "فقد كفر أحدهما"، ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير وقد قال الله عزوجل: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ ﴾ الزمر: ٢٢ ، فلا بد من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب به وسكون النفس إليه فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر ولا اعتبار بلفظ تلفظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه .اهـ وهذا كلام جيد .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الفتاوى» (٣/٢٢٩) : هَذَا مَعَ أَنِّي دَائِمًا وَمَنْ جَالَسَنِي يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنِّي: أَنِّي مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ نَهْيًا عَنْ أَنْ يُنْسَبَ مُعَيَّنٌ إلَى تَكْفِيرٍ وَتَفْسِيقٍ وَمَعْصِيَةٍ، إلَّا إذَا عُلِمَ أَنَّهُ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الرسالية الَّتِي مَنْ خَالَفَهَا كَانَ كَافِرًا تَارَةً وَفَاسِقًا أُخْرَى وَعَاصِيًا أُخْرَى وَإِنِّي أُقَرِّرُ أَنَّ الله قَدْ غَفَرَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ خَطَأَهَا: وَذَلِكَ يَعُمُّ الْخَطَأَ فِي الْمَسَائِلِ الْخَبَرِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ. وَمَا زَالَ السَّلَفُ يَتَنَازَعُونَ فِي كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ لَا بِكُفْرِ وَلَا بِفِسْقٍ وَلَا مَعْصِيَةٍ . اهـ

قلت : والذي ينبغي على المسلم وخاصة طالب العلم والمفتي أن لا يكفر المعين إلا بحجة واضحة بعد إقامة الحجة عليه كما قال الله تعالى : ﴿ مَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء: ١٥]

وقال تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[النساء: ١٦٥]

وقال الإمام الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» في سورة الإسراء (١٥) في قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ : ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ الله جَلَّ وَعَلَا لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِ رَسُولًا يُنْذِرُهُ وَيُحَذِّرُهُ، فَيُعْصَى ذَلِكَ الرَّسُولُ، وَيُسْتَمَرُّ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ بَعْدَ الْإِنْذَارِ وَالْإِعْذَارِ.

وَقَدْ أَوْضَحَ جَلَّ وَعَلَا هَذَا الْمَعْنَى فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[النساء: ١٦٥]، فَصَرَّحَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنْ لَا بُدَّ أَنْ يَقْطَعَ حُجَّةَ كُلِّ أَحَدٍ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، مُبَشِّرِينَ مَنْ أَطَاعَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرِينَ مَنْ عَصَاهُمُ النَّارَ.

وَهَذِهِ الْحُجَّةُ الَّتِي أَوْضَحَ هُنَا قَطَعَهَا بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، بَيَّنَهَا فِي آخِرِ سُورَةِ

طه بِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ طه: ١٣٤

وَأَشَارَ لَهَا فِي سُورَةِ الْقَصَصِ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ القصص: ٤٧، وَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ الأنعام: ١٣١ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ المائدة: ١٩، وَكَقَوْلِهِ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ الأنعام: ١٥٥ - ١٥٧، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَيُوَضِّحُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ وَأَمْثَالُهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مِنْ أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ الْإِنْذَارِ وَالْإِعْذَارِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، تَصْرِيحُهُ جَلَّ وَعَلَا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ: " بِأَنَّه لَمْ يُدْخِلْ أَحَدًا النَّارَ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ الملك: ٨ - ٩

وَمَعْلُومٌ أَنَّ قَوْلَهُ جَلَّ وَعَلَا: كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ يَعُمُّ جَمِيعَ الْأَفْوَاجِ الْمُلْقِينَ فِي النَّارِ. اهـ

فمن كان مسلمًا ويقوم بأحكام الإسلام فلا يكفر إذا عمل عملا شيئًا كفريًا إلا بعد إقامة الحجة عليه وكذلك إقامة الحدود بالسيف .

وعلى كل حال فالواجب على كل من اطلع على شيء من هذه الأقوال والأفعال التي تصف بها المعتقدون في الأموات أن يبلغهم الحجة الشرعية ، ويبين لهم ما أمره الله بيانه وأخذ عليه الميثاق ألا يكتمه ، كما حكى ذلك لنا في كتابه العزيز فيقول لمن صار يدعو الأموات عند الحاجات ، ويستغيث بهم عند حلول المصيبات ، وينذر لهم النذور ، وينحر لهم النحور ، ويعظمهم تعظيم الرب سبحانه : إن هذا الذي يفعلونه هو الشرك الذي كانت عليه الجاهلية وهو الذي بعث الله رسوله بهدمه ، وأنزل كتبه في ذمه ، وأخذ على النبيين أن يبلغوا عباده أنهم لا يؤمنون حتى يخلصوا له التوحيد ويعبدوه وحده ، فإذا علموا بهذا علمًا لا يبقى معه شك ولا شبهة ثم أصروا على ما هم فيه من الطغيان ، والكفر بالرحمن ، وجب عليه أن يخبرهم بأنهم إذا لم يقلعوا عن هذه الغواية ، ويعودوا إلى ما جاءهم به رسول ﷺ من الهداية ، فقد حلت دماؤهم وأموالهم ، فإن رجعوا وإلا فالسيف هو الحكم العدل كما نطق به الكتاب المبين وسنة سيد المرسلين في إخوانهم المشركين.

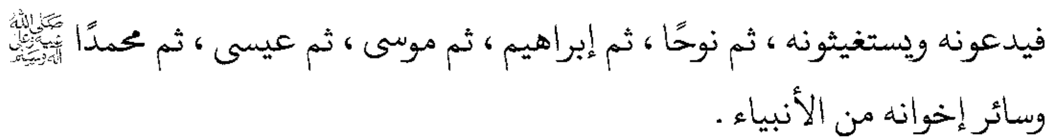
فإن قلت : فقد ورد الحديث الصحيح بأن الخلائق[1] يوم القيامة يأتون آدم

وأما من عمل شيئًا من أعمال الشرك التي لا يعذر بمثلها كمن يسجد لصنم أو يذبح لصنم أو يطوف حوله فهذا كافر ؛ لأن مثل هذا لا يجهل حكمه في أوساط المسلمين .

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه .

وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا رواه البخاري(٤٧١٢) ومسلم(١٩٤) .

والشوكاني ذكر معنى الحديث وقد رد شبه المتشبثين من القبوريين بهذا الحديث وأمثاله ، وهو من سؤال الحي الموجود الذي يقدر عليه ، فأهل الموقف يسألون الأنبياء أن يدعوا الله لهم بأن يريحهم من هول الموقف ، وهذا جائز ما أحد ينكره من العلماء فلو أن إنسانًا مريض أو مركوب وقال لرجل صالح عنده ادع الله أن يشفيني ويفرج همي فهذا



فيدعونه ويستغيثونه ، ثم نوحًا ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم محمدًا ﷺ وسائر إخوانه من الأنبياء .

قلت : أهل المحشر إنما يأتون هؤلاء الأنبياء يطلبون منهم أن يشفعوا لهم إلى الله سبحانه ، ويدعون لهم بفصل الحساب والإراحة من ذلك الموقف ، وهذا جائز فإنه من طلب الشفاعة والدعاء المأذون فيهما ، وقد كان الصحابة يطلبون من رسول الله ﷺ في حياته أن يدعو لهم .

كما في حديث : يا رسول الله ادع أن يجعلني منهم[1] لما أخبرهم بأنه يدخل الجنة سبعون ألفًا ، وحديث : «سبقك بها عكاشة ».

وقول أم سليم رضي الله عنها : يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له . [2]

وقول المرأة التي كانت تصرع : يا رسول الله ادع الله لي ، وآخر الأمر سألته الدعاء بألا تنكشف عند الصرع فدعا لها . [3]

جائز عند الجميع .

(١) البخاري(٦٥٤٢) ومسلم(٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وأخرجه البخاري(٦٥٤٢) ومسلم (٢١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
ومن حديث عمران بن الحصين رواه مسلم رضي الله عنه .
وهو دليل واضح لما استدل به المصنف والحمد لله المؤمن يقتنع ولو بدليل واحد في المسألة ولو كثرت الأدلة تكون زيادة في اليقين .

(٢) البخاري(٦٣٧٨) ومسلم(٢٤٨٠) من حديث أم سليم وأنس رضي الله عنهما وفيه فقال ﷺ : «اللَّهُمَّ أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيت » .

(٣) أخرجه البخاري(٥٦٥٢) ومسلم(٢٥٧٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هَذِهِ المَرْأَةُ

ومنه ارشاده ﷺ لجماعة من الصحابة بأن يطلبوا الدعاء من أويس القرني إذا أدركوه . (١)

ومنه ما ورد في دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب (٢).

وغير ذلك مما لا يحصر حتى أن رسول الله قال لعمر لما خرج معتمرًا : «لا

السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا . اهـ

(١) أخرجه مسلم(٢٥٤٢) من طريق أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، لَا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَدَعَا اللهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ» .

(٢) أخرجه مسلم(٢٧٣٢) من طريق طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله بْنِ كَرِيزٍ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ ".

قال النووي رحمه الله : أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ بِظَهْرِ الْغَيْبِ فَمَعْنَاهُ فِي غَيْبَةِ الْمَدْعُوِّ لَهُ وَفِي سِرِّهِ لِأَنَّهُ أَبْلَغُ فِي الْإِخْلَاصِ قَوْلُهُ (بِمِثْلٍ) هُوَ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَإِسْكَانِ الثَّاءِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ الْمَشْهُورَةِ قَالَ الْقَاضِي وَرَوَيْنَاهُ بِفَتْحِهَا أَيْضًا يُقَالُ هُوَ مِثْلُهُ وَمَثِيلُهُ بِزِيَادَةِ الْيَاءِ أي عديله سواء وفي هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هَذِهِ الْفَضِيلَةُ وَلَوْ دَعَا لِجُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ فَالظَّاهِرُ حُصُولُهَا أَيْضًا وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا أَرَادَ أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه الْمُسْلِمِ بِتِلْكَ الدَّعْوَةِ لِأَنَّهَا تُسْتَجَابُ وَيَحْصُلُ لَهُ مِثْلُهَا .اهـ من «شرح مسلم» (٩/٥٢-٥١).

تنسنى يا أخي من دعائك»[١] .

فمن جاء إلى رجل صالح[٢] واستمد منه أن يدعو له فهذا ليس من ذلك الذي يفعله المعتقدون في الأموات[٣] ، بل هو سنة حسنه وشريعة ثابتة[٤].

---

(١)هو ضعيف السند أخرجه أبو داود(١٤٩٨) والترمذي(٣٥٦٢) في الدعوات ، وابن ماجه(٢٨٩٤) من طريق عاصم بن عبيد عن سالم بن عبدالله عن أبيه عن عمر رضي الله عنه قال : استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن لي وقال ... فذكره .

وعاصم هذا هو العدوي ، قال ابن معين ضعيف ، وقال الإمام أحمد : ليس بذاك وضعفه جمهور المحدثين كما في «التهذيب» وإن كان الحديث ضعيف لكن هناك أدلة أخرى تدل على جواز طلب الدعاء من أهل الصلاح كما تقدم ، لكن النبي ﷺ لم يكن يطلب الدعاء من الأشخاص فيما أعلم ، ولكنه قال «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» . رواه مسلم .

(٢) ومن جاء إلى رجل صالح : أي حي لا غائب ولا ميت « واستمد منه أن يدعو له » : أي هذا جائز لا شيء فيه .

(٣) أي يعتقدون فيهم النفع والضر ، ويظنون أن لهم سرًا ينفعون من شاءوا ويضرون من شاءوا فهذا الاعتقاد في الموتى من الشرك والضلال .

(٤) أي أن طلب الدعاء من الرجل الصالح سنة ثابتة عن النبي ﷺ ، وهو كما قال فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يأتون النبي ﷺ ويطلبون منه الدعاء في إنزال الغيث عند القحط والاستنصار على العدو ، وفي رفع المرض ، وغير ذلك ، وقال لعمر رضي الله عنه قل لأويس القرني يستغفر لك ، والسلف كان بعضهم يطلب من الآخر أن يدعو له .

وهكذا طلب الشفاعة[1] ممن جاءت الشريعة المطهرة بأنه من أهلها

(١) قال ابن منظور : قال الفارسي : استشفعه طلب منه الشفاعة ، قال له كن لي شفيعًا كما في «لسان العرب» .

والمعنى أنه يستحب للشخص إذا كان له وجاهة عند الناس والملوك أن يشفع لمن تشفع به إلى إنسان أن يقضي له حاجته أن يشفع له في الأمور المباحة فقد قال النبي ﷺ لأصحابه «اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء» ، رواه البخاري(١٤٣٢) ومسلم(٢٦٢٧) .

فقد كان يأتي الرجل يطلب حاجته والنبي ﷺ لا يعرفه فإذا جاء شخص يشفع له ويعرف به قد تقضي حاجته أو يكفي التعريف به ليكون له شرف ورفعة .

والسلف كانوا يشفعون لمن طلب منهم ذلك عند العلماء وعند الأمراء وغيرهم في قضاء حوائجهم والمؤمنون وغيرهم يطلبون من الأنبياء أن يشفعوا لهم يوم القيامة فكل اعتذر حتى جاءوا إلى النبي ﷺ فقال رب أمتي أمتي فيقول الله له : « اشفع تشفع وسل تعطه» رواه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم(١٩٤) .

وهذه الشفاعة العظمى العامة أن يريح الله الناس من الموقف فيحمده الناس عليها والمؤلف يقول : هو المقام المحمود الذي وعده الله به كما في كتابه العزيز » : يعني قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[الإسراء: ٧٩]

فعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: يُجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيُنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ، حُفَاةً عُرَاةً كَمَا خُلِقُوا، قِيَامًا لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يُنَادَى: يَا مُحَمَّدُ، فَيَقُولُ: " لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ، عَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَبِكَ وَإِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، فَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى . رواه ابن جرير بسند صحيح ، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : المقام المحمود ومقام الشفاعة ، وسنده فيه ضعف ، لكن هو قول جمهور العلماء .

كالأنبياء، ولهذا يقول الله لرسوله يوم القيامة : « سل تعط واشفع تشفع » ، وذلك هو المقام المحمود الذي وعده الله به كما في كتابه العزيز.

والحاصل أن طلب الحوائج من الأحياء جائز إذا كانوا يقدرون عليها ، ومن ذلك فإنه يجوز استمداده من كل مسلم ، بل يحسن ذلك ، وكذلك الشفاعة من أهلها الذين ورد الشرع بأنهم يشفعون .

ولكن ينبغي أن يعلم أن دعاء من يدعو له لا ينفع إلا بإذن الله وإرادته ومشيئته ، وكذلك شفاعة من يشفع لا تكون إلا بإذن الله كما ورد بذلك القرآن العظيم ، فهذا تقييد للمطلق لا ينبغي العدول عنه بحال .

واعلم أن من الشبه الباطلة التي يوردها المعتقدون في الأموات أنهم ليسوا

قال الإمام ابن جرير رحمه الله : ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، فَقَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ: ذَلِكَ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي هُوَ يَقُومُهُ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلشَّفَاعَةِ لِلنَّاسِ لِيُرِيحَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ عَظِيمِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ .اهـمن تفسيره(١٣١/٨) وذكر آثارًا في ذلك .

وقال الإمام القرطبي رحمه الله : اخْتُلِفَ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ: الْأَوَّلُ- وَهُوَ أَصَحُّهَا- الشَّفَاعَةُ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَهُ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ... – وذكر أدلة أخرى – وباقي الأقوال .اهـمن تفسيره (٢٠٠/١٠).وقد لخص المصنف المسألة بكلام حسن موجز فجزاه الله خيرًا .

الرد على شبه القبوريين الذين لم يعرفوا معنى التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى بل يضللون على الجهال مثلهم ، وهو يزعمون أنهم أصحاب فقه وعلم وهم من أجهل الناس كما قال المصنف هذه شبه تنادي على أصحابها بالجهل وهي داحضة زائغة لا تنفع أصحابها .

كالمشركين من أهل الجاهلية ؛ لأنهم إنما يعتقدون في الأولياء والصالحين ، وأولئك اعتقدوا في الأوثان والشياطين .

[الرد] وهذه الشبهة داحضة تنادي على صاحبها بالجهل ، فإن الله سبحانه لم يعذر من اعتقد في عيسى عليه السلام وهو نبي من الأنبياء ، بل خاطب النصارى بتلك الخطابات القرآنية ، ومنها : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ ﴾ [النساء: ١٧١]

وقال لمن كان يعبد الملائكة : ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]

ولا شك أن عيسى والملائكة أفضل من هؤلاء الأولياء والصالحين الذين صار هؤلاء القبوريون يعتقدون ، ويغلون في شأنهم ، مع أن رسول الله ﷺ هو أكرم الخلق على الله ، وسيد ولد آدم[١] ، وقد نهى أمته أن تغلو فيه[٢] كما غلت

(١) هو حديث في «الصحيحين» أنه قال ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» فذكر حديث الشفاعة الطويل .

(٢) الغلو هو تجاوز الحق .

قال ابن الأثير رحمه الله في «النهاية» (٣٨٢) في قوله : «إِيَّاكم والغُلُوّ فِي الدِّين» أَي التَّشَدُّدَ فِيهِ ومُجَاوَزَة الحَدّ .اهـ

النصارى في عيسى عليه السلام[1] ، ولم يمتثلوا أمره ولم يمتثلوا ما ذكره الله في كتابه العزيز من قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ آل عمران: ١٢٨

ومن قوله : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ الانفطار: ١٧ - ١٩

وما حكاه عن رسول الله ﷺ أنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ، وما قاله ﷺ لقرابته الذين امره الله بإنذارهم بقوله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٤

فقام داعيًا لهم ومخاطبًا لكل واحد منهم قائلًا : « يا فلان بن فلان لا أغني عنك من الله شيئًا ، يا فلانة بنت فلان لا أغني عنك من الله شيئًا ، يا بني فلان

وقال ابن منظور في «لسان العرب» والغلو الذي هو التجاوز لقدر ما يجب وهو عندهم أفحش من التعدي .اهـ

(١) أي بالغت في تعظيمه حتى جعلوه إلهًا مع الله ، وطائفة قال : هو الله وأخرى قالت هو ابن الله تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا ، وهو عبد لله مخلوق من مخلوقاته كان يأكل الطعام ويمشي في الناس ولكن الله فضله بالنبوة والرسالة وجعل له آيات وبراهين يقيم بها الحجة على قومه ، ولكن الجهلة من النصارى ضلوا في هذا فنبينا حذر أمته من أن يغلوا فيه بالتعظيم الزائد كما يقول بعض الجهلة إنه يعلم الغيب بل عنده علم اللوح والقلم وآخر يقول : إنه يحفظ الأولياء أو الكون ويسيره ، وهذه صفات خاصة بالله تعالى فهو الخالق القادر على كل شيء وما سواه مخلوق فقير إلى الله تعالى .

لا أغني عنكم من الله شيئًا »[(١)].

---

(١) والمصنف رحمه الله ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه أنه قال لأقاربه لا أغني عنكم شيئًا : أخرجه البخاري(٢٧٥٣) ولفظه قال : قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ الله شَيْئًا، وَ يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ الله لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا» .

وأخرجه في مواضع أخرى ، ومسلم(٢٠٦) وفي رواية له : « فإني لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها » أي أصلها بصلتها .

قال الإمام النووي رحمه الله : وَمَعْنَى الْحَدِيثِ سَأَصِلُهَا شُبِّهَتْ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ بِالْحَرَارَةِ وَوَصْلُهَا بِإِطْفَاءِ الْحَرَارَةِ بِبُرُودَةٍ وَمِنْهُ بلوا أرحامكم أي صلوها. اهمن «شرح مسلم»(٧٧/٢) .

وإذا كان هذا القول يوجه لفاطمة التي هي بضعة منه فما بالكم بغيرها فمن باب أولى لا ينفعهم إذا كانوا مشركين يدعون غير الله ويذبحون لغيره ويصرفون بعض العبادات للأولياء وغيرهم ، ويطلبون من النبي ﷺ النفع والشفاعة وكذا أصحاب الكبائر المسرفون على أنفسهم يركنون على الشفاعة .

والله أعلم قد تدركهم أم لا ، فهو لا يشفع ﷺ إلا لمن أذن الله له فيه ورضي ، وربما لا تقع لهم شفاعة إلا بعد عذاب شديد نسأل الله العافية .

والله يقول له ﷺ أيضًا : ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝ ﴾ الجن: ٢١ - ٢٢

وقال سبحانه : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ يونس: ٤٩

فالمعنى واضح أنه ﷺ لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا فالذي يطلب منه ﷺ

فانظر رحمك الله تعالى ما وقع من كثير من هذه الأمة من الغلو المنهي عنه المخالف لما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما يقوله صاحب البردة[١] رحمه الله

الشفاء أو كشف الكرب أو رفع الهم والحزن ونحو ذلك فهو ضال قد اشرك بالله تعالى .

(١) وذكر المصنف بعض من بالغ في مدح النبي ﷺ ، وهو صاحب البردة هو البوصيري محمد بن سعيد بن حماد بن عبدالله الصنهاجي المصري شرف الدين أبو عبدالله شاعر حسن الديباجة مليح المعاني نسبته إلى بوصير من أعمال بني سويق بمصر ، أمه منها وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون وله ديوان شعر ، وأشهر شعره «البردة» ومطلعها :

أمن تذُكر جيران بذي سلم ....

شرحها وعارضها كثيرون ، وترجمته في الوافي بالوفيات (١٠٥/٣) وما بعد ، وفي الأعلام للزركلي (١٣٩/٦) .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في شرحه «فتح المجيد» لشرح كتاب التوحيد(٢٠١) باب ما جاء في الغلو في الصالحين : فأبى المشركون إلا مخالفة أمره وارتكاب نهيه، وعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم، ووقعوا في المحذور، وجرى منهم من الغلو والشرك شعرا ونثرا ما يطول عده؛ وصنفوا فيه مصنفات.

وقد ذكر شيخ الإسلام - رحمه الله - عن بعض أهل زمانه أنه جوّز الاستغاثة بالرسول صلي الله عليه وسلم في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنف في ذلك مصنفا رده شيخ الإسلام، وردّه موجود بحمد الله. ويقول: إنه يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله. وذكر عندهم أشياء من هذا النمط. نعوذ بالله من عمى البصيرة.

وقد اشتهر في نظم البوصيري قوله:

يا أكـــرم الخلق مـــا لي من ألـــوذ به   ســواك عند حــدوث الحادث العمم

وما بعده من الأبيات التي مضمونها إخلاص الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات، وأعظم الاضطرار لغير الله، فناقضوا الرسول صلى الله عليه وسلم بارتكاب ما نهى عنه أعظم مناقضة، وشاقوا الله ورسوله أعظم مشاقة، وذلك أن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، وأظهر لهم التوحيد والإخلاص الذي بعثه الله به في قالب تنقيصه، وهؤلاء المشركون هم المتنقصون الناقصون، أفرطوا في تعظيمه بها نهاهم عنه أشد النهي، وفرطوا في متابعته، فلم يعبئوا بأقواله وأفعاله، ولا رضوا بحكمه ولا سلموا له، وإنما يحصل تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه ونُصرته، وموالاة من عمل به، ومعاداة من خالفه. فعكس أولئك المشركون ما أراد الله ورسوله علما وعملا، وارتبكوا ما نهى عنه ورسوله. فالله المستعان . اهـ

فانظر إلى هذا الغلو في النبي ﷺ فقوله :

يا أكرم الخلق من لي من ألوذ بـه سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي فضلًا وإلا فقـل يا زلة القـدم

فاللوذ والاعتصام من الحوادث التي تعم الخلق لا يكون إلا بالله تعالى ، فهو القادر على كل شيء.

فأما الاستعاذة بالأنبياء أو بالرسول فلا يجوز فهم مخلوقون محتاجون إلى الله تعالى .

وقوله في البيت الثاني :

إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي فضلًا وإلا فقـل يا زلة القـدم

فالله عز وجل هو الذي يفرج من كرب يوم القيامة وينجي المؤمنين من الهلاك ، وزلة القدم فلا يستغاث إلا به .

فالواجب إخلاص الدعاء لله : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٨

فلا يحل دعاء غير الله في مثل هذه الأحوال وذكر هذه الأبيات الشيخ محمد بن صالح

تعالى :

يـا أكرم الخـلق ما لي من ألوذ بـه سـواك عند حـلول الحادث العـمم

فانظر كيف نفى كل ملاذ ما عدا عبدالله ورسوله ﷺ ، وغفل عن ذكر ربه ورب رسول الله ﷺ ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

وهذا باب واسع ، قد تلاعب الشيطان بجماعة من أهل الإسلام حتى ترقوا إلى خطاب غير الأنبياء بمثل هذا الخطاب ، ودخلوا من الشرك في أبواب بكثير من الأسباب ، ومن ذلك قول من يقول مخاطبًا لابن العجيل [1]:

العثيمين رحمه الله في شرحه لكتاب التوحيد في «القول المفيد» (٦٩/١) فقال : ومن الغلو قول البوصيري في "البردة" المشهورة:

يـا أكرم الخـلق ما لي من ألـوذ به سـواك عنـد حـلول الحادث العـمم

إن لـم تـكن في معادي آخذا يدي فضـلا وإلا فـقل يـا زلة القـدم

فـإن من جودك الدنيا وضـرتها ومـن عـلومك عـلم اللـوح والقلم

قال ابن رجب وغيره: إنه لم يترك لله شيئا ما دامت الدنيا والآخرة من جود الرسول ﷺ ونشهد أن من يقول هذا، ما شهد أن محمدا عبد الله، بل شهد أن محمدا فوق الله! كيف يصل بهم الغلو إلى هذا الحد؟! .اهـ

نسأل الله السلامة من كل ضلالة وشرك .

ونقل هذه الأبيان وزاد عليها ورد على صاحبها الشيخ إدريس محمد إدريس في كتابه مظاهر الإنحراف عند الصوفية (٤٢٩/١) فجزى الله علماءنا خيرًا .

(١) هو أحمد بن موسى العجيلي من بيت الفقيه من جهة الحديدة وكان يلقب بالقطب ، مذكور في نسب أحد أحفاده الشيخ أحمد بن محمد عجيل التهامي في ملحق البدر الطالع للشوكاني .

هات لي يا ابن موسى إغاثة عاجلًا في سـيرها حثاثة

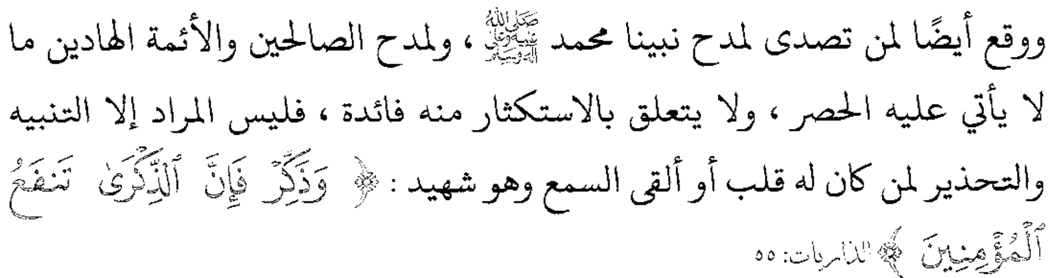
فهذا محض الاستعانة ، التي لا تصلح لغير الله ، لميت من الأموات قد صار تحت أطباق الثرى منذ مئين من السنين ، ويغلب على الظن أن مثل هذا البيت ، والبيت الذي قبله إنما وقعا من قائليهما لغفلة وعدم تيقظ ، ولا مقصد لهما إلا تعظيم جانب النبوة والولاية ، ولو نبها لتنبها ورجعا وأقرًا بالخطأ ، وكثيرًا ما يعرض ذلك لأهل العلم والأدب والفطنة ، وقد سمعنا ورأينا ، فمن وقف على شيء من هذا الجنس لحي من الأحياء فعليه إيقاظه بالحجج الشرعية ، فإن رجع وإلا كان الأمر فيه كما أسلفناه .

وأما إذا كان القائل قد صار تحت أطباق الثرى فينبغي إرشاد الأحياء إلى ما في ذلك الكلام من الخلل ، وقد وقع في البردة والهمزية[1] شيء كثير من هذا الجنس ،

وقال الشيخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع : أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل أبو العباس عالم محقق في الفقه والنحو والعروض والحديث والأصول وصفه الشرجي في «طبقاته» بأنه إمام من أئمة المسلمين المنتفع بهم علمًا وعملًا ، ولد لسبع بقين من رمضان ٦٠٨هـ وتوفي ٦٩٠هـ، وقيل ٦٩١هـ وكان على قبره تابوت وقبة أزالهما الإمام أحمد بن الإمام يحي بن حميد الدين سنة ١٣٤٨هـ إلى أن قال كما أزال الإمام أحمد كذلك ابن علوان في يفرس من ناحية جبل حبشي ١٣٦٢هـ ، لاعتقاد جهلة العامة في صاحبي القبرين الضر والنفع وتالله لقد أحسن الإمام أحمد صنعًا في كلتا الحالتين ولو أن يده أمتدت إلى سائر القباب والتوابيت الأخرى التي يعتقد عامة الناس في أصحابها الضر والنفع لأجزل الله مثوبته وأحسن إليه ولا سيما القبور التي يلتمس عندها العامة الخير والبركة ويرجون منها النفع ودفع الضر والشر. اهـ من «هجر العلم» (٢٢٢/١) .

(١) هي الهمزية في مدح خير البرية للبوصيري أيضًا فيها من المبالغة في مدح رسول الله ﷺ

ووقع أيضًا لمن تصدى لمدح نبينا محمد ﷺ ، ولمدح الصالحين والأئمة الهادين ما لا يأتي عليه الحصر ، ولا يتعلق بالاستكثار منه فائدة ، فليس المراد إلا التنبيه والتحذير لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥]



﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]

واعلم أن ما حررنا وقررنا من أن كثيرًا مما يفعله المعتقدون في الأموات

ما ينكره الشرع قال فيها :

قــد تمسكـت من ودادك بالحبـل ... الذي استـمسك به الشـفعاء

فـأغثنا يا من هـو الغوث والغـيث ... إذا أجـهد الـورى الـلأواء

انتهى بواسطة كتاب مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية »(٤٢٩/١) .

فانظر إلى هذه الأبيات وما فيها من المخالفة الشرعية فهو يدعو النبي ﷺ وأنه هو الذي ينجيه ، ويطلب منه الغوث ويصفه بأنه يفرج الغمة ويغيث الملهوف وغير ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى .

فلا يجوز للشخص أن يتجاوز الحد الشرعي في حق النبي ﷺ فحبه واجب على كل مسلم أن يحبه أكثر من أهله وماله ونفسه والناس أجمعين ، ولكن لا يحمله هذا الحب على التعدي على صفات الله وأن يصف رسول الله ﷺ بالصفات التي لا تكون إلا لله، فيتنبه لهذا ولا يقتدى بمثل هؤلاء المغالين فربما قلدوا غيرهم من غلاة الصوفية وأهل البدع أو أصابتهم غفلة مع شدة المحبة ، وأيضًا هذا جهل بتوحيد الله تعالى .

ومما يحذر منه كتاب «ديوان» عبدالرحيم البرعي اليمني .

ففيه مغالاة في مدح النبي ﷺ والاستغاثة به كثير .

يكون شركًا ، قد يخفى على كثير من أهل العلم ، وذلك لا لكونه خفيًا في نفسه ، بل لإطباق الجمهور على هذا الأمر[١] ، وكونه قد شاب عليه الكبير ، وشب عليه الصغير وهو يرى ذلك ويسمعه ولا يرى ولا يسمع من ينكره ، بل ربما يسمع من يرغب فيه ويندب الناس إليه .

وينضم إلى ذلك ما يظهره الشيطان للناس من قضاء حوائج من قصد بعض الأموات الذين لهم شهرة ، وللعامة فيهم اعتقاد وربما يقف جماعة من المحتالين على قبر ويجلبون الناس بأكاذيب يحكونها عن ذلك الميت ليستجلبوا منهم النذور، ويستدروا منهم الأرزاق ، ويقتنصوا النحائر ، ويستخرجوا من عوام الناس ما يعود عليهم وعلى من يعولونه ، ويجعلون ذلك مكسبًا ومعاشًا .

وربما يهولون على الزائر لذلك الميت بتهويلات ، ويجملون قبره بما يعظم في عين الواصلين إليه ، ويوقدون في المشهد الشموع ويوقدون فيه الأطياب ،

(١) المراد بالجمهور أي العوام لا جمهور العلماء الربانيين فالعلماء ينكرون مثل هذا وإنما يقع في مثل هذا من تعلم عند أهل البدع أو الصوفية أما علماء السنة فهم يعرفون التوحيد ، ويحذرون من مناقضته ، وما يخالفه كما هو معلوم من كتبهم وسيرتهم رحمهم الله .

وكما يقول المصنف رحمه الله : فيه مكر من الشيطان ومن اتباعه في تضليل العوام والاحتيال على أخذ اموالهم والتهويل عليهم ، وربما دعا المحتاج أو المريض ربه عند القبر فيقضي حاجته أو يشفى مريضه فيظن أنه صاحب القبر الذي نفعه والله عز وجل ابتلاه وأجابه لاضطراره إلى ذلك أو كان المرض من نزغ الشيطان ، فلما دعا غير الله تركه لكي يضله ويخبر الناس ولكن يعود مرة أخرى .

والمصنف قد وضح المسألة جيدًا فجزاه الله خيرًا .

ويجعلون لزيارته مواسم مخصصة يتجمع فيها الجمع الجم فيبهر الزائر ، ويرى ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق وازدحامهم وتكالبهم على القرب من الميت ، والتمسح بأحجار قبره وأعواده ، والاستغاثة به ، والالتجاء إليه وسؤاله قضاء الحاجات ، ونجاح الطلبات ، مع خضوعهم واستكانتهم وتقريبهم إليه نفائس الأموال ونحرهم أصناف النحائر.

فبمجموع هذه الأمور مع تطاول الأزمنة ، وانقراض القرن بعد القرن ، يظن الإنسان في بادئ عمره وأوائل أيامه أن ذلك من أعظم القربات ، وأفضل الطاعات ، ثم لا ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك ، بل يذهل عن كل حجة شرعية تدل على أن هذا هو الشرك بعينه ، وإذا سمع من يقول ذلك أنكره ، ونبا عنه سمعه ، وضاق به ذرعه ؛ لأنه يبعد كل البعد أن ينقل ذهنه دفعة واحدة في وقت واحد عن شيء يعتقده من أعظم الطاعات إلى كونه من أقبح المقبحات ، وأكبر المحرمات ، مع كونه قد درج عليه الاسلاف ودب فيه الأخلاف وتعادته العصور ، وتناوبه الدهور ، وهكذا كل شيء يقلد الناس فيه أسلافهم ويحكمون العادات المستمرة وبهذه الذريعة الشيطانية ، والوسيلة الطاغوتية ، بقي المشرك من الجاهلية على شركه ، واليهودي على يهوديته ، والنصراني على نصرانيته ، والمبتدع على بدعته ، وصار المعروف منكرًا ، والمنكر معروفًا[1] ، وتبدلت الأمة بكثير من المسائل الشرعية

(١) وهذا لشدة الجهل كما قال النبي ﷺ «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا

غيرها ، وألفوا ذلك ، ومرنت عليه نفوسهم ، وقبلته قلوبهم ، وأنسوا إليه حتى لو أراد من يتصدى للإرشاد أن يحملهم على المسائل الشرعية البيضاء النقية التي تبدلوا لها غيرها لنفروا عن ذلك ، ولم تقبله طبائعهم ، ونالوا ذلك المرشد بكل

أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ» رواه مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه .

وأقول والحمد لله في هذا الزمن قد خف التعلق بأصحاب القبور والذهاب إليها للذبح والدعاء ونحو ذلك من الشركيات ، وبقي بعض المغفلين وغلاة الصوفية وإلا فكثير من عامة الناس تركوا ذلك والحمد لله .

ولكن جاء شرك آخر وضلال كبير وهو الديمقراطية التي هي أم الضلالات في هذا العصر ، وفيها قولهم حكم الشعب نفسه بنفسه ، وترك حكم الله ، وإنما يتحاكمون إلى الكثرة ، وأيضًا قولهم تداول السلطة بالسلم يعني من فاز في الانتخابات ولو كان كافرًا من شيوعي أو نصراني أو يهودي أو غيرهم يتولى على المسلمين وغيرهم ، وهذا حصل في بعض الدول كلبنان وغيرها .

وقولهم حرية العقيدة ، وحرية الرأي يعني لك أن تخرج عن الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية أو الشيوعية أو تترك دينك وتقول : أنا حر ، وكذا المرأة تفعل ما تشاء .

ومعنى ذلك رد حكم الله وحكم رسوله ﷺ فالله يقول : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥]

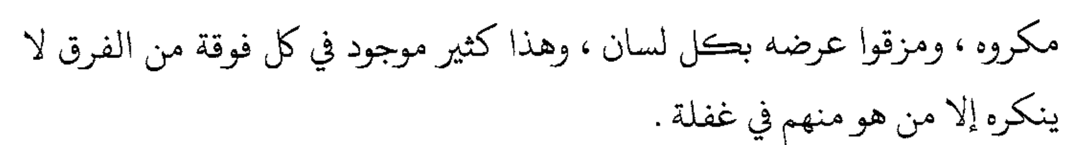
وقال النبي ﷺ : «من بدل دينه فاقتلوه» رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وقال ﷺ : «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، و التارك لدينه المفارق للجماعة» رواه مسلم .

فلم يقل من زنى فهو حر ، أو قتل هو حر ، ولا من ترك دينه هو حر .

بل أمر بقتل تارك الصلاة وعلى هذا أكثر العلماء .

مكروه ، ومزقوا عرضه بكل لسان ، وهذا كثير موجود في كل فوقة من الفرق لا ينكره إلا من هو منهم في غفلة .



وانظر إن كنت ممن يعتبر ما ابتليت به هذه الأمة من التقليدات للأموات في دين الله[1] ، حتى صارت كل طائفة تعمل في جميع مسائل الدين بقول عالم من

---

(١) قلت : هذه من أعظم الفتن في الدين عدم الأخذ بالدليل وإنما الشخص يأخذ ما وجد عليه آباءه أو مشايخه فالتقليد في هذا محرم قال الله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ٣

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ المائدة: ١٠٤

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۝ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ الزخرف: ٢٠ - ٢٢

فانظر كيف قلدوا أسلافهم على الباطل وتركوا ما جاءت به الرسل من الحجج .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الحجرات: ١

والصحابة رضي الله عنهم كانوا يحذرون من التقليد وترك السنن فقد سأل رجل عبدالله بن عمر عن مسح الحجر الأسود أو الركن اليماني فقال : إن النبي ﷺ فعله وأمر بذلك ، فقال الرجل أرأيت إن زحمت ؟

قال : اجعل أرأيت في اليمن .

وعبدالله بن مغفل رضي الله عنه رأى أحد أقاربه يخذف بالحصى ، فقال : نهى النبي ﷺ

عن الخذف ، فلم يزل يخذف ، فزجره وقال : لا أكلمك أبدًا .

وغيرهم من الصحابة على هذا ، وكذلك العلماء الربانيون ، فالإمام مالك يقول : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها .

وقال رحمه الله : كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر ، وأشار إلى قبر النبي ﷺ .

وقال أبو حنيفة رحمه الله : لا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم دليلنا ، فإنا نقول اليوم قولا ونرجع عنه غدًا ، أو كما قال رحمه الله .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : إذا صح الحديث فهو مذهبي .

وذكر مرة حديثًا فقال له رجل : هل يأخذ به ؟ فغضب وقال : هل رأيت عليّ زنارًا ؟! كيف لا آخذ بحديث رسول الله ﷺ .

والإمام أحمد رحمه الله يقول : لا تقلدني ولا تقلد الشافعي وخذ من حيث أخذوا – أي بالدليل -.

فرحم الله السلف .

وأما المتعصبون فانظر إلى حالهم، قال بعض المالكية : لولا مالك كان الدين هالك ، فالله حفظ دينه من قبل مالك ومن بعده .

وقال بعض الشافعية :

أنا شـــافعي ما حيـــيت وإن أمـــت فـــوصيتي للنـــاس أن يتشـــفعوا

وقال بعض الأحناف :

ألا لعنة ربي عدد الرمل على من رد قول أبي حنيفة .

فانظر كيف الجهل يفعل بأصحابه .

والشافعية يستثنون في باب الإيمان ، يقول أحدهم : أنا مؤمن إن شاء الله .

والأحناف قالوا هذا شك ! فمن قال ذلك هو مشرك فلا يزوج .

وقال بعضهم : يتزوج منهم ولا نزوجهم نُنزلهم منزلة أهل الكتاب .

فانظر إلى هذا التعصب المذموم .

فالاستثناء على ما يستقبل أو أن الإنسان لا يزكي نفسه وليس من باب الشك في الله أنه حق وأنه الإله الحق والدين حق والبعث حق ...إلخ

ونحن نحب الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء الإسلام ونستفيد من علومهم ، وهم أئمة أهل السنة بعد الصحابة رضي الله عنهم .

والحمد لله علومهم مدونة في الكتب وعلماء السنة من بعدهم يستفيدون منها وينقلونها لطلابهم ، ولكن بدون تعصب لعالم واحد منهم يتابعه ويقلده في كل شيء ، وإنما يأخذ ما وافق الحق ولم يخالفه .

فالتقليد لا يذم كله فإن كان هناك مسألة اجتهادية أو مختلف فيها وبحثها بعض العلماء وأجاد فيها وهو أهل للاجتهاد وقلده بعض الناس فلا بأس عند العجز عن البحث فيها.

وإنما التقليد المذموم الذي فيه التعصب والتقليد في كل شيء ،في حق وباطل ولا ينظر إلى فهم السلف ولا يتقيد بفهم عالم واحد كما تقدم عن الأئمة من ذم التقليد المطلق، والله الموفق .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى»(٢٠/٢٠٣) : كَذَلِكَ الْمَسَائِلُ الفروعية: مِنْ غَالِيَةِ الْمُتَكَلِّمَةِ وَالْمُتَفَقِّهَةِ مَنْ يُوجِبُ النَّظَرَ وَالِاجْتِهَادَ فِيهَا عَلَى كُلِّ أَحَدٍ حَتَّى عَلَى الْعَامَّةِ وَهَذَا ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ طَلَبُ عِلْمِهَا وَاجِبًا عَلَى الْأَعْيَانِ فَإِنَّمَا يَجِبُ مَعَ الْقُدْرَةِ وَالْقُدْرَةُ عَلَى مَعْرِفَتِهَا مِنْ الْأَدِلَّةِ الْمُفَصَّلَةِ تَتَعَذَّرُ أَوْ تَتَعَسَّرُ عَلَى أَكْثَرِ الْعَامَّةِ. وَبِإِزَائِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْمَذَاهِبِ مَنْ يُوجِبُ التَّقْلِيدَ فِيهَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَعْدَ الْأَئِمَّةِ: عُلَمَائِهِمْ؛ وَعَوَامِّهِمْ. وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُوجِبُ التَّقْلِيدَ بَعْدَ عَصْرِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ مُطْلَقًا ثُمَّ هَلْ يَجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ اتِّبَاعُ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ مِنْ الْأَئِمَّةِ يُقَلِّدُهُ فِي عَزَائِمِهِ وَرُخَصِهِ؟ عَلَى وَجْهَيْنِ. وَهَذَانِ الْوَجْهَانِ ذَكَرَهُمَا أَصْحَابُ أَحْمَد وَالشَّافِعِيِّ لَكِنْ هَلْ يَجِبُ عَلَى الْعَامِّيِّ ذَلِكَ؟ وَالَّذِي عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْأُمَّةِ أَنَّ الِاجْتِهَادَ جَائِزٌ فِي الْجُمْلَةِ؛ وَالتَّقْلِيدَ جَائِزٌ فِي الْجُمْلَةِ لَا يُوجِبُونَ الِاجْتِهَادَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ وَيُحَرِّمُونَ التَّقْلِيدَ وَلَا يُوجِبُونَ التَّقْلِيدَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ

علماء المسلمين ، ولا يقبل قول غيره ، ولا ترضى به ، وليتها وقفت عند عدم

وَيُحَرِّمُونَ الِاجْتِهَادَ وَأَنَّ الِاجْتِهَادَ جَائِزٌ لِلْقَادِرِ عَلَى الِاجْتِهَادِ وَالتَّقْلِيدَ جَائِزٌ لِلْعَاجِزِ عَنْ الِاجْتِهَادِ. اهـ

وفي هذا الزمن التعصب والتقليد للأحزاب ورؤسائها فتجد بعض من يتعصب للحزب يناضل من أجله ، فتذكر له الدليل على خطئه و لا يبالي ، ويقول : عندنا نظام ، وقد قال المنظم الفلاني كذا وكذا ، ونصبوا لهم مشايخ علم يفتونهم بما يوافق الحزب ، وإذا قلت لهم : اتقوا الله هذا حرام أو الواجب كذا ، قالوا : نحن نمشي على النظام أنت ما تفهم السياسة والنظام ، وكما قال النبي ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا من العباد ، ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسًا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» .متفق عليه

فمنهم من جوز الحزبية وقال : هي من الدين ، وآخر جوز الديمقراطية وقال : هي بمعنى الشورى وآخر جوز للمرأة الخروج بدون إذن وليها ، وآخر جوز الخروج على ولاة أمور المسلمين باسم الحرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وآخر جوز المظاهرات ويقول: سلمية وفي الأخير حصلت فتن كبيرة وقتل وقتال وانتهاك أعراض كما هو حاصل في أيامنا هذه في اليمن ومصر وسوريا وليبيا وغيرها من الدول ، وذلك بسبب الحزبية والتعصب يظن أن حزبه هو الذي سينتصر للدين في زعمه .

وفي الحقيقة أن الأمر يزداد شدة بالتفرق بالحزبية فينبغي مولاة المسلمين كلهم كل بحسب ما عنده من الخير .

قال النبي ﷺ : « الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان» حديث صحيح. والشخص يحب أخاه المسلم بقدر ما عنده من الطاعة ويبغضه بقدر ما عنده من الشر ولو كان من أقرب الناس إليه فبهذا تصلح الدنيا والدين ويصلح كثير من ولاة المسلمين .

القبول والرضا ، لكنها تجاوزت ذلك إلى الحط على سائر علماء المسلمين ، والوضع من شأنهم وتضليلهم وتبديعهم ، والتنفير عنهم ، ثم تجاوزوا ذلك إلى التفسيق والتكفير ، ثم زاد الشر حتى صار أهل كل مذهب كأهل ملة مستقلة لهم نبي مستقل ، وهو ذلك العالم الذي قلدوه فليس الشرع إلا ما قال به دون غيره ، وبالغوا وغلوا فجعلوا قوله مقدمًا على قول الله ورسوله ، وهل بعد هذه الفتنة والمحنة شيء من الفتن والمحن ؟ فإن أنكرت هذا فهؤلاء المقلدون على ظهر البسيطة قد ملؤوا الأقطار الإسلامية ، فاعمد إلى أهل كل مذهب وانظر إلى مسألة من مسائل مذهبهم هي مخالفة لكتاب الله أو لسنة رسوله ﷺ ، ثم أرشدهم إلى الرجوع عنها إلى ما قاله الله أو رسوله ﷺ ، وانظر بماذا يجيبونك ؟

فما أظنك تنجو من شرهم ، ولا تأمن من مضرتهم ، وقد يستحلون ذلك دمك ومالك وأورعهم يستحل عرضك وعقوبتك ، وهذا يكفيك إن كان لك فطانة سليمة وفكرة مستقيمة .

فانظر كيف خصوا بعض علماء المسلمين واقتدوا بهم في مسائل الدين ورفضوا الباقين ، بل جاوزوا هذا إلى أن الإجماع ينعقد بأربعة من علماء الأمة ، وأن الحجة قائمة بهم مع أن في عصر كل واحد منهم من هو أكثر علمًا منه فضلًا عن العصر المتقدم على عصره ، والعصر المتأخر عن عصره ، وهذا يعرفه كل من يعرف أحوال الناس ، ثم تجاوزوا في ذلك إلى أنه لا اجتهاد لغيرهم ، بل هو مقصور عليهم .

فكأن هذه الشريعة كانت لهم لا حظ لغيرهم فيها ، ولم يتفضل الله على عباده بما تفضل عليهم ، وكل عاقل يعلم أن هذه المزايا التي جعلوها لهؤلاء الأئمة رحمهم الله تعالى إن كانت باعتبار كثرة علمهم وزيادته على علم غيرهم فهذا

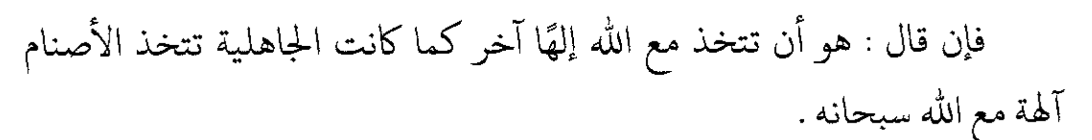
مدفوع عند كل من له اطلاع على احوالهم وأحوال غيرهم فإن في أتباع كل واحد منهم من هو أعلم منه ، لا ينكر هذا إل مكابر أو جاهل ، فكيف بمن لم يكن من أتباعهم من المعاصرين لهم والمتقدمين عليهم والمتأخيرين عنهم ؟

وإن كانت تلك المزايا لكثرة الورع والعبادة فالأمر كما تقدم فإن في معاصريهم والمتقدمين عليهم والمتأخرين عنهم من هو أكثر عبادة وورعًا منهم ، لا ينكر هذا الأمر إلا من لم يعرف تراجم الناس ، بكتب التواريخ ، وإن كانت تلك المزايا بتقدم عصورهم ، فالصحابة رضي الله عنهم والتابعون أقدم منهم عصرًا بلا خلاف ، وهم أحق بهذه المزايا ممن بعدهم لحديث : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ، وإن كانت تلك المزايا لأمر عقلي فما هو ، أو لأمر شرعي فأين هو ؟

ولا ننكر أن الله قد جعلهم بمحل من العلم والورع وصلابة الدين وأنهم من أهل السبق في الفضائل والفواضل ، ولكن الشأن في المتعصب لهم من أتباعهم القائلين : إنه لا يجوز تقليد غيرهم ، ولا يعتد بخلافه إن خالف .

ولا يجوز لأحد من علماء المسلمين أن يخرج عن تقليدهم ، وإن كان عارفًا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ قادرًا على العمل بما فيهما ، متمكنًا من استخراج المسائل الشرعية منهما ، فلم يكن مقصودنا إلا التعجب لمن كان له عقل صحيح وفكر رجيح ، نهوّن الأمر عليه فيما نحن بصدده من الكلام على ما يفعله المعتقدون للأموات ، وأنه لا يغتر العاقل بالكثرة ، وطول المهلة مع الغفلة ، فإن ذلك ولو كان دليلًا على الحق لكان ما زعمه المقلدون المذكورون حقًا ، ولكان ما يفعله المعتقدون للأموات حقًا وهذا عارض من القول ، أوردناه للتمثيل ولم يكن من مقصودنا.

والذي نحن بصدده هو إنه إذا خفي على بعض أهل العلم ما ذكرناه وقررناه في حكم المعتقدين للأموات لسبب من أسباب الخفاء التي قدمنا ذكرها ، ولم يتعقل ما سقناه من الحجج البرهانية القرآنية والعقلية ، فينبغي أن نسأله ما هو الشرك ؟



فإن قال : هو أن تتخذ مع الله إلهًا آخر كما كانت الجاهلية تتخذ الأصنام آلهة مع الله سبحانه .

قيل له : وماذا كانت الجاهلية تصنعه لهذه الأصنام التي اتخذوها حتى صاروا مشركين ؟

فإن قال : كانوا يعظمونها ويقربون لها ويستغيثون بها وينادونها عند الحاجات وينحرون لها النحائر ونحو ذلك من الأفعال الداخلة في مسمى العبادة .

فقل له : لأي شيء كانوا يفعلون لها ذلك ؟

فإن قال : لكونها الخالقة الرازقة أو المحيية المميتة ، فاقرأ عليه ما قدمنا لك من البراهين القرآنية المصرحة بأنهم مقرون بأن الله الخالق الرازق المحيي المميت وأنهم إنما عبدوها لتقربهم إلى الله زلفى ، وقالوا : هم شفعاؤهم عند الله ، ولم يعبدوها لغير ذلك ، فإنه سيوافق ولا محالة إن كان يعتقد أن كلام الله حق ، وبعد أن يوافقك أوضح له أن المعتقدين في القبور قد فعلوا هذه الأفعال أو بعضها على الصفة التي قررناها وكررناها في هذه الرسالة ، فإنه إن بقي فيه بقية من إنصاف وبارقة من علم وحصة من عقل فهو لا محالة يوافقك وتنجلي عنه الغمرة ، وتنقشع عن قلبه سحائب الغفلة ، ويعترف بأنه كان في حجاب عن معنى التوحيد الذي جاءت به السنة والكتاب ، فإن زاغ عن الحق وكابر وجادل فإن جاء في مكابرته ومجادلته بشيء من الشبهة فادفعه بالدفع الذي قد ذكرناه فيما سبق .

فإنا لم ندع شبهة يمكن أن يدعيها مدع إلا وقد أوضحنا أمرها وإن لم يأت بشيء في جداله بل اقتصر على مجرد الخصام والدفع المجرد لما أوردته عليه من

الكلام فاعدل معه عن حجة اللسان بالبرهان والقرآن إلى محجة السيف والسنان[١] ، فآخر الدواء الكي ، هذا إذا لم يكن دفعه بما هو دون ذلك من الضرب والحبس والتعزير ، فإن أمكن وجب تقديم الأخف على الأغلظ ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ طه: ٤٤
وبقوله تعالى : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ فصلت: ٣٤

شبهة : إن ما يفعله القبوريون هو من الكفر العملي والرد عليها

ومن جملة الشبه التي عرضت لبعض أهل العلم ما جزم به السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير[٢] في شرحه لأبياته التي يقول في أولها :

---

(١) لقول النبي ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » رواه البخاري ، فهذا بدل دينه بالشركيات وأقيمت عليه الحجة فلم يرجع إلى دينه فهذا جزاؤه ولو ترك فقد يتبعه على ذلك أجيال وأمم يضلهم بعده وخاصة أن عنده بعض العلم وشبه يلقيها على العامة الجهلة وأول من يضل أهله .
وقال الله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ١٩٣
والفتنة هنا الشرك فأعظم الفتنة الشرك فالمشرك يقاتل حتى يتوب أو ينقطع شره فالحاكم المسلم ينهى هؤلاء القبوريين وغيرهم ممن يشرك بالله فإن لم ينتهوا بعد البيان والزجر قاتلهم .
فلهذا من واجب الحكومات والعلماء عليهم البيان ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

(٢) ترجم له في «البدر الطالع» (١٣٣/٢) فقال السيد محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني ثمَّ الصنعاني الْمَعْرُوف بالأمير الْكَبِير الإِمَام الْمُجْتَهد الْمُطلق صَاحب التصانيف ولد

لَيْلَة الْجُمُعَة نصف جُمَادَى الْآخِرَة سنة ١٠٩٩ تسع وَتِسْعين وَألف بكحلان ثمَّ انْتقل مَعَ وَالِده إِلَى مَدِينَة صنعاء سنة ١١٠٧ وَأخذ عَن علمائها كالسيد الْعَلامَة زيد بن مُحَمَّد بن الْحسن وَالسَّيِّد الْعَلامَة صَلَاح بن الْحُسَيْن الاخفش وَالسَّيِّد الْعَلامَة عبد الله بن علي الْوَزير والقاضي الْعَلامَة عَليّ بن مُحَمَّد العنسي ورحل إِلَى مَكَّة وَقَرَأَ الحَدِيث على أكَابِر علمائها وعلماء الْمَدِينَة وبرع فِي جَمِيع الْعُلُوم وفَاق الأقران وَتفرد برئاسة الْعلم فِي صنعاء وَتظهر بِالِاجْتِهَادِ وَعمل بالأدلة وَنفر عَن التَّقْلِيد وزيف مَالا دَلِيل عَلَيْهِ من الآراء الْفِقْهِيَّة وَجَرت لَهُ مَعَ أهل عصره خطوب ومحن.

إلى أن قال: وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ من الْأَئِمَّة المجددين لمعالم الدّين وَقد رَأَيْته فِي الْمَنَام فِي سنة ١٢٠٦ ﻫ وَهُوَ يمشي رَاجِلا وَأَنا رَاكب فِي جمَاعَة معي فَلَمَّا رَأَيْته نزلت وسلمت عَلَيْهِ فدار بيني وَبَينه كَلَام حفظت مِنْهُ أَنه قَالَ دقق الْإِسْنَاد وتأنق فِي تَفْسِير كَلَام رَسُول الله ﷺ فخطر ببالي عِنْد ذَلِك أَنه يُشِير إِلَى مَا أصنعه فِي قِرَاءَة البخاري فِي الْجَامِع وَكَانَ يحضر تِلْكَ الْقِرَاءَة جمَاعَة من الْعلمَاء ويجتمع من الْعَوام عَالم لَا يُحصونَ فَكنت فِي بعض الْأَوْقَات أفسر الْأَلْفَاظ الحديثية بِمَا يفهم أُولَئِكَ الْعَوام الْحَاضِرُونَ فَأَرَدْت أَن أَقُول لَهُ إِنَّه يحضر جمَاعَة لَا يفهمون بعض الْأَلْفَاظ الْعَرَبيَّة فبادر وَقَالَ قبل أَن أَتكَلّم قد علمت أَنه يقْرَأ عَلَيْك جمَاعَة وَفِيهِمْ عَامَّة وَلَكِن دقق الْإِسْنَاد وتأنق فِي تَفْسِير كَلَام رَسُول الله ﷺ ثمَّ سَأَلته عِنْد ذَلِك عَن أهل الحَدِيث مَا حَالهم فِي الْآخِرَة فَقَالَ بلغُوا بِحَدِيثِهِمْ الْجنَّة أَو بلغُوا بِحَدِيثِهِمْ بَين يدي الرَّحْمَن الشَّك مني ثمَّ بَكَى بكاء عَالِيا وضمني إِلَيْهِ وفارقني فقصصت ذَلِك على بعض من لَهُ يَد فِي التَّعْبِير وَسَأَلته عَن تَأْوِيل الْبكاء وللضم فَقَالَ لَا بُد أَن يجْرِي لَك شَيْء مِمَّا جرى لَهُ من الامتحان فَوَقع من ذَلِك بعد تِلْكَ الرُّؤْيَا عجائب وغرائب كفى الله شَرها وَتُوفِّي رَحمَه الله سنة ١١٨٢ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَة وَألف فِي يَوْم الثُّلَاثَاء ثَالِث شهر شعْبَان. اﻫ المراد.

رجعت عن النظم الذي قلت في نجدي[1]

(١) هو كان رحمه الله امتدح الشيخ العلامة محمد بن عبدالوهاب النجدي حيث كان يقوم بتعليم الناس التوحيد ويناضل من أجله ويخرب القباب ويحطم الشجر والحجارة التي كان يعظمها بعض الناس ، ثم إن الملك عبدالعزيز آل سعود أو والده كان يقاتل من لم يستسلم للشرع ويترك مثل هذه الشركيات فحصلت أمور كثيرة ومعارك فبلغ محمد بن إسماعيل الأمير ذلك فقيل إنه تراجع عن مدح الشيخ محمد بن عبدالوهاب من أجل ذلك ، والله أعلم .

ولم يتراجع عن المدح من أجل أنه كان يدعو إلى تحقيق التوحيد وينهى عن الشرك ، ويهدم معالمه ، وانتشر الخير والتوحيد في كثير من البلاد بسببه ، فبعض المخالفين والمناوئين للشيخ محمد بن عبدالوهاب نشروا في الناس بأن ابن عبدالوهاب يكفر المسلمين ، ومن هؤلاء الشيخ مربد بن أحمد الوهيبي الحريملي لما فر إلا اليمن التقى بالصنعاني فأخبره بهذه الدعوى ، والشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يكن ليكفر المسلمين ، وربما يحصل من بعض الأتباع لكن الشيخ منهجه سلفي لا يكفر بالمعاصي التي ليست بمكفرة ، فقد سئل الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله عم يقاتل عليه وعم يكفر به الرجل؟

فأجاب : أركان الإسلام الخمسة أولها الشهادتان ، ثم الأركان الأربعة إذا أقر بها وتركها تهاونًا فنحن وإن قاتلناه على فعلها فلا نكفره بتركها ، والعلماء اختلفوا في التارك لها كسلًا من غير جحود ، ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم وهو الشهادتان ، وأيضًا نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر ، إلى أن قال رحمه الله : وأما الكذب والبهتان فمثل قولهم : إنا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه ، وإنا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل ، ومثل هذا أضعاف أضعافه ، كل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله ، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبدالقادر ، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما

لأجل جهلهم وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ؟! أو لم يكفر ويقاتل ، سبحانك هذا بهتان عظيم ! اهـ من «الدرر السنية»(١٠٤/١) مع شيء من التصرف ، وله كلام نحو هذا كثير في الدرر السنية وغيرها .

والقصيدة التي كان امتدح بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي هي :

سلام على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا ... رباها وحياها بقهقهة الرعد

سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ... ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد

يذكرني مسراك نجدا وأهله ... لقد زادني مسراك وجدا على وجد

قفي واسألي عن عالم حل سوحها ... به يهتدي من ضل عن منهج الرشد

محمد الهادي لسنة أحمد ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي

لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدر في الحق منهم ولا ورد

وما كل قول بالقبول مقابل ... ولا كل قول واجب الطرد والرد

سوى ما أتى عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل ياذا عن الرد

وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور على قدر الأدلة في النقد

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف لما يبدي

وينشر جهرا ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ما عندي

ويعمر أركان الشريعة هادما ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد

أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وود بئس ذلك من ود

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفرد

وكم عقروا في سوحها من عقيرة ... أهلت لغير الله جهرا على عمد

وكم طائف حول القبور مقبل ... ويلتمس الأركان منهن بالأيدي

وحرق عمدا للدلائل دفترا ... أصاب ففيها ما يجل عن العد

غـــلو نهى عنـــه الرســـول وفرية بـــلا مرية فـــاتركه إن كنـــت تستهدي
أحـــاديث لا تعـــــزى إلى عالم ولا تســـــاوي فليســـًا إن رجعت إلى النـــقد
وصـــيرها الجهـــــال للذكر ضــــرة تــــرى درســـــها أزكى لــــديها من الحمد
لقـــــد سرني ما جـــاءني من طريقـــه وكـــــنت أرى هـــذي الطريقة لي وحــــدي
وأقبـــــح مــــــن كل ابتـــداع سمعته وأنـــــكاه للقـــــلب المـــــوفق للـــــرشد
مـــــذاهب من رام الخلاف لبعضها يعـــــض بأنيـــــاب الأســـــاود والأســــد
يصـــب عليـــــه ســـوط ذم وغيبة ويـــجفوه مــــن قـــد كان يـهواه عن عمد
ويـــــعزى إليه كل مـــــا لا يقوله لتنقـــيصه عنـــــد التهـــــامي والنـــجدي
فيـــرميه أهل النصب بالرفض فرية ويـــــرميه أهـــل الرفـــض بالنصب والجحد
وليـــس له ذنب ســـوى أنـــه غـــدا يتـــابع قـــــول الله في الحـــــل والـــعـــقد
ويتـــبع أقـــوال الرسول مـــحمد وهـــل غـــيره بالله في النـــاس مــــن يهدي
وإن عـــــده الجهــــال ذنبا فحبــذا بـــه حبــــــذا يـــوم انــــفرادي في لحدي
عـــــلام جعلتم أيهـــــا الناس ديننا لأربعـــــة لاشــــك في فـــــضلهم عندي؟
هـــــم علماء الدين شـــرقا ومغـــربا ونــــــور عيــــون الفـــضل والحـــق والزهد
ولكنـــــهم كالناس ليس كلامـــهم دليــــلا ولا تقـــــليدهم في غــــــد يجدي
ولا زعمـــــوا -حاشاهم- أن قولهم دليل فيســــتهدي بـــه كل مستـــــــهدي
بـــلى صرحوا أنا نقـــــــابل قولهم إذا خـــالف المنـــــصوص بالقـــــدح والرد
ســــــلامي على أهل الحديث فإنني نشــــأت على حـــــب الأحاديث من مـــهدي
هـــــم بذلوا في حفـــــظ سنة أحمد وتنــــقيحها مــــن جهـــــدهم غـــاية الجـــهد
وأعــــني بهم أســــلاف أمـة أحمد أولئـــــك في بيـــــت القصـــــيد هـم قصدي
أولئـــك أمثال البخـــاري ومسلم وأحمـــــد أهـــل الجهـــــد في العـــــلم والجد
بـــحور وحـــاشاهم عن الجزر إنما لهـــــم مـــــدد يـــــأتي مـــن الله بـــالمد
رووا وارتـــــووا من علم سنة أحمد وليـــــس لهـــــم تـــــلك الـــمذاهب من ورد

فإنه قال : إن كفر هؤلاء المعتقدين للأموات هو من الكفر العملي لا الكفر الجحودي .

ونقل ما ورد في كفر تارك الصلاة كما ورد في الأحاديث الصحيحة وكفر تارك الحج في قوله : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٧

وكفر من لم يحكم بما أنزل الله كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤

ونحو ذلك من الأدلة الواردة فيمن زنا ومن سرق[1] ومن أتى امرأة حائضًا أو

كفاهم كتاب الله والسنة التي كفت قبلهم صحب الرسول ذوي الرشد
أأنتم أهدى أم صحابة أحمد وأهل الكسا هيهات ما الشوك كالورد
أولئك أهدى في الطريقة منكم فهم قدوتي حتى أوسد في لحدي
وشتان ما بين المقلد في الهدى ومن يقتدي والضد يعرف بالضد

انتهى من ديوان الصنعاني ، وذكر أكثرها الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي في "الدرر السنية" (٤٨٦/١١) ، (٣٢٥/١٦) في ضمن الرسائل التي كانت تصل إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي فرحم الله الجميع ، فهذان العالمان بذلا جهدًا عظيمًا في نشر التوحيد والسنة في زمانهما ، فأسأل الله أن يجزيهما عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، ويغفر لجميع المسلمين .

(١) يشير إلى حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ» رواه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) .

والمعنى أنه لا يرتكب هذه المعاصي إلا وهو ناقص الإيمان أو أن إيمانه يرتفع وينزل إلى مرتبة الإسلام.

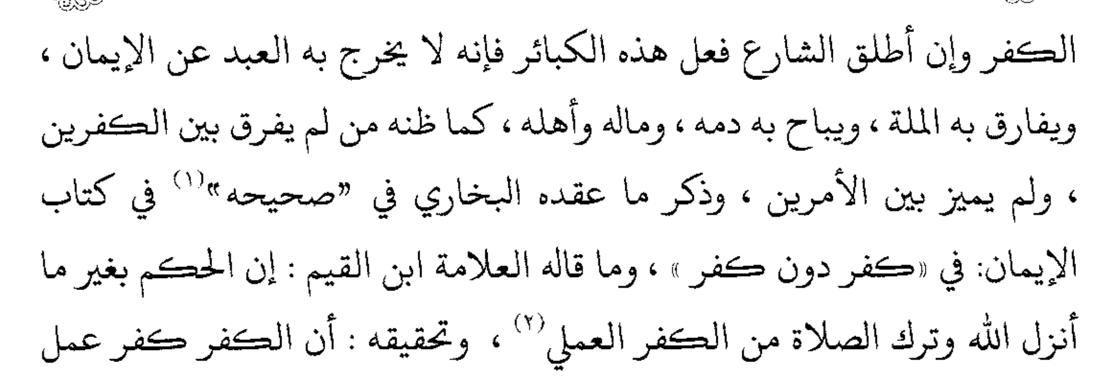
وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث.

قال الحافظ في «الفتح»(١٠/٤٤): قَالَ ابن بَطَّالٍ هَذَا أَشَدُّ مَا وَرَدَ فِي شُرْبِ الْخَمْرِ وَبِهِ تَعَلَّقَ الْخَوَارِجُ فَكَفَّرُوا مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ عَامِدًا عَالِمًا بِالتَّحْرِيمِ وَحَمَلَ أَهْلُ السُّنَّةِ الْإِيمَانَ هُنَا عَلَى الْكمالِ لِأَنَّ الْعَاصِيَ يَصِيرُ أَنْقَصَ حَالًا فِي الْإِيمَانِ مِمَّنْ لَا يَعْصِي وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ يَئُولُ أَمْرُهُ إِلَى ذَهَابِ الْإِيمَانِ .اهـ

وقال الإمام النووي رحمه الله: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهُ فَالْقَوْلُ الصَّحِيحُ الَّذِي قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّ مَعْنَاهُ لَا يَفْعَلُ هَذِهِ الْمَعَاصِي وَهُوَ كَامِلُ الْإِيمَانِ، وَهَذَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تُطْلَقُ عَلَى نَفْيِ الشَّيْءِ وَيُرَادُ نَفْيُ كَمَالِهِ وَمُخْتَارِهِ كَمَا يُقَالُ لَا عِلْمَ إِلَّا مَا نَفَعَ وَلَا مَالَ إِلَّا الْإِبِلُ وَلَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا تَأَوَّلْنَاهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ لِحَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»، وَحَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه الصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ أَنَّهُمْ بَايَعُوهُ ﷺ عَلَى أَنْ لَا يَسْرِقُوا وَلَا يَزْنُوا وَلَا يَعْصُوا إِلَى آخِرِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ ﷺ: «فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى الله وَمَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَتُهُ وَمَنْ فَعَلَ وَلَمْ يُعَاقَبْ فَهُوَ إِلَى الله تَعَالَى إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ»، فَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ مع نظائرهما في الصحيح مع قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨] مَعَ إِجْمَاعِ أَهْلِ الْحَقِّ عَلَى أَنَّ الزَّانِيَ وَالسَّارِقَ وَالْقَاتِلَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ غَيْرِ الشِّرْكِ لَا يَكْفُرُونَ بِذَلِكَ بَلْ هُمْ مُؤْمِنُونَ نَاقِصُو الْإِيمَانِ إِنْ تَابُوا سَقَطَتْ عُقُوبَتُهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا مُصِرِّينَ عَلَى الْكَبَائِرِ كَانُوا فِي الْمَشِيئَةِ فإن شَاءَ الله تَعَالَى عَفَا عَنْهُمْ وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ أَوَّلًا، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ ثُمَّ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ تَضْطَرُّنَا إِلَى تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ وَشِبْهِهِ، ثُمَّ إِنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ ظَاهِرٌ سَائِغٌ فِي اللُّغَةِ مُسْتَعْمَلٌ فِيهَا كَثِيرٌ، وَإِذَا وَرَدَ حَدِيثَانِ مُخْتَلِفَانِ ظَاهِرًا وَجَبَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا. اهـ من «شرح مسلم»(١/٤٢).

امرأة في دبرها[(١)] ، أو أتى كاهنًا أو عرافًا ، أو قال لأخيه يا كافر[(٢)] ، فهذه الأنواع من

(١) قلت : يشير إلى حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» .رواه أحمد (١٥/١٦٤)(٩٢٩٠)، وأبو داود (٣٩٠٤) ، والترمذي(١٣٥) ، والبخاري في التاريخ(٣/١٦-١٧) ، والنسائي في «الكبرى»(٩٠١١) ، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٦١٣٠) والبيهقي (٧/١٩٨) من طريق حماد بن سلمة عَنْ حَكِيمٍ الْأَثْرَمِ، عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه به ، وهذا السند فيه انقطاع ، قال البخاري في «التاريخ» : هذا الحديث لا يتابع عليه ، ولا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة في البصريين .اهـ
وقال الترمذي : لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة ، وَضَعَّفَ مُحَمَّدٌ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ قِبَلِ إِسْنَادِهِ.
وَأَبُو تَمِيمَةَ الهُجَيْمِيِّ اسْمُهُ طَرِيفُ بْنُ مُجَالِدٍ. اهـ من «جامع الترمذي» .
قال ابن عدي في «الكامل» وحكيم الأثرم يعرف بهذا الحديث ، وليس له غيره إلا اليسير .
قلت : فالسند ضعيف من أجل انقطاعه وتفرد حكيم به ، وإن كان ثقة لكن إشارة الترمذي وغيره إلى تفرده مما يدل على شك في الحديث ، ولو صح الحديث فهو محمول على الزجر ، قال الإمام الترمذي : وَإِنَّمَا مَعْنَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ عَلَى التَّغْلِيظِ.
وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ أَتَى حَائِضًا فَلْيَتَصَدَّقْ بِدِينَارٍ.
فَلَوْ كَانَ إِتْيَانُ الحَائِضِ كُفْرًا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِالكَفَّارَةِ. اهـ
(٢) كذلك يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» . رواه البخاري(٦١٠٣) ، وأخرجه مسلم(٦٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وفي رواية لمسلم : «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ» ، أي رجع عليه إثم تكفيره ، وليس معناه أنه يخرج


الكفر وإن أطلق الشارع فعل هذه الكبائر فإنه لا يخرج به العبد عن الإيمان ، ويفارق به الملة ، ويباح به دمه ، وماله وأهله ، كما ظنه من لم يفرق بين الكفرين ، ولم يميز بين الأمرين ، وذكر ما عقده البخاري في "صحيحه"[1] في كتاب الإيمان: في «كفر دون كفر » ، وما قاله العلامة ابن القيم : إن الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة من الكفر العملي[2] ، وتحقيقه : أن الكفر كفر عمل

من الإسلام .

قال الإمام النووي رحمه الله : مَعْنَاهُ فَقَدْ رَجَعَ عَلَيْهِ تَكْفِيرُهُ فَلَيْسَ الرَّاجِعُ حَقِيقَةُ الْكُفْرِ بَلِ التَّكْفِيرُ لِكَوْنِهِ جَعَلَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ كَافِرًا فَكَأَنَّهُ كَفَّرَ نَفْسَهُ إِمَّا لِأَنَّهُ كَفَّرَ مَنْ هُوَ مِثْلَهُ وَإِمَّا لِأَنَّهُ كَفَّرَ مَنْ لَا يُكَفِّرُهُ إِلَّا كَافِرٌ يَعْتَقِدُ بُطْلَانَ دِينِ الْإِسْلَامِ وَاللهُ أَعْلَمُ . اهـ من «شرح مسلم» (٥٠/١) .

(١) نعم هو في باب (٢١) باب كفران العشير و كفر دون كفر ، وذكر حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: " يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ " . البخاري(٢٩)

والعشير الزوج ، يعني أنها تغطي النعم التي يعطيها ويحسن بها إليها ، فإذا خاصمته قالت : ما رأيت منك خيرًا قط ، فهذا الجحود يسمى كفرًا .

(٢) أي أن صاحبه لم يجحد شرع الله ولا عاند الله ولكنه عمل عملًا شركيًا وكفرًا وقد يكون بجهل أو شبهة ، فمثل هذا لا يكفر صاحبه ، ولكن يؤمر بالتوبة ، وأما إذا سجد لصنم أو قيل له هذا عمل كفر أو شرك أكبر كالذبح للقبر ، أو استغاث بصاحب القبر ، وأصر بعد العلم كفر والعياذ بالله ؛ لأنه لا يفعل ذلك بعد العلم إلا وهو يعتقد النفع والضر في الموتى ، وإن ادعى أنه لا يعتقد ، فنقول هذا كفر ينافي الإيمان ، فتب إلى الله .

وكفر جحود وعناد .

فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله جحودًا وعنادًا فهذ الكفر يضاد الإيمان من كل وجه .

وأما كفر العمل فهو نوعان : نوع يضاد الإيمان ، ونوع لا يضاده ، ثم نقل عن ابن القيم كلامًا في هذا المعنى .

ثم قال السيد المذكور : قلت : ومن هذا يعني – الكفر العملي- من يدعو الأولياء ويهتف بهم عند الشدائد ، ويطوف بقبورهم ، ويقبل جدرانها ، وينذر لها

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : وها هنا أصل آخر وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل وكفر جحود وعناد، فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه.

وأما كفر العمل فينقسم إلى ما يضاد الإيمان وإلى ما لا يضاده. فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان، وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعا ولا يمكن أن ينفي عنه اسم الكفر بعد أن اطلقه الله ورسوله عليه فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ، ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا ويسمى رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافرا ولا يطلق عليهما اسم كافر. وقد نفى رسول الله ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر وعمن لا يأمن جاره بوائقه، وإذا نفي عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد .اهمن «كتاب الصلاة» (٤٥) فصل في كفر الاعتقاد وكفر العمل.

بشيء من ماله فإنه كفر عملي لا اعتقادي ، فإنه مؤمن بالله وبرسوله ﷺ وباليوم الآخر ، لكن زين لهم الشيطان أن هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون ويضرون ، فاعتقدوا ذلك ، كما اعتقد ذلك أهل الجاهلية في الأصنام ، لكن هؤلاء مثبتون التوحيد لله لا يجعلون الأولياء آلهة ، كما قال الكفار إنكارًا على رسول الله ﷺ لما دعاهم إلى كلمة التوحيد : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ ص: ٥٦

فهؤلاء جعلوا لله شركاء حقيقة فقالوا في التلبية : لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك .

فأثبتوا للأصنام شركة مع رب الأنام .

وإن كانت عباراتهم الضالة قد أفادت أنه لا شريك له ؛ لأنه إذا كان يملكه وما ملك فليس شريكًا له تعالى ، بل مملوك ، فعباد الأصنام الذين جعلوا لله أندادًا واتخذوا من دونه شركاء وتارة يقولون : شفعاء يقربونهم إلى الله زلفى ، بخلاف جهلة المسلمين الذين اعتقدوا في أوليائهم النفع والضر فإنهم مقرون لله بالواحدانية وإفراده بالإلهية ، وصدقوا رسله ، فالذي أتوه من تعظيم الأولياء كفر عمل لا اعتقاد .

فالواجب وعظهم وتعريفهم جهلهم ، وزجرهم ولو بالتعزير كما أمرنا بحد الزاني والشارب والسارق من أهل الكفر العملي ، إلى أن قال : فهذه كلها قبائح محرمة من أعمال الجاهلية فهو من الكفر العملي ، وقد ثبت أن هذه الأمة تفعل أمورًا من أمور الجاهلية(١) هي من الكفر العملي كحديث : « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ

(١) أي من أعمال الجاهلية والجاهلية ما كان قبل الإسلام .

الْجَاهِلِيَّةِ[١]، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ » .أخرجه مسلم في "صحيحه" من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه[٢].

فهذه من الكفر العملي لا تخرج به الأمة عن الملة ، بل هم مع إتيانهم بهذه الخصلة بالجاهلية أضافهم إلى نفسه فقال : من أمتي .

فإن قلت : أهل الجاهلية تقول في أصنامها أنهم يقربونهم إلى الله زلفى كما

---

(١) أي من أعمال الجاهلية وأخلاقهم وهذه الأمور وإن لم تكن كفرًا مخرجا من الملة لكن يجب تركها فهي شعبة من شعب الكفر تضعف الإيمان ، ويشهد لحديث الباب ما في البخاري (٣٨٥٠) عن عبيدالله ، سمع ابن عباس رضي الله عنهما قال : خلال من خلال الجاهلية : الطعن في الأنساب والنياحة ونسي الثالثة .
قال ويقولون الاستسقاء بالأنواء .
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ذم في الحديث من دعا بدعوى الجاهلية، وأخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذما لمن لم يتركه، وهذا كله يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم وهذا كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ الأحزاب: ٣٣
فإن في ذلك ذما للتبرج وذما لحال الجاهلية الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة. اهـ المراد من "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢٣٥) ط : العاصمة .

(٢) قلت : أخرجه مسلم (٩٣٤) في الجنائز ، وأبو مالك هو الحارث بن الحارث ، وقيل عبيدالله وقيل غير ذلك ، صحابي ينتسب إلى الأشعريين روى عنه أبو سلام الأسود ، وعبدالرحمن بن غنم الأشعري ، كما في "التهذيب".

يقول القبوريون .

قلت : لا سواء فإن القبوريين مثبتون لتوحيد الله ، قائلون إنه لا إله إلا هو ، ولو ضربت عنقه على أن يقول : إن الولي إله مع الله لما قالها ، بل عنده اعتقاد جهل أن الولي لما أطاع الله كان له من طاعته عنده تعالى جاه به تقبل شفاعته ، ويرجى نفعه ، لا أنه إله مع الله ، بخلاف الوثني فإنه امتنع عن قول لا إله إلا الله حتى ضربت عنقه ، زاعمًا أن وثنه إله مع الله ، ويسميه ربًا وإلهًا ، قال يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ يوسف: ٣٩

سماهم أربابًا لأنهم كانوا يسمونهم بذلك ، كما قال الخليل : هذا ربي ، في الثلاث الآيات، مستفهمًا لهم ، مبكتًا متكلمًا على خطابهم ، حيث يسمون الكواكب أربابًا ، وقالوا ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ ص: ٥

وقال قوم إبراهيم : ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٥٩

﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ الأنبياء: ٦٢

وقال إبراهيم : ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ الصافات: ٨٦

ومن هذا تعلم أن الكفار غير مقرين بتوحيد الإلهية والربوبية كما توهمه من توهم[1] من قوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ

(١) توحيد الألوهية هو توحيد الله في أفعال العباد أي أن العبادة لا تصرف إلا له من دعاء

يُؤْفَكُونَ ﴾ الزخرف: ٨٧

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الزخرف: ٩

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس: ٣١

فهذا إقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما لا أنه إقرار بتوحيد الإلهية ، لأنهم يجعلون أوثانهم أربابًا كما عرفت فهذا الكفر الجاهلي كفر اعتقاد ومن لازمه كفر العمل ، بخلاف من اعتقد في الأولياء النفع والضر مع توحيد الله والإيمان به وبرسوله وباليوم الآخر فإنه كفر عمل ، فهذ تحقيق بالغ وإيضاح لما هو الحق من غير إفراط ولا تفريط . انتهى كلام السيد المذكور رحمه الله .

وأقول هذا الكلام في التحقيق ليس بتحقيق بالغ بل كلام متناقض متدافع وبيانه : أنه لا شك أن الكفر ينقسم إلى كفر اعتقاد وكفر عمل ، لكن دعوى

وذبح ونذر وركوع وسجود وصلاة وصيام وحج وغير ذلك .

وتوحيد الربوبية هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت والمدبر لشؤون الخلق ، ومعناه : إفراد الله في أفعاله سبحانه .

والكفار وإن أقروا بأن الله خالقهم وخالق السموات والأرض والرازق للخلق ، لكن قد يشركون بعض آلهتهم في بعض النفع لهم ، ودفع الضر فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وأما إشراكهم في توحيد الإلهية فهذا معروف وكثير منهم .

أن ما يفعله المعتقدون في الأموات من كفر العمل في غاية الفساد ؛ فإنه قد ذكر في هذا البحث أن كفر من اعتقد في الأولياء كفر عمل ، وهذا عجيب !

كيف يقول كفر من يعتقد في الأولياء ويسمي ذلك اعتقادًا ثم يقول : إنه من الكفر العملي ! وهل هذا إلا التناقض البحت والتدافع الخالص !

انظر كيف ذكر في أول البحث أن كفر من يدعو الأولياء ويهتف بهم عند الشدائد ، ويطوف بقبورهم ، ويقبل جدرانها ، وينذر لها بشيء من ماله هو كفر عمل .

فليت شعري ما هو الحامل له على الدعاء والاستغاثة وتقبيل الجدران ، ونذر النذورات ، هل مجرد اللعب والعبث من دون اعتقاد؟ فهذا لا يفعله إلا مجنون أم الباعث عليه الاعتقاد في الميت ؟ فكيف لا يكون هذا من كفر الاعتقاد الذي لولاه لم يصدر فعل من تلك الأفعال ؟

ثم انظر كيف اعترف بعد ان حكم على هذا الكفر بأنه كفر عمل لا كفر اعتقاد بقوله : لكن زين الشيطان أن هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون فاعتقد ذلك جهلًا كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام .

فتأمل حكم بأن هذا كفر اعتقاد ككفر أهل الجاهلية ، وأثبت الاعتقاد واعتذر عنهم بأنه اعتقاد جهل.

وليت شعري أي فائدة لكونه اعتقاد جهل ، فإن طوائف الكفر بأسرها ، وأهل الشرك قاطبة إنما حملهم على الكفر ودفع الحق والبقاء على الباطل الاعتقاد جهلًا ، وهل يقول قائل : إن اعتقادهم اعتقاد علم حتى يكون اعتقاد الجهل عذرًا لإخوانهم المعتقدين في الأموات.

ثم تمم الاعتذار بقوله : لكن هؤلاء مثبتون للتوحيد ، إلى آخر ما ذكره ، ولا يخفاك أن هذا عذر باطل ؛ فإن إثباتهم التوحيد إن كان بألسنتهم فقط ، فهم

مشتركون في ذلك هم واليهود والنصارى والمشركون والمنافقون ، وإن كان بأفعالهم فقد اعتقدوا في الأموات ما اعتقده أهل الأصنام في أصنامهم ، ثم كرر هذا المعنى في كلامه فجعله السبب في رفع السيف عنهم وهو باطل فما ترتب عليه مثله باطل، فلا نطول برده[(١)] ، بل هؤلاء القبوريون قد وصلوا إلى حد في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم وهو أن الجاهلية كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله وحده ، وإنما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من الأمور كما حكاه الله عنهم بقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧]

وبقوله تعالى :﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[الأنعام: ٤٠]

وبقوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا

---

(١) كلام الشوكاني جيد ، لكن هؤلاء القبوريون لا يقاتلون حتى يعلموا وتقام عليهم الحجة بأنه شرك وأن النبي ﷺ قاتل المشركين الذين كانوا يصرفون العبادة لغير الله من حجر أو شجر أو غير ذلك .

ويقال لهم : أئمتكم الذين جوزوا لكم هذا الفعل قد أضلوكم فلا تتابعوهم ، وإقامة الحجة لازمة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء: ١٥]

فإن أبوا فيقاتلون ، وتهدم القباب والمشاهد التي على القبور كما قال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « ولا تدع قبرًا مشرفًا إلا سويته» .

فيقاتلهم إمام المسلمين أو طائفة محتسبة قوية تقدر على ذلك .

خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾ الزمر: ٨

وبقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ لقمان: ٣٢

بخلاف المعتقدين بالأموات فإنها إذا دهمتهم الشدائد استغاثوا بالأموات ونذروا لهم النذور وقل من يستغيث بالله سبحانه في تلك الحال وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم ، ولقد أخبرني بعض من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطرابًا شديدًا فسمع من أهل السفينة من الملاحين وغالب الراكبين معهم ينادون الموتى ويستغيثون بهم ، ولم يسمعهم يذكرون الله قط ، قال : ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شاهدته من الشرك بالله .

وقد سمعنا عن جماعة من أهل البادية المتصلة بصنعاء أن كثيرًا منهم إذا حدث له ولد جعل قصدًا من ماله لبعض الأموات المعتقدين ويقول إنه قد اشترى ولده من ذلك الميت الفلاني بكذا ، فإذا عاش حتى يبلغ سن الاستقلال دفع ذلك الجعل لمن يعتكف على قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الأموال .

وبالجملة : فالسيد المذكور رحمه الله تعالى ، قد جرد النظر في بحثه السابق إلى الإقرار بالتوحيد الظاهري ، واعتبر مجرد التكلم بكلمة التوحيد فقط من دون نظر إلى ما ينافي ذلك من أفعال المتكلم بكلمة التوحيد ويخالفه من اعتقاده الذي صدر عنه تلك الأفعال المتعلقة بالأموات وهذا الاعتبار لا ينبغي التعويل عليه ولا الاشتغال به ، والله سبحانه إنما ينظر إلى القلوب وما صدر من الأفعال عن اعتقاده لا إلى مجرد الألفاظ وإلا لما كان فرق بين المؤمن والمنافق .

وأما ما نقله السيد المذكور رحمه الله عن ابن القيم في أول كلامه في تقسيم

الكفر إلى عملي واعتقادي فهو كلام صحيح وعليه جمهور المحققين ولكن لا يقول ابن القيم ولا غيره : إن الاعتقاد بالأموات على الصفة التي ذكرها هو من الكفر العملي وسننقل هنا كلام ابن القيم في أن ما يفعله المعتقدون في الأموات من الشرك الأكبر ، كما نقل عنه السيد رحمه الله تعالى في كلامه السابق ، ثم نتبع ذلك بالنقل عن بعض أهل العلم ، فإن السائل كثر الله فوائده ، قد طلب ذلك في سؤاله فنقول :

قال ابن القيم رحمه الله في "شرح المنازل"[١] في باب التوبة :

وَأَمَّا الشِّرْكُ، فَهُوَ نَوْعَانِ: أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ، فَالْأَكْبَرُ لَا يَغْفِرُهُ الله إِلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ، وَهُوَ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ دُونِ الله نِدًّا، يُحِبُّهُ كَمَا يُحِبُّ الله، وَهُوَ الشِّرْكُ الَّذِي تَضَمَّنَ تَسْوِيَةَ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلِهَذَا قَالُوا لِآلِهَتِهِمْ فِي النَّارِ : ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الشعراء: ٩٧ - ٩٨

مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِأَنَّ الله وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، وَأَنَّ آلِهَتَهُمْ لَا تَخْلُقُ وَلَا تُرْزَقُ، وَلَا تُحْيِي وَلَا تُمِيتُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ التَّسْوِيَةُ فِي الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْعِبَادَةِ كَمَا هُوَ حَالُ أَكْثَرِ مُشْرِكِي الْعَالَمِ، بَلْ كُلُّهُمْ يُحِبُّونَ مَعْبُودَاتِهِمْ وَيُعَظِّمُونَهَا وَيُوَالُونَهَا مِنْ دُونِ الله، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ - بَلْ أَكْثَرُهُمْ - يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ أَعْظَمَ مِنْ مَحَبَّةِ الله، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِذِكْرِهِمْ أَعْظَمَ مِنِ اسْتِبْشَارِهِمْ إِذَا ذُكِرَ الله وَحْدَهُ، وَيَغْضَبُونَ لِمُنْتَقِصِ مَعْبُودِيهِمْ وَآلِهَتِهِمْ - مِنَ الْمَشَايِخِ - أَعْظَمَ مِمَّا يَغْضَبُونَ إِذَا انْتَقَصَ أَحَدٌ

(١) هو "مدارج السالكين" (٣٦٨/١) وما بعدها مع شيء من التصرف والاختصار الخفيف ، أو هي نسخة عند الشوكاني كان فيها شيء من الاختصار ، والله أعلم .

رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَإِذَا انْتُهِكَتْ حُرْمَةٌ مِنْ حُرُمَاتِ آلِهَتِهِمْ وَمَعْبُودَاتِهِمْ غَضِبُوا غَضَبَ اللَّيْثِ إِذَا حَرِدَ، وَإِذَا انْتُهِكَتْ حُرُمَاتُ الله لَمْ يَغْضَبُوا لَهَا، بَلْ إِذَا قَامَ الْمُنْتَهِكُ لَهَا بِإِطْعَامِهِمْ شَيْئًا رَضُوا عَنْهُ، وَلَمْ تَتَنَكَّرْ لَهُ قُلُوبُهُمْ، وَقَدْ شَاهَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا مِنْهُمْ جَهْرَةً، وَتَرَى أَحَدَهُمْ قَدِ اتَّخَذَ ذِكْرَ إِلَهِهِ وَمَعْبُودِهِ مِنْ دُونِ الله عَلَى لِسَانِهِ دَيْدَنًا لَهُ إِنْ قَامَ وَإِنْ قَعَدَ، وَإِنْ عَثَرَ وَإِنْ مَرِضَ وَإِنِ اسْتَوْحَشَ، فَذِكْرُ إِلَهِهِ وَمَعْبُودِهِ مِنْ دُونِ الله هُوَ الْغَالِبُ عَلَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَهُوَ لَا يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ بَابُ حَاجَتِهِ إِلَى الله، وَشَفِيعُهُ عِنْدَهُ، وَوَسِيلَتُهُ إِلَيْهِ.

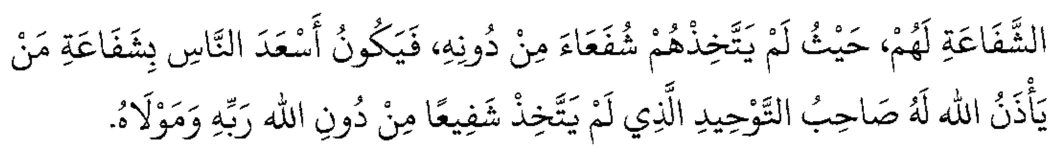
وَهَكَذَا كَانَ عُبَّادُ الْأَصْنَامِ سَوَاءً، وَهَذَا الْقَدْرُ هُوَ الَّذِي قَامَ بِقُلُوبِهِمْ، وَتَوَارَثَهُ الْمُشْرِكُونَ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ آلِهَتِهِمْ، فَأُولَئِكَ كَانَتْ آلِهَتُهُمْ مِنَ الْحَجَرِ وَغَيْرُهُمُ اتَّخَذُوهَا مِنَ

الْبَشَرِ، قَالَ الله تَعَالَى، حَاكِيًا عَنْ أَسْلَافِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٣]

ثُمَّ شَهِدَ عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ وَالْكَذِبِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ فَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣]

فَهَذِهِ حَالُ مَنِ اتَّخَذَ مِنْ دُونِ الله وَلِيًّا، يَزْعُمُ أَنَّهُ يُقَرِّبُهُ إِلَى الله، وَمَا أَعَزَّ مَنْ يَخْلُصُ مِنْ هَذَا؟ بَلْ مَا أَعَزَّ مَنْ لَا يُعَادِي مَنْ أَنْكَرَهُ!.

وَالَّذِي فِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَسَلَفِهِمْ أَنَّ آلِهَتَهُمْ تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ الله، وَهَذَا عَيْنُ الشِّرْكِ، وَقَدْ أَنْكَرَ الله عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ وَأَبْطَلَهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ الله أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ، وَرَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، وَهُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ، الَّذِينَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ الله شُفَعَاءَ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَأْذَنُ لِمَنْ شَاءَ فِي



الشَّفَاعَةِ لَهُمْ، حَيْثُ لَمْ يَتَّخِذْهُمْ شُفَعَاءَ مِنْ دُونِهِ، فَيَكُونُ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ مَنْ يَأْذَنُ الله لَهُ صَاحِبُ التَّوْحِيدِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ شَفِيعًا مِنْ دُونِ الله رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ.

وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا الله وَرَسُولُهُ هِيَ الشَّفَاعَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ إِذْنِهِ لِمَنْ وَحَّدَهُ، وَالَّتِي نَفَاهَا الله هِيَ الشَّفَاعَةُ الشِّرْكِيَّةُ، الَّتِي فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ، الْمُتَّخِذِينَ مِنْ دُونِ الله شُفَعَاءَ، فَيُعَامَلُونَ بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ مِنْ شُفَعَائِهِمْ، وَيَفُوزُ بِهَا الْمُوَحِّدُونَ.

وَتَأَمَّلْ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ - وَقَدْ سَأَلَهُ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ الله ؟ - قَالَ «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ» كَيْفَ جَعَلَ أَعْظَمَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا شَفَاعَتُهُ تَجْرِيدَ التَّوْحِيدِ، عَكْسَ مَا عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ تُنَالُ بِاتِّخَاذِهِمْ أَوْلِيَاءَهُمْ شُفَعَاءَ، وَعِبَادَتِهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ مِنْ دُونِ الله، فَقَلَبَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فِي زَعْمِهِمُ الْكَاذِبِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ سَبَبَ الشَّفَاعَةِ هُوَ تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ، فَحِينَئِذٍ يَأْذَنُ الله لِلشَّافِعِ أَنْ يُشَفَّعَ.

وَمِنْ جَهْلِ الْمُشْرِكِ اعْتِقَادُهُ أَنَّ مَنِ اتَّخَذَهُ وَلِيًّا أَوْ شَفِيعًا أَنَّهُ يَشْفَعُ لَهُ، وَيَنْفَعُهُ عِنْدَ الله، كَمَا يَكُونُ خَوَاصُّ الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ تَنْفَعُ شَفَاعَتُهُمْ مَنْ وَالَاهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الله لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَأْذَنُ فِي الشَّفَاعَةِ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى

فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وَفِي الْفَصْلِ الثَّانِي: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٨] وَبَقِيَ فَصْلٌ ثَالِثٌ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا التَّوْحِيدَ، وَاتِّبَاعَ الرَّسُولِ، وَعَنْ هَاتَيْنِ

الْكَلِمَتَيْنِ يَسْأَلُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، كَمَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: كَلِمَتَانِ يُسْأَلُ عَنْهُمَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟.

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ، تَقْطَعُ شَجَرَةَ الشِّرْكِ مِنْ قَلْبِ مَنْ وَعَاهَا وَعَقَلَهَا لَا شَفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، وَلَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا تَوْحِيدَهُ، وَاتِّبَاعَ رَسُولِهِ، فَالله تَعَالَى لَا يَغْفِرُ شِرْكَ الْعَادِلِينَ بِهِ غَيْرَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[الأنعام: ١] وَأَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ أَنَّهُمْ يَعْدِلُونَ بِهِ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ وَالْمُوَالَاةِ وَالْمَحَبَّةِ، كَمَا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء: ٩٧ - ٩٨] وَكَمَا فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَتَرَى الْمُشْرِكَ يُكَذِّبُ حَالَهُ وَعَمَلَهُ قَوْلُهُ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: لَا نُحِبُّهُمْ كَحُبِّ الله، وَلَا نُسَوِّيهِمْ بِالله، ثُمَّ يَغْضَبُ لَهُمْ وَلِحُرُمَاتِهِمْ - إِذَا انْتُهِكَتْ - أَعْظَمَ مِمَّا يَغْضَبُ لِلَّهِ، وَيَسْتَبْشِرُ بِذِكْرِهِمْ، وَيَتَبَشْبَشُ بِهِ، سِيَّمَا إِذَا ذُكِرَ عَنْهُمْ مَا لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ إِغَاثَةِ اللهفَاتِ، وَكَشْفِ الْكُرُبَاتِ، وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَأَنَّهُمُ الْبَابُ بَيْنَ الله وَبَيْنَ عِبَادِهِ، فَإِنَّكَ تَرَى الْمُشْرِكَ يَفْرَحُ وَيُسَرُّ وَيَحِنُّ قَلْبُهُ، وَتَهِيجُ مِنْهُ لَوَاعِجُ التَّعْظِيمِ وَالْخُضُوعِ لَهُمْ وَالْمُوَالَاةِ، وَإِذَا ذَكَرْتَ لَهُ الله وَحْدَهُ، وَجَرَّدْتَ تَوْحِيدَهُ لَحِقَتْهُ وَحْشَةٌ، وَضِيقٌ، وَحَرَجٌ وَرَمَاكَ بِنَقْصِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي لَهُ، وَرُبَّمَا عَادَاكَ.

رَأَيْنَا وَالله مِنْهُمْ هَذَا عِيَانًا، وَرَمَوْنَا بِعَدَاوَتِهِمْ، وَبَغَوْا لَنَا الْغَوَائِلَ، وَالله مُخْزِيهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَمْ تَكُنْ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا، كَمَا قَالَ إِخْوَانُهُمْ: عَابَ آلِهَتَنَا، فَقَالَ هَؤُلَاءِ: تَنَقَّصْتُمْ مَشَايِخَنَا، وَأَبْوَابَ حَوَائِجِنَا إِلَى الله، وَهَكَذَا قَالَ النَّصَارَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا قَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْمَسِيحَ عَبْدُ الله، قَالُوا: تَنَقَّصْتَ الْمَسِيحَ

وَعِبْتَهُ، وَهَكَذَا قَالَ أَشْبَاهُ الْمُشْرِكِينَ لِمَنْ مَنَعَ اتِّخَاذَ الْقُبُورِ أَوْثَانًا تُعْبَدُ، وَمَسَاجِدَ تُقْصَدُ، وَأَمَرَ بِزِيَارَتِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَذِنَ الله فِيهِ وَرَسُولُهُ، قَالُوا: تَنَقَّصْتَ أَصْحَابَهَا. فَانْظُرْ إِلَى هَذَا التَّشَابُهِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ قَدْ تَوَاصَوْا بِهِ : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ الكهف: ١٧

وَقَدْ قَطَعَ الله تَعَالَى كُلَّ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَعَلَّقَ بِهَا الْمُشْرِكُونَ جَمِيعًا، قَطْعًا يَعْلَمُ مَنْ تَأَمَّلَهُ وَعَرَفَهُ أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ مِنْ دُونِ الله وَلِيًّا، أَوْ شَفِيعًا، فَهُوَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ سبأ: ٢٢-٢٣

فَالْمُشْرِكُ إِنَّمَا يَتَّخِذُ مَعْبُودَهُ لِمَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ بِهِ مِنَ النَّفْعِ، وَالنَّفْعُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِمَّنْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ إِمَّا مَالِكٌ لِمَا يُرِيدُهُ عِبَادُهُ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَالِكًا كَانَ شَرِيكًا لِلْمَالِكِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَرِيكًا لَهُ كَانَ مُعِينًا لَهُ وَظَهِيرًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعِينًا وَلَا ظَهِيرًا كَانَ شَفِيعًا عِنْدَهُ.

فَنَفَى سُبْحَانَهُ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ نَفْيًا مُتَرَتِّبًا، مُتَنَقِّلًا مِنَ الْأَعْلَى إِلَى مَا دُونَهُ، فَنَفَى الْمِلْكَ، وَالشِّرْكَةَ، وَالْمُظَاهَرَةَ، وَالشَّفَاعَةَ، الَّتِي يَطلبها الْمُشْرِكُ، وَأَثْبَتَ شَفَاعَةً لَا نَصِيبَ فِيهَا لِمُشْرِكٍ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ بِإِذْنِهِ.

فَكَفَى بِهَذِهِ الْآيَةِ نُورًا، وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً، وَتَجْرِيدًا لِلتَّوْحِيدِ، وَقَطْعًا لِأُصُولِ الشِّرْكِ وَمُوَدَّاهُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ أَمْثَالِهَا وَنَظَائِرِهَا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْعُرُونَ بِدُخُولِ الْوَاقِعِ تَحْتَهُ، وَتَضَمُّنِهِ لَهُ، وَيَظُنُّونَهُ فِي نَوْعٍ وَفِي قَوْمٍ قَدْ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ

وَلَمْ يُعْقِبُوا وَارِثًا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ فَهْمِ الْقُرْآنِ.

وَلَعَمْرُ اللهِ إِنْ كَانَ أُولَئِكَ قَدْ خَلَوْا، فَقَدْ وَرِثَهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُمْ، أَوْ شَرٌّ مِنْهُمْ، أَوْ دُونَهُمْ، وَتَنَاوُلُ الْقُرْآنِ لَهُمْ كَتَنَاوُلِهِ لِأُولَئِكَ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةَ.

وَهَذَا لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْجَاهِلِيَّةَ وَالشِّرْكَ، وَمَا عَابَهُ الْقُرْآنُ وَذَمَّهُ وَقَعَ فِيهِ وَأَقَرَّهُ، وَدَعَا إِلَيْهِ وَصَوَّبَهُ وَحَسَّنَهُ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ نَظِيرُهُ، أَوْ شَرٌّ مِنْهُ، أَوْ دُونَهُ، فَيَنْقُضُ بِذَلِكَ عُرَى الْإِسْلَامِ عَنْ قَلْبِهِ، وَيَعُودُ الْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا، وَالْبِدْعَةُ سُنَّةً، وَالسُّنَّةُ بِدْعَةً، وَيَكْفُرُ الرَّجُلُ بِمَحْضِ الْإِيمَانِ وَتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ، وَيُبَدَّعُ بِتَجْرِيدِ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُفَارَقَةِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، وَمَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ وَقَلْبٌ حَيٌّ يَرَى ذَلِكَ عِيَانًا، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.[1]

ثم قال في ذلك الكتاب:

فَصْلٌ وَأَمَّا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ فَكَيَسِيرِ الرِّيَاءِ، وَالتَّصَنُّعِ لِلْخَلْقِ، وَالْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، كَمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» وَقَوْلِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَهَذَا مِنَ اللهِ وَمِنْكَ، وَإِنَّا بِاللهِ وَبِكَ، وَمَا لِي إِلَّا اللهُ وَأَنْتَ، وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللهِ وَعَلَيْكَ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَكُنْ كَذَا

(١) نقلنا كلام ابن القيم رحمه الله بنصه للفائدة ولارتباط الكلام بعضه ببعض (ص:٢٤٤) من "مدارج السالكين"، فالمصنف كان قطع بعضه.

وَكَذَا، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا شِرْكًا أَكْبَرَ، بِحَسَبِ حال قَائِلِهِ وَمَقْصِدِهِ[١].

ثم قال ابن القيم رحمه الله تعالى في ذلك الكتاب بعد فراغه من ذكر الشرك الأكبر والصغر والتعريف لهما :

وَمِنْ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ سُجُودُ الْمُرِيدِ[٢] لِلشَّيْخِ، فَإِنَّهُ شِرْكٌ مِنَ السَّاجِدِ وَالْمَسْجُودِ لَهُ، وَالْعَجَبُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَيْسَ هَذَا بِسُجُودٍ، وَإِنَّمَا هُوَ وَضْعُ الرَّأْسِ قُدَّامَ الشَّيْخِ احْتِرَامًا وَتَوَاضُعًا، فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ: وَلَوْ سَمَّيْتُمُوهُ مَا سَمَّيْتُمُوهُ، فَحَقِيقَةُ السُّجُودِ وَضْعُ الرَّأْسِ لِمَنْ يُسْجَدُ لَهُ، وَكَذَلِكَ السُّجُودُ لِلصَّنَمِ، وَلِلشَّمْسِ، وَلِلنَّجْمِ، وَلِلْحَجَرِ، كُلُّهُ وَضْعُ الرَّأْسِ قُدَّامَهُ.

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ رُكُوعُ الْمُتَعَمِّمِينَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ عِنْدَ الْمُلَاقَاةِ، وَهَذَا سُجُودٌ فِي اللُّغَةِ، وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾[النساء: ١٥٤]

أَيْ مُنْحَنِينَ، وَإِلَّا فَلَا يُمْكِنُ الدُّخُولُ بِالْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَرَبِ: سَجَدَتِ الْأَشْجَارُ، إِذَا أَمَالَتْهَا الرِّيحُ.

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ حَلْقُ الرَّأْسِ لِلشَّيْخِ، فَإِنَّهُ تَعَبُّدٌ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَا يُتَعَبَّدُ بِحَلْقِ الرَّأْسِ

---

(١) نعم إذا كان قلبه متجهًا إلى المتوكل عليه أو المعتمد عليه أو المحلوف به فالأعمال بالنيات.

(٢) سجود المريد هذه عبارة يستعملها المتصوفة وهو يحصل سجود بين يدي الشيخ وربما يقبل قدمه، وتراه يخضع ويخشع ويظهر الذل بين يديه أعظم من خشوعه وهو ساجد لله تعالى، ويحصل هذا من أهل البدع عند مشايخهم.

وكلام ابن القيم هو في «مدارج السالكين» (٣٧٤/١).

قلت: وأما كفر المسجود له مشرك حيث رضي بهذا الفعل المنكر، بل دعا الناس إليه بفعل أو قول.

إِلَّا فِي النُّسُكِ لله خَاصَّةً.

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ التَّوْبَةُ لِلشَّيْخِ، فَإِنَّهَا شِرْكٌ عَظِيمٌ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ، كَالصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَالنُّسُكِ، فَهِيَ خَالِصُ حَقِّ الله.

وَفِي الْمُسْنَدِ «أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِأَسِيرٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ، وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ» .

فَالتَّوْبَةُ عِبَادَةٌ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ ، كَالسُّجُودِ وَالصِّيَامِ.

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: النَّذْرُ لِغَيْرِ الله، فَإِنَّهُ شِرْكٌ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْحَلِفِ بِغَيْرِ الله، فَإِذَا كَانَ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ أَشْرَكَ فَكَيْفَ بِمَنْ نَذَرَ لِغَيْرِ الله؟ مَعَ أَنَّ فِي السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنْهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «النَّذْرُ حَلْفَةٌ» .

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: الْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ الله، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى غَيْرِ الله، وَالْعَمَلُ لِغَيْرِ الله، وَالْإِنَابَةُ وَالْخُضُوعُ، وَالذُّلُّ لِغَيْرِ الله، وَابْتِغَاءُ الرِّزْقِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ، وَحَمْدُ غَيْرِهِ عَلَى مَا أَعْطَى، وَالْغُنْيَةُ بِذَلِكَ عَنْ حَمْدِهِ سُبْحَانَهُ، وَالذَّمُّ وَالسَّخَطُ عَلَى مَا لَمْ يَقْسِمْهُ، وَلَمْ يَجْرِ بِهِ الْقَدَرُ، وَإِضَافَةُ نِعَمِهِ إِلَى غَيْرِهِ، وَاعْتِقَادُ أَنْ يَكُونَ فِي الْكَوْنِ مَا لَا يَشَاؤُهُ.

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ طَلَبُ الْحَوَائِجِ مِنَ الْمَوْتَى، وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِمْ، وَالتَّوَجُّهُ إِلَيْهِمْ.

وَهَذَا أَصْلُ شِرْكِ الْعَالَمِ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ قَدِ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَضْلًا عَمَّنِ اسْتَغَاثَ بِهِ وَسَأَلَهُ قَضَاءَ حَاجَتِهِ، أَوْ سَأَلَهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ إِلَى الله فِيهَا، وَهَذَا مِنْ جَهْلِهِ بِالشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ لَهُ عِنْدَهُ، كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ عِنْدَ الله إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَالله لَمْ يَجْعَلِ اسْتِغَاثَتَهُ وَسُؤَالَهُ سَبَبًا لِإِذْنِهِ، وَإِنَّمَا السَّبَبُ لِإِذْنِهِ كَمَالُ التَّوْحِيدِ، فَجَاءَ هَذَا الْمُشْرِكُ بِسَبَبٍ يَمْنَعُ الْإِذْنَ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنِ اسْتَعَانَ فِي حَاجَةٍ بِمَا يَمْنَعُ حُصُولَهَا، وَهَذِهِ حَالَةُ كُلِّ مُشْرِكٍ، وَالْمَيِّتُ مُحْتَاجٌ إِلَى مَنْ يَدْعُو لَهُ، وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ، كَمَا أَوْصَانَا النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا زُرْنَا قُبُورَ

الْمُسْلِمِينَ أَنْ نَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ، وَنَسْأَلَ لَهُمُ الْعَافِيَةَ وَالْمَغْفِرَةَ (١).

فَعَكَسَ الْمُشْرِكُونَ هَذَا، وَزَارُوهُمْ زِيَارَةَ الْعِبَادَةِ، وَاسْتِقْضَاءِ الْحَوَائِجِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ، وَجَعَلُوا قُبُورَهُمْ أَوْثَانًا تُعْبَدُ، وَسَمَّوْا قَصْدَهَا حَجًّا، وَاتَّخَذُوا عِنْدَهَا الْوَقْفَةَ وَحَلَقُوا الرُّؤُوسَ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ بِالْمَعْبُودِ الْحَقِّ، وَتَغْيِيرِ دِينِهِ، وَمُعَادَاةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَنِسْبَةِ أَهْلِهِ إِلَى التَّنَقُّصِ لِلْأَمْوَاتِ، وَهُمْ قَدْ تَنَقَّصُوا الْخَالِقَ بِالشِّرْكِ، وَأَوْلِيَاءَهُ الْمُوَحِّدِينَ لَهُ، الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا بِذَمِّهِمْ وَعَيْبِهِمْ وَمُعَادَاتِهِمْ، وَتَنَقَّصُوا مَنْ أَشْرَكُوا بِهِ غَايَةَ التَّنَقُّصِ، إِذْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ رَاضُونَ مِنْهُمْ بِهَذَا، وَأَنَّهُمْ أَمَرُوهُمْ بِهِ، وَأَنَّهُمْ يُوَالُونَهُمْ عَلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ وَالتَّوْحِيدِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَمَا أَكْثَرَ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُمْ! وَلِلَّهِ در خَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ إبراهيم: ٣٥ - ٣٦

وَمَا نَجَا مِنْ شَرَكِ هَذَا الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ إِلَّا مَنْ جَرَّدَ تَوْحِيدَهُ لِلَّهِ، وَعَادَى

---

(١) يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها قالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ : « قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ » . رواه مسلم(١٠٣) .

وعن بريدة رضي الله عنه قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ » . رواه مسلم(١٠٤).

فهذا دليل على أن الموتى بحاجة إلى دعاء الأحياء ، وهذا هو المشروع الدعاء لهم لا أن الزائر يسألهم ويستغيث بهم ، ولكن أهل البدع غيروا السنن إلى البدع و الشركيات .

الْمُشْرِكِينَ فِي اللهِ، وَتَقَرَّبَ بِمَقْتِهِمْ إِلَى اللهِ .[١] اهـ كلام ابن القيم رحمه الله .

فانظر كيف صرح بان ما يفعله هؤلاء المعتقدون في الأموات هو شرك أكبر بل أصل شرك العالم وما ذكره من المعاداة لهم فهو صحيح ، ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ المجادلة: ٢٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ الممتحنة: ١

إلى قوله : ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ الممتحنة: ٤

قال شيخ الإسلام تقي الدين في "الإقناع" : إن من دعا ميتًا وإن كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر وإن من شك في كفره فهو كافر .

وقال أبو الوفاء بن عقيل في الفنون : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت غيرهم وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل لي كذا وكذا ، أو إلقاء الخرق على الشجرة اقتداء بمن عبداللات والعزى .

وقال ابن القيم رحمه الله في "إغاثة اللهفان"[٢] في إنكار تعظيم القبور : وقد

---

(١) نقلناه بنصه لتمام الكلام ، وإن كان المصنف قطع بعضه .

(٢) هو في (١٩٧/١) فهذا المؤلف حذر الناس من الذين يشرعون ما لم يأذن به الله ، ومن دعا الناس إلى عبادة أهل القبور فلذلك حكم عليه وعلى أمثاله ابن القيم بالخروج من الدين بخلاف الذي قد ينذر لهم ببخور أو يتمسح بترابهم فهو أهون فقد يكون جاهلًا

آل الأمر بهؤلاء المشركين إلى أن أضيف بعض غلاتهم كتابًا سماه : « مناسك المشاهد »ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عبادة الأصنام .اهـ وهذا الذي أشار إليه هو ابن المفيد .

وقال في النهر الفائق : اعلم أن الشيخ قاسمًا قال في «شرح درر البحار » : إن النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلًا يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريضي فلك من الذهب أو الفضة أو الشمع أو الزيت كذا باطل إجماعًا لوجوه – إلى أن قال : ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر انتهى .

وهذا القائل هو من أئمة الحنفية ، وتأمل ما أفاده من حكاية الإجماع على بطلان النذر المذكور وأنه كفر عنده مع ذلك الاعتقادات .

وقال صاحب : « الروضة» : إن المسلم إذا ذبح للنبي ﷺ كفر .

وهذا القائل من أئمة الشافعية ، وإذا كان لسيد الرسل ﷺ كفرًا عنده فكيف بالذبح لسائر الأموات .

وقال ابن حجر في شرح الأربعين له : من دعا غير الله فهو كافر .اهـ

وقال شيخ الإسلام[1] تقي الدين رحمه الله في الرسالة السنية : فَكُلُّ مَنْ غَلَا فِي

فإذا بين له تاب .

وهذا المؤلف لمناسك حج المشاهد : ابن المفيد شيعي غالي من أعيان الشيعة في القرن الخامس .

(١)في «الرسالة السنية» وبنحوه في «مجموع الفتاوى(٣/٣٩٥) وما بعد .

حَيٍّ؛ أَوْ فِي رَجُلٍ صَالِحٍ كَمِثْلِ عَلِيٍّ - رَضِيَ الله عَنْهُ - أَوْ " عَدِيٍّ " أَوْ نَحْوِهِ؛ أَوْ فِيمَنْ يُعْتَقَدُ فِيهِ الصَّلَاحُ؛ كَالْحَلَّاجِ أَوْ الْحَاكِمِ الَّذِي كَانَ بِمِصْرٍ أَوْ يُونُسَ القتي وَنَحْوِهِمْ وَجَعَلَ فِيهِ نَوْعًا مِنْ الْإِلَهِيَّةِ مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: كُلُّ رِزْقٍ لَا يَرْزُقُنِيهِ الشَّيْخُ فُلَانٌ مَا أُرِيدُهُ أَوْ يَقُولَ إِذَا ذَبَحَ شَاةً: بِاسْمِ سَيِّدِي، أَوْ يَعْبُدُهُ بِالسُّجُودِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَوْ يَدْعُوهُ مِنْ دُونِ الله تَعَالَى؛ مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: يَا سَيِّدِي فُلَانُ اغْفِرْ لِي أَوْ ارْحَمْنِي أَوْ انْصُرْنِي أَوْ ارْزُقْنِي أَوْ أَغِثْنِي أَوْ أَجِرْنِي أَوْ تَوَكَّلْت عَلَيْك أَوْ أَنْتَ حَسْبِي؛ أَوْ أَنَا فِي حَسْبِك؛ أَوْ نَحْوَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إلَّا لله تَعَالَى فَكُلُّ هَذَا شِرْكٌ وَضَلَالٌ يُسْتَتَابُ صَاحِبُهُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ، فَإِنَّ الله إنَّمَا أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ لِنَعْبُدَ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَجْعَلَ مَعَ الله إلَهًا آخَرَ.

وَالَّذِينَ كَانُوا يَدْعُونَ مَعَ الله آلِهَةً أُخْرَى - مِثْلَ: الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْعُزَيْرِ وَالْمَسِيحِ وَالْمَلَائِكَةِ واللات وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى، وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ - لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا تَخْلُقُ الْخَلَائِقَ؛ أَوْ أَنَّهَا تُنْزِلُ الْمَطَرَ أَوْ أَنَّهَا تُنْبِتُ النَّبَاتَ وَإِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكَوَاكِبَ وَالْجِنَّ وَالتَّمَاثِيلَ الْمُصَوَّرَةَ لِهَؤُلَاءِ أَوْ يَعْبُدُونَ قُبُورَهُمْ وَيَقُولُونَ: إنَّمَا نَعْبُدُهُمْ لِيُقَرِّبُونَا إلَى الله زُلْفَى. وَيَقُولُونَ: هُمْ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ الله، فَأَرْسَلَ الله رُسُلَهُ تَنْهَى أَنْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ دُونِهِ لَا دُعَاءَ عِبَادَةٍ؛ وَلَا دُعَاءَ اسْتِغَاثَةٍ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾

[الإسراء: ٥٦ - ٥٧]

قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ: كَانَ أَقْوَامٌ يَدْعُونَ الْمَسِيحَ وَعُزَيْرًا وَالْمَلَائِكَةَ.

ثم قال في ذلك الكتاب :

وَعِبَادَةُ الله وَحْدَهُ: هِيَ أَصْلُ الدِّينِ وَهُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي بَعَثَ الله بِهِ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ بِهِ الْكُتُبَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف: ٤٥

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَقِّقُ التَّوْحِيدَ وَيُعَلِّمُهُ أُمَّتَهُ حَتَّى قَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا شَاءَ الله وَشِئْت. فَقَالَ: أَجَعَلْتِنِي لله نِدًّا؟[1] بَلْ قل مَا شَاءَ الله وَحْدَهُ ، وَقَالَ: «لَا

---

(١) أخرجه أحمد(١٨٣٩) وفيه : « أجعلتني لله ندًا» وسنده فيه الأجلح بن عبدالله بن حجية فيه ضعف يصلح في الشواهد والمتابعات ترجمته في «تهذيب التهذيب» .

ولكن الحديث له شواهد صحيحة ، فهو صحيح والحمد لله منها حديث قُتَيْلَةَ بنت صيفي رضي الله عنها امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ أَنَّ يَهُودِيًّا، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ مَا شَاءَ الله وَشِئْتُ، وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ» فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: أَحَدُهُمْ مَا شَاءَ الله ثُمَّ شِئْتُ» . رواه النسائي (٦/٧)(٣٧٧٣) وهو صحيح ، وجاء بنحوه عن الطفيل بن سخبرة رضي الله عنه ، رواه أحمد(٢٩٦/٣٤)(٢٠٦٩٤) وهو صحيح .

وعن حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ الله وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا

تَقُولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ مُحَمَّدٌ؛ وَلَكِنْ مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ» وَنَهَى عَنْ الْحَلِفِ بِغَيْرِ الله فَقَالَ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِالله أَوْ لِيَصْمُتْ» .

وَقَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ أَشْرَكَ»[1].... وَنَهَى النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ" . رواه أحمد (٣٨٤/٥) وهو حديث صحيح .

فالواو تفيد التشريك فلهذا نهى النبي ﷺ عن ذلك حتى لا يتوهم شخص المساواة بين مشيئة الله ومشيئة العبد ؛ فإن العبد لا مشيئة له إلا بعد مشيئة الله ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[الإنسان:٣٠].

(١) قلت : رواه أحمد (٤٩٠٤) والحاكم (٥٢/١) ، وأبو داود(٣٢٥١) والترمذي(٥٣٥) من طريق سعد بن عبيدة أن ابن عمر سمع رجلاً يقول : لا والكعبة ، فقال ابن عمر رضي الله عنهما : لا يحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله يقول : .... فذكره .

ورجاله ثقات ، لكنه معل ضعيف ، سعد لم يسمعه من ابن عمر رضي الله عنهما ، قاله البيهقي بعد إخراجه(٣٠/١٠) ، وتبين ذلك الطرق الأخرى .

قال الإمام أحمد (٥٥٩٣) حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن سعد بن عبيدة قال: كنت عند ابن عمر رضي الله عنهما فقمت وتركت رجلاً عنده من كندة ، فأتيت سعيد بن المسيب فجاء الكندي فزعًا فقال : جاء ابن عمر رجل فقال : أحلف بالكعبة قال : لا ، ولكن احلف برب الكعبة ، فإن عمر كان يحلف بأبيه فقال النبي ﷺ : لا تحلف بأبيك » فذكره .

وأخرجه برقم (٦٠٧٣) و(٥٣٧٥) من طريق منصور عن سعد بن عبيدة ، قال كنت جلست أنا و محمد الكندي إلى ابن عمر وذكر قصته والحلف .

وأخرجه البيهقي(٣٠/١٠) ، والطحاوي في «مشكل الآثار»(٢٩٩/٢)(٢٣٠) ومحمد الكندي هذا مجهول ، وقال الإمام الطحاوي : وقفنا على أن منصور بن المعتمر قد زاد في إسناد هذا الحديث على الأعمش وعلى سعيد بن مسروق عن سعد بن عبيدة رجلًا مجهولا بينه

عَنْ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ؛ فَقَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[1] يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا ... وقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ لا

وبين ابن عمر في هذا الحديث ، ففسد بذلك إسناده ومما يزيد ضعفًا أن أصل الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ أدرك عمر رضي الله عنه وهو في ركب يحلف بأبيه فقال رسول الله ﷺ إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليصمت . رواه البخاري(٦٦٤٦) وفي مواضع أخرى ، ومسلم(١٦٤٦) ، والترمذي(١٥٣٤) وغيرهم .

وكان شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله صححه ثم تراجع عن تصحيحه وذكره في أحاديث معلة ظاهرها الصحة » (٢٩٥) .

والحالف بغير الله لم يعظم المخلوق به مثل الله ولم يجعل لله ندًا فلهذا هو من شرك العمل الأصغر .

وأما إذا عظم المحلوف به مثل الله أو أشد كمن يقال له احلف بسيدك أو شيخك امتنع!

وإذا قيل له: احلف بالله حلف ولا يبالي فهذا شرك أكبر لما يقوم في قلب الحالف من التعظيم للمحلوف به ، وهذا قليل جدًا في المسلمين ، والحمد لله .

والحلف بغير الله هو شعبة من شعب الشرك وحرام ، و نأسف أن كثيرًا من الناس يحلفون بالحرام والطلاق والأمانة والشرف كثيرًا ، وهذا حرام بلا شك .

(١) أخرجه البخاري(٤٤٤٣) ومسلم(٥٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وجاء عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم في الصحيح أيضًا .

وهذا اللعن يفيد التحذير من فعلهم وللأسف قد اقتدى بهم بعض الجهلة من الناس فصاروا يتخذون القبور مساجد ومعابد ويتمسحون بها ويسجدون لها من دون الله ويطلبون منهم المنافع ودفع المضار .

تجعل قبري وثنًا يعبد» .

وقال ﷺ : «لا تتخذوا قبري عيدا[١] ولا بيوتكم قبوركم ، وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني» .

ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها وذلك ؛ لأن من أكثر الأسباب لعبادة الأوثان كان تعظيم القبور ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمرغ بحجرته ولا يقبلها لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببت الخالق ، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملًا إلا به ، ويغفر لصاحبه ، ولا يغفر لمن تركه ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ

وحديث : اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثنًا » : أخرجه أحمد(٣١٤/١٢) وليس فيه لفظة : «يعبد» والحميدي (١٠٥٥) وهو حديث حسن ، ورواه أبو يعلى (٣٤/١٢) (٦٦٨١) بلفظ : « لا تجعلنَّ قبري وثنًا » .

والوثن كل ما عبد من دون الله كالصنم وغيره .

قال ابن منظور في «لسان العرب» : الوثن : الصنم ما كان ، وقيل الصنم الصغير .اهـ

وقال الإمام ابن الأثير : الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَثَنِ والصَّنَم أنَّ الْوَثَنَ كلُّ مَا لَه جُثَّة مَعْمولة مِنْ جَواهِرِ الْأَرْضِ أَوْ مِنَ الخَشَب والحِجارة، كصُورة الآدَميّ تُعْمَل وتُنْصَب فتُعْبَد. والصَّنَم: الصُّورة بِلا جُثَّة. وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَفْرُق بَيْنَهما، وأطلَقَهما عَلَى المَعْنَيَين. وَقَدْ يُطْلَق الوَثَن عَلَى غَيْرِ الصُّورة. اهـمن «النهاية»(٢٥١/٥).

(١) رواه الإمام أحمد (٤٠٣/١٤)(٨٨٠٤) ، وأبو داود(١٠٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو حديث حسن رجاله ثقات غير عبدالله بن نافع وهو الصائغ المخزومي مولاهم مدني وتدل ترجمته من «التهذيب» أنه حسن الحديث ، وللحديث شواهد يصح بها .

أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه ، وأعظم آية آية الكرسي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وقال ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » (١).

---

(١) أخرجه أحمد(٣٦٢/٣٦)(٢٢٠٣٤) ، وأبو داود(٤٨٤/٣)(٣١١٦) .

وهو حسن لغيره ، وفي سنده صالح بن أبي عريب واسمه قليب بن حرمل بن كليب الحضرمي ، روى عنه جماعة ولم يوثقه معتبر ، ذكره ابن حبان في الثقات كما في «التهذيب» .

وقال الحافظ في «التقريب» مقبول إذا توبع ، وهو كما قال يصلح في المتابعات ، وله متابعة قاصرة . رواه أحمد(٣٢٣/٣٦)(٢١٩٩٨) من طريق حميد بن هلال عن هصان بن الكاهل قال : دخلت المسجدج الجامع بالبصرة فجلست إلى شيخ أبيض الرأس واللحية فقال : حدثني معاذ بن جبل رضي الله عنه فذكره ، وهذا سند فيه هصان بن كاهل ويقال بن كاهن روى عنه ولم يوثقه معتبر ، وفي «التقريب» مقبول يعني إذا توبع وهذا الرجل المبهم أيضًا ، ورواه الحميدي(٣٧٣) ، حدثنا سفيان ، قال : حدثنا عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبدالله ، أخبرني من شهد معاذ بن جبل حين حضرته الوفاة ... فذكر الحديث .

وهذا سند صالح في المتابعات ؛ لأن الذي روى عن معاذ قبله جابر وهو صحابي ، والصحابة رضي الله عنهم لا يقبلون إلا من عدل عندهم ، والله أعلم .

وله شاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنه من كان آخر كلمته لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يومًا من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه» رواه ابن حبان في صحيحه(٢٧٢/٧) (٣٠٠٤) .

والإله : هو الذي يألهه القلب عبادة له واستغاثة به ورجاء له خشية وإجلالا .

اهـ[1]

وقال أيضًا شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله في كتابه : «اقتضاء الصراط المستقيم»[2] في الكلام على قوله : وما أهل به لغير الله : إن الظاهر أنه ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ ةتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه ، وقال فيه : باسم المسيح ونحوه ، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم ،وقلنا عليه : باسم الله ، فإن عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاستغاثة باسمه لفواتح الأمور والعبادة لغير الله اعظم من الاستغاثة لغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه لحرم وإن قال فيه باسم الله كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح .

ثم قال في موضع آخر في الكتاب : إن العلة في النهي عن الصلاة عند القبور ما يفضي إليه ذلك من الشرك ذكر ذلك الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره

وله شاهد عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » رواه مسلم .
وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» . رواه مسلم (١٥٣) .

(١) وأنا سقت الكلام من مصدره بتمامه فالمصنف رحمه الله ربما سقطت جمل من نسخته .

(٢) في «اقتضاء الصراط المستقيم» : (٦٤/٢) ط : دار العاصمة ، وكلامه في غاية القوة والحجة في الرد على عباد القبور والحجارة والذين يتحايلون على الضعفاء في الذبح لغير الله ويقولون هم يذبحون عند القبور لطلب البركة هذا من الضلال ، نسأل الله السلامة .

وكذلك الأئمة من أصحاب أحمد ومالك :كأبي بكر الأثرم عللوا بهذه العلة .اهـ

وكلامه في هذا الباب واسع جدًا ، وكذلك كلام غيره من أهل العلم.

وقد تكلم جماعة من أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم ومن أتباعهم رحمهم الله في هذه المسألة بما يشفي ويكفي ولا يتسع المقام لبسطه ، وآخر من كان منهم نكالا على القبوريين وعلى القبور الموضوعة على غير الصفة الشرعية مولانا الإمام المهدي العباس بن الحسين بن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ (١) فإنه بالغ في هدم المشاهد التي كانت فتنة للناس وسببًا لضلالهم وأتى على غالبها ونهى الناس عن قصدها والعكوف عليها فهدمها وكان في عصره جماعة من أكابر العلماء ترسلوا إليه برسائل وكان ذلك هو الحامل له على نصرة الدين لهدم طواغيت القبوريين .

(١) قال الإمام الشوكاني في «البدر الطالع»(٣١٠/١) : الإمام المهدي لدين الله الْعَبَّاس بن الامام الْمَنْصُور بِالله الْحُسَيْن ابْن الإمام المتَوَكل الْقَاسِم بن الْحُسَيْن .... ثمَّ كَانَ فِي أَيَّام وَالِده الإمام الْمَنْصُور بِالله رَئِيسا عَظِيما فخيما ولمامات وَالِده فِي سنة ١١٦١ أجمع النَّاس على صَاحب التَّرْجَمَة فَبَايعُوهُ واتفقت عَلَيْهِ الْكَلِمَة وَبَايَعَهُ من كَانَ خَارِجا عَن طَاعَة وَالِده كعمه أَحْمد بن المتَوَكل وَكَانَ إماماً فطناً ذكياً عادلاً قوي التَّدْبِير عالي الهمة منقاداً إِلَى الْخَيْر مايلا إِلَى أهل الْعلم محبا للعدل مصنفًا للمظلوم سيوساً حازماً مطلعاً على أَحْوَال رَعيته باحثاً عَن سيرة عماله فيهم لَا تخفى عَلَيْهِ أي كثيرة من الأحوال لَهُ عُيُون يوصلون إِلَيْهِ ذَلِك وَله هَيْبَة شَدِيدَة فِي قُلُوب خواصه لَا يَفْعَلُونَ شَيْئا إلا وهم يعلمُونَ أَنه سينقل إِلَيْهِ وَبِهَذَا السَّبَب اندفعت كثير من الْمَظَالِم.اهـ

فالرجل كان يحب العلم ويشتغل به أيضًا بعد ولايته وكان يكرم العلماء والأدباء والذين يعاصرونه من أماكن بعيدة ممن لهم فضل ، وله ترجمة في «بلوغ المرام في شرح مسك الختام»(٧٠) وفي «الإعلام» للزركشي(٢٦٠/٣).

وبالجملة : فقد سردنا من أدلة الكتاب والسنة فيما سبق ما لا يحتاج معه إلى الاعتضاد بقول أحد من أهل العلم ولكنا ذكرنا ما حررناه من أقوال أهل العلم مطابقًا لما طلبه السائل كثر الله فوائده .

وبالجملة : فإخلاص التوحيد هو الأمر الذي بعث الله لأجله رسله وأنزل به كتبه وفي هذا الإجمال ما يغني عن التفصيل ولو أراد رجل أن يجمع ما ورد في هذا المعنى من الكتاب والسنة لكان مجلدًا ضخمًا .

بيان ما تضمنته الفاتحة من توحيد الله عز وجل [(١)].

---

(١) هذه السورة هي أعظم سورة في القرآن الكريم كما قال النبي ﷺ لأَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أُصَلِّي، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟» فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: " أَلَمْ يَقُلِ الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [الأنفال: ٢٤] ، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ» فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ، فَقَالَ: «الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ. هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ» . هكذا رواه البخاري(٤٤٧٤) في أول التفسير .

وذلك لما فيها من أنواع التوحيد الثلاثة توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، ولهذا كان قراءتها في الصلاة فرضًا كما قال النبي ﷺ لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب . متفق عليه .

وقد شرح بعض العلماء هذه السورة بكتب مستقلة .

وقال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله : اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السورة الكريمة وهي سبع آيات، عَلَى حَمْدِ الله وَتَمْجِيدِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، بِذِكْرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا ، وَعَلَى ذِكْرِ الْمَعَادِ وَهُوَ يَوْمُ الدِّينِ، وَعَلَى إِرْشَادِهِ عَبِيدَهُ إِلَى سُؤَالِهِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، وَالتَّبَرُّؤِ مِنْ حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، وَإِلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَتَوْحِيدِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَنْزِيهِهِ أَنْ

يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ مُمَاثِلٌ، وَإِلَى سُؤَالِهِمْ إِيَّاهُ الْهِدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ، وَتَثْبِيتَهُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يُفضي بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى جَوَازِ الصِّرَاطِ الْحِسِّيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي جِوَارِ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ.

وَاشْتَمَلَتْ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، لِيَكُونُوا مَعَ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مَسَالِكَ الْبَاطِلِ؛ لِئَلَّا يُحْشَرُوا مَعَ سَالِكِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمُ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ وَالضَّالُّونَ. وَمَا أَحْسَنَ مَا جَاءَ إِسْنَادُ الْإِنْعَامِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ الفاتحة: ٧

وَحَذْفُ الْفَاعِلِ فِي الْغَضَبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الفاتحة: ٧

وَإِنْ كَانَ هُوَ الْفَاعِلَ لِذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ المجادلة: ١٤. ، وَكَذَلِكَ إِسْنَادُ الضَّلَالِ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُمْ بقدره، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾ الكهف: ١٧

وَقَالَ: ﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٦

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْهِدَايَةِ وَالْإِضْلَالِ، لَا كَمَا تَقُولُهُ الْفِرْقَةُ الْقَدَرِيَّةُ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ، مِنْ أَنَّ الْعِبَادَ هُمُ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ ذَلِكَ وَيَفْعَلُونَهُ، وَيَحْتَجُّونَ عَلَى بِدْعَتِهِمْ بِمُتَشَابِهٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَتْرُكُونَ ما يكون فيه صريحا فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَيِّ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: "إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ" . يَعْنِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ آل عمران: ٧

انظر فاتحة الكتاب التي تكرر في كل صلاة مرات من كل فرد من الأفراد ويفتتح بها التالي لكتاب الله والمتعلم له فإن فيها الإرشاد إلى إخلاص التوحيد في مواضع فمن ذلك: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]

فإن علماء المعاني والبيان ذكروا أنه يقدر المتعلق متأخرًا ليفيد اختصاص البداية باسمه تعالى لا باسم غيره، وفي هذا ما لا يخفى من إخلاص التوحيد.

ومنها في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]

فإن التعريف يفيد أن الحمد مقصور على الله واللام في «لله» تفيد اختصاص الحمد به ومقتضى هذا أنه لا حمد لغيره أصلًا، وما وقع منه لغيره فهو في حكم العدم وقد تقدم أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري لقصد التعظيم فلا ثناء إلا عليه ولا جميل إلا منه، ولا تعظيم إلا له، وفي هذا من إخلاص التوحيد ما ليس عليه مزيد.

ومن ذلك قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]

أو ﴿ملك يوم الدين﴾ على القراءتين السبعيتين، فإن كونه المالك ليوم الدين يفيد أنه لا ملك لغيره فلا ينفذ إلا تصرفه، لا تصرف أحد من خلقه من غير فرق بين نبي مرسل وملك مقرب وعبد صالح، فهذا معنى كونه ﴿مَالِكِ يَوْمِ

فَلَيْسَ -بِحَمْدِ اللهِ- لِمُبْتَدِعٍ فِي الْقُرْآنِ حُجَّةٌ صَحِيحَةٌ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ لِيَفْصِلَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ مُفَرِّقًا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَلَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ. اهـ من "تفسير ابن كثير" (١/٧) ت: سلامه.

ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]

فإنه يفيد أن الأمر أمره ، والحكم حكمه ، ليس لغيره معه أمر ولا حكم ، كما أنه ليس لغير ملوك الأرض معهم أمر ولا حكم ، ولله المثل الأعلى .

وقد فسر الله هذ المعنى الإضافي المذكور في فاتحة الكتاب في موضع آخر من كتابه العزيز فقال : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٧ – ١٩]

ومن كان يفهم كلام العرب ونكته وأسراره كفته هذه الآية عن غيرها من الأدلة واندفعت لديه كل شبهة .

ومن ذاك : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ [الفاتحة: ٥]

فإن تقديم الضمير قد صرح أئمة المعاني والبيان وأئمة التفسير أنه يفيد الاختصاص فالعبادة لله سبحانه ولا يشاركه فيها غيره ، ولا يستحقها سواه ، وقد عرفت أن الاستغاثة والدعاء والتعظيم والذبح والتقرب من أنواع العبادة .

ومن ذلك قوله ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]

فإن تقديم الضمير هاهنا يفيد الاختصاص كما تقدم ، وهو يقتضي أنه لا يشاركه غيره في الاستعانة في الأمور التي لا يقدر عليها غيره ، فهذه خمسة مواضع في فاتحة الكتاب، يفيد كل منها إخلاص التوحيد .

مع أن فاتحة الكتاب ليست إلا سبع آيات ، فما ظنك بما في سائر الكتاب العزيز .

فذكرنا لهذه الخمسة المواضع في فاتحة الكتاب كالبرهان على ما ذكرناه من أن

في الكتاب العزيز من ذلك ما يطول تعداده وتتعسر الإحاطة به .

ومما يصلح أن يكون موضعًا سادسًا لتلك المواضع الخمسة في فاتحة الكتاب قوله : ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]

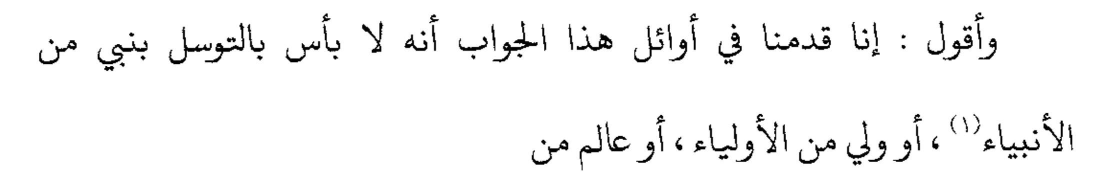
وقد تقرر لغة وشرعًا أن العالم ما سوى الله ، وصيغ الحصر إذا تتبعتها من كتب المعاني والبيان والتفسير والأصول بلغت ثلاثة عشرة صيغة فصاعدًا ، ومن يشك في هذا فليتتبع كشاف الزمخشري[1] فإنه سيجد فيه ما ليس له ذكر في كتب المعاني والبيان كالقلب فإنه جعله من مقتضيات الحصر ولعله ذكر ذلك عند تفسيره للطاغوت وغير ذلك مما لا يقتضي المقام بسطه .

ومع الاحاطة بصيغ الحصر المذكورة تكثر الأدلة الدالة على لإخلاص التوحيد وإبطال الشرك بجميع أقسامه .

واعلم أن السائل كثر الله فوائده ذكر في جملة ما سأل عنه أنه لو قصد الإنسان قبر رجل من المسلمين مشهور بالصلاح ، ووقف لديه وأدى الزيارة وسأل الله بأسمائه الحسنى وبما لهذا الميت لديه من المنزلة هل تكون هذه البدعة عبادة لهذا الميت؟ ويصدق عليه أنه قد دعا غير الله ؟ وأنه قد عبد غير الرحمن ؟ ومن سلب عنه اسم الإيمان ؟ ويصدق على هذا القبر أنه وثن من الأوثان ؟ ويحكم بردة ذلك الداعي ؟ والتفريق بينه وبين نسائه ؟ واستباحة أمواله؟ ويعامل معاملة المرتدين؟ أو يكون فاعلًا معصية كبيرة أو مكروهًا.

---

(١) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي النحوي كان رأسًا في العربية واللغة والأدب ولكنه كان من رؤوس المعتزلة في العقيدة وفي «كشافه» بعض الأخطاء والبدع فيحذر من ذلك ، ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٥١/٢٠) ، و «الشذرات» (١٢١/٤) .



وأقول : إنا قدمنا في أوائل هذا الجواب أنه لا بأس بالتوسل بنبي من الأنبياء[١] ، أو ولي من الأولياء ، أو عالم من

العلماء وأوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه فهذا الذي جاء إلى القبر زائرًا ودعا الله وحده ، وتوسل بذلك الميت كأن يقول : اللَّهُمَّ إني أسألك أن تشفيني من كذا ، وأتوسل إليك بما لهذا العبد الصالح من العبادة لك والمجاهد فيك والتعلم والتعليم خالصًا لك ، فهذا لا تردد في جوازه.

لكن لأي معنى قام يمشي إلى القبر.

فإن كان لمحض الزيارة ، ولم يعزم على الدعاء والتوسل إلا بعد تجريد القصد إلى الزيارة فهذا ليس بممنوع ؛ فإنه إنما جاء ليزور ، وقد أذن لنا رسول الله ﷺ بزيارة القبور بحديث : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها »[٢].

---

(١) هذ قول مرجوح فالتوسل بذوات الأنبياء أو الأولياء لم يفعله الصحابة ولا التابعون لهم بإحسان مع الصحابة الكرام ، ولم يفعله العلماء الربانيون كالإمام الزهري ، والإمام مالك ، والشافعي ولا غيرهم من الأئمة المعروفين ، وإنما يجوز التوسل بدعاء الرجل الصالح وبحب الأنبياء والإيمان بهم وبحب الصالحين والأولياء مثل أن يقال اللَّهُمَّ بإيماني بأنبيائك واتباعي لنبيك محمد ﷺ اشفني أو رد غائبي أو بحبي لأوليائك أن تقضي حاجتي الفلانية ونحو ذلك ، والله أعلم.

(٢) رواه أحمد(٥٥/٣٨)(٩٧٧) في الجنائز من حديث بريده رضي الله عنه قال النبي ﷺ « نهيتكم عن زيارة القبور ...» .

والحديث الذي بعده : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين» أخرجه مسلم (٩٧٤)

وخرج لزيارة الموتى ودعا لهم وعلمنا كيف نقول إذا نحن زرناهم ، وكان يقول: « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا بكم إن شاء الله لاحقون ، وأتاكم ما توعدون ، نسأل الله لنا ولكم العافية» ، وهو أيضًا في الصحيح بألفاظ وطرق .

فلم يفعل هذا الزائر إلا هو مأذون به ومشروع ، لكن بشرط ألا يشد راحلته ولا يعزم على سفره ، ولا يرحل كما ورد تقييد الإذن بالزيارة للقبور بحديث: « لا تشدوا الرحال إلا لثلاثة» .

وهو مقيد لمطلق الزيارة ، وقد خص بمخصصات منها زيارة القبر الشريف النبوي المحمدي على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم ، وفي ذلك خلاف بين العلماء وهي مسألة من المسائل التي طالت ذيولها واشتهرت أصولها ، وامتحن بسببها من امتحن ، وليس ذلك ههنا من مقصودنا .

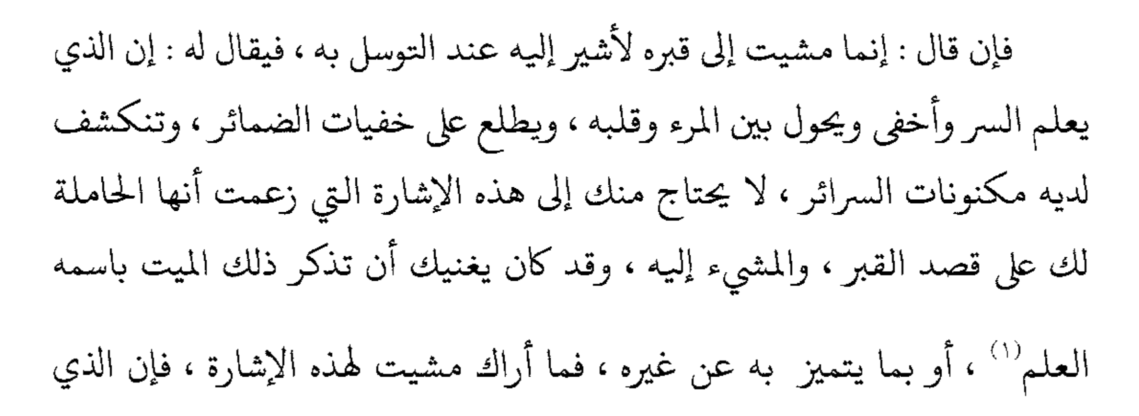
وأما إذا لم يقصد مجرد الزيارة بل قد المشي إلى القبر يفعل الدعاء عنده فقط ، وجعل الزيارة تابعة لذلك ، أو مشى لمجموع الزيارة والدعاء فقط ، كان يغنيه أن يتوسل إلى الله بذلك الميت من الأعمال الصالحة من دون أن يمشي إلى قبره . [1]

والنسائي(٢٠٣٧).

وبعده حديث : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » : أخرجه البخاري(١١٨٩) ومسلم(١٣٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : وهي المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » .

أي لا يشد المسلم رحله ويعزم على السفر للعبادة في أي موضع ولا مسجد إلا إلى هذه المساجد الثلاثة ، وهذا يدل على شرفها وفضلها .

(١) قلت : التوسل بالموتى غير جائز فإنه قد يتطرق إلى الشرك وليس عليه دليل ، بخلاف



فإن قال : إنما مشيت إلى قبره لأشير إليه عند التوسل به ، فيقال له : إن الذي يعلم السر وأخفى ويحول بين المرء وقلبه ، ويطلع على خفيات الضمائر ، وتنكشف لديه مكنونات السرائر ، لا يحتاج منك إلى هذه الإشارة التي زعمت أنها الحاملة لك على قصد القبر ، والمشيء إليه ، وقد كان يغنيك أن تذكر ذلك الميت باسمه العلم[1] ، أو بما يتميز به عن غيره ، فما أراك مشيت لهذه الإشارة ، فإن الذي

زيارة القبور والتكفير في أمر الآخرة كما قال النبي ﷺ زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة ، وكذا الدعاء لهم عند الزيارة مستحبة كما تقدم في الحديث : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين... » .

(١) هذا قول غير صحيح وفعل هذا من البدع ، ولا دليل عليه فالصحابة لم يكن يفعل بعضهم هذا مع بعض ولا الأئمة الأخيار من بعدهم كما قلنا ، ولو وقف على هذا الكلام بعض الصوفية ومن جرى مجراهم لجعله حجة قاطعة عنده فأقول الحجة الكتاب والسنة لا قول إمام قاله بلا حجة ولا برهان .

قال الإمام مالك رحمه الله : كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر وأشار إلى قبر النبي ﷺ .

وأقول الذين يتوسلون بالموتى ويذهبون إلى القبور أكثرهم يتحايلون ويفعلون الأشياء البدعية أو الشركية وإذا أقيمت عليهم الحجج قالوا نحن نفعل كذا من أجل كذا فخير الهدي هدي محمد ﷺ وكل بدعة ضلالة .

وأما مناقشة الشوكاني رحمه الله لهذا المتوسل عند القبر فجيدة وحجة قوية ، وسامح الله الجميع، وأسأل الله أن يجعلنا والمؤمنين في جنات النعيم بفضله ومنته آمين .

وهذا التعليق المتواضع على الكتاب العظيم النافع جهد المقل

تدعوه في كل مكان مع كل إنسان ، بل مشيت لتسمع الميت توسلك به وتعطف قلبه عليك ، وتتخذ عنده يدًا بقصده زيارته ، والدعاء عنده والتوسل به ، وأنت إن رجعت إلى نفسك وسألتها عن هذا المعنى فربما تقر لك به ، وتصدقك الخبر ، فإن وجدت عندها هذا المعنى الدقيق الذي هو بالقبول منك حقيق ، فاعلم أنه قد علق بقلبك ما علق بقلوب عباد القبور ، ولكنك قهرت هذه النفس الخبيثة عن أن تترجم بلسانك عنها ، وتنشر ما انطوت عليه من محبة ذلك القبر والاعتقادات والتعظيم له والاستغاثة به فأنت مالك لها من هذه الحيثية مملوك لها من الحيثية التي أقامتك من مقامك ومشت به إلى فوق القبر ، فإن تداركت نفسك بعد هذه وإلا كانت المسؤولية عليك المتصرفة فيك المتلاعبة بك في جميع ما تهواه مما قد وسوس به لها الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس .

فإن قلت : قد رجعت إلى نفسي فلم أجد عندها شيئًا من هذا وفتشتها فوجدتها صافية من ذلك الكدر .

فما أظن الحامل لك على المشي إلى القبر إلا أنك سمعت الناس يفعلون شيئًا ففعلته ، ويقولون شيئًا فقلته ، فاعلم أن هذه أول عقدة من عقود توحيدك ، وأول محنة من محن تقليدك ، فارجع تؤجر ، وألا تتقدم تنحر ؛ فإن هذا التقليد الذي حملك على هذه المشية الفارغة العاطلة الباطلة سيحملك على أخواتها ، فتقف على باب الشرك أولًا ، ثم

وأسأل الله أن ينفع به كما نفع بأصله إنه سميع عليم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا

كتبه أبو عبدالله عثمان بن عبدالله السالمي العتمي

١٢/ شوال/١٤٣٩هـ

تدخل منه ثانيًا ، ثم تسكن فيه وإليه ثالثًا ، وأنت في ذلك كله تقول : سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته ، ورأيتهم يفعلون أمرًا ففعلته.

وإن قلت : إنك على بصيرة في علمك وعملك ، ولست ممن ينقاد إلى هوى نفسه كالأول ، ولا ممن يقهرها ، ولكنه يقلد الناس كالثاني ، بل أنت صافي السر نقي الضمير ، خالص الاعتقاد ، قوي اليقين ، صحيح التوحيد جيد التمييز ، كامل العرفان ، عالم بالسنة والقرآن ، فلا لمراد نفسك اتبعت ، ولا في هوة التقليد وقعت.

فقل لي بالله : ماالحامل لك على التشبه بعباد القبور والتغرير على من كان في عداد سليمي الصدور؟ فإنه يراك الجاهل والخامل ، ومن هو عن علمك وتمييزك عاطل ، فيفعل كفعلك يقتدي بك ، وليس له بصيرة مثل بصيرتك ، ولا قوة في الدين مثل قوتك ، فيحكي فعلك صورة ويخالفه حقيقة ، ويعتقد أنك لم تقصد هذا القبر إلا لأمر ، ويغتنم إبليس اللعين غربة هذا المسكين الذي اقتدى بك ، واستن بسنتك ، فيستدرجه حتى يبلغ به إلى حيث يريد فرحم الله الله أمرًأ هرب بنفسه عن غوائل التقليد ، وأخلص عبادته للحميد المجيد .

وقد ظهر بمجموع هذا التقسيم أن من يقصد القبر ليدعو عنده هو أحد ثلاثة :

(١) إن مشى لقصد الزيارة فقط وعرض له الدعاء ولم يحصل بدعائه تغرير على الغير فذلك جائز .

(٢) وإن مشى لقصد الدعاء فقط أو له مع الزيارة وكان له من الاعتقاد ما قدمنا فهو على خطر الوقوع في الشرك فضلًا عن كونه عاصيًا .

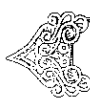
(٣) وإذا لم يكن له اعتقاد في الميت على الصفة التي ذكرنا فهو عاص آثم ، وهذا أقل أحواله ، وأحقر ما يربحه في رأسه ماله .

وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية ، والله ولي التوفيق .

تحريره بقلم مؤلفه في ليلة الأحد لسبع مضت من شهر رجب ١٢١٣هـ حامدًا الله، ومصليًا مسلمًا على رسوله ﷺ .

من مؤلفات شيخنا عثمان بن عبد الله السالمي

١) شرح الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين ١٥ مجلد .
٢) غاية المأمول في التعليق على أسباب النزول .
٣) التحقيق والتعليق على التوحيد لابن منده.
٤) التحقيق والتعليق على الدراري المضية للإمام الشوكاني.
٥) المسك والريحان فيما اتفق على تصححيه الشيخان الألباني والوادعي .
٦) القول الأمين في تربية البنات والبنين.
٧) العطر الندي في شرح لامية ابن الوردي.
٨) أحكام الرعد والبرق والمطر.
٩) الغلاء والرخاء وأسبابهما.
١٠) شرح حديث الربابة .
١١) رسالة في المحافظة على السنة .
١٢) مناسك الحج والعمرة (كتاب جيب).
١٣) شرح هذه دعوتنا وعقيدتنا.
١٤) شرح الدر النضيد للإمام الشوكاني.
١٥) فائق الكساء .



فهرس موضوعات الكتاب

